وَلكِن إِلى أهلِ الفَضَائِلِ والنُّهَى وَخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ

فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت:

إلى النَّفَرِ البيضِ الذِينَ بِحُبِّهم إلى الله فِيمَا نَابَنِي أتَقَرَّبُ

فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت:

بَنِي هَاشِمٍ رَهطِ النَّبِيِّ فإِنَّنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأغضَبُ

فقال الفرزدق:

والله لو جُزتهم إلى سواهم لذهب قولك باطلاً انتهى.

كم من كتابٍ قرأنا مثله وقلت في نفسي أصلحتُه

حتى إذا طالعتُه ثانياً وجدت تصحيفاً فصححتُه

وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك حتم لازم فـي بـلدة تـدع العـزيز ذليلا

إنَّ الأمُورَ لَهَا رَبٌّ يُيرُهُا ما قضاه الرب قلت المقادير

يا قارئ الخط بالعين تنظره لا تنس كاتبه بالله بالخير تذكره

فهب له دعوة لله خالصة لعلها في ظروف الدهر تنفعه.

الموْتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخِلُهُ فيا ليْتَ شعرِيَ بعدَ البابِ ما الدَّارُ

كتاب جلاء الأبصار في الأخبار[1]
من تصنيف الحاكم الإمام أبي سعد المحسن بن محمد الجشمي تعمده الله برحمته.

قال في النسخة التي نسخت منها هذه النسخة في نسخته الأصل التي نسخت منها هذه النسخة جار الله الراهب الإمام العلامة شيخ الإسلام أستاذ الزمان فخر خوازم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري أدام الله توفيقه لطاعته أن أروي عني هذا الكتاب المترجم بجلاء الأبصار على على سبيل الإجازة يحق لي روايتي له عن مصنفه رحمه الله قرأه مني عليه في شهور اثنا وسبعين وأربع مائة وكتب أحمد بن محمد بن اسحاق الخوارزمي بخطه في منتصف جمادى الأول سنة خمس وعشرين وخمس مائة وفي آخر هذه النسخة بخط الزمخشري رحمه الله أجزت للأمير الشريف الأجل ذي المناقب [الأحواب] إلى الحسن علي بن الحسن بن وهاس الحسني أدام الله مجده إجازة مني لهذا الكتاب وكتبه عبد الله الفقير إليه محمود بن عمر الزمخشري المعروف بالعلاّمة [...كلمة محذوفة] حرسها الله تعالى، والنسخة التي نسخت منها هذه النسخة اجازها لي وللقاضي شمس الدين ركن الإسلام جعفر بن أحمد بن أبي يحيى عبد السلام الشريف السيد الأمير فخر السادة علاّمة الحرمين علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس الحسني، رحمه الله رحمة واسعة في شهر ذي الحجة في آخره من شهور سنة خمس وخمسين وخمس مائة وتوفي في سنة سبع في النصف منها رحمه الله تعالى، والحمد لله رب العالمين والشريف الأجل المتقدم ذكره يروي

[1] عنوان الكتاب في مخطوط آخر : جلاء الأبصار من ممتع الأخبار، ترتيب السيد العلامة صلاح نور الدين رحمه الله، وجلاء الأبصار في الأخبار.

اعلم أن المذكور في هذه النسخة ما حورته ɛ فهو يعني أخبرنا، وان كان هكذا ɛɩ فهو يعني أنبأنا وإن كان ɷ فهو حدثنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

[المجلس الأول من إملاء الحاكم الإمام أبي سعد المحسّن بن محمد نوّر الله ضريحه ورضي عنه، يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرني السيد الإمام العالم الفاضل علي بن عيسى بن حمزة الحسني رحمه الله [اجازه] في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وخمس مائة قال اخبرنا الشيخ العلامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله [اجازه] قال اخبرنا الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن اسحاق الخوارزمي المعلم بجشم [اجازه] قال أخبرنا الشيخ الإمام الحاكم أبو سعد المحسن بن محمد نوّر الله ضريحه ورضي عنه يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان الكريم سنة ثمان وسبعين وأربع مائة قال اخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد قال حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني قال حدثنا داود بن الحسين بن عقيل البيهقي قال حدثنا يحيى بن يحيى وقتيبة بن سعيد قال حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {من زرع زرعا أو غرس غرسا فأكل منه طيرا أو بهيمة إلا كانت له صدقة}

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: الخبر وإن كان من الآحاد فقد صححه أهل النقل ومعناه أنه إذا زرع أو غرس ونوى به القربة فما أكل منه كان له أجرا كأجر الصدقة

ويحمل أنه إذا زرع أو غرس فما خرج منه يكون ملكه فإذا أكل منه وجب له العوض على ذلك، فسمي العوض صدقة تشبيها وتوسعا.

أخبرنا الإمام الحاكم رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رضي الله عنه قال أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد بن حمدان إملأ سنة ثمان وستين وثلثمائة قال حدثنا أبو علي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي قال حدثنا أبو نصر التمّار قال حدثنا حمّاد بن سلمة عن داود عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وحبيب بن شهيد عن الحسن البصري قالا: قال رسول الله صلى الله عليه: {ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان}.

قال الحاكم: وأخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي قال حدثنا أبو عمر وبن حمدان بهذا الإسناد وليس فيه حبيب بن شهيد عن الحسن مثله وفي بعض الروايات عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: {أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد خلف وإذا خاصم فجر} قال رضي الله عنه: هذان الخبران أخرجهما أهل النقل في الصحاح فأما معناه فيحتمل وجوها:

أحدها: أن المراد به التشبيه، يعني من إعتاد هذه الخصال فهو كالمنافق في اعتياد ذلك لأنها من خصال المنافقين أن يظهروا غير ما يُسِرُّون فحذف أداة التشبيه وذلك مذهب للعرب ظاهر، يقولون: فلان ملك، وفلان أسد إذا أرادوا المدح، وفلان حمار إذا أرادوا الذم، قال الله: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} [البقرة : 18] وقال تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ } [النمل : 80]، وقال الشاعر:

يـــــــــــــــا قَمَـــــــراً أَبرَزَهُ مَأتَـــــــــــــــــــــــــــمٌ يَندُبُ
شَجواً بَينَ أَتـــــــــــرابِ
يَبكي فَيَذري الدُرَّ مِن نَرجِسٍ وَيَلطُمُ الوَردَ بُعُنّـــتـــــــــــــــــــــابِ

وقال آخر:
سَفَرْنَ بُدوراً وانْتَقَبْنَ أَهْلَّةً ومِسْنَ غُصُوناً والْتَفَتْنَ جآذراً

وقال آخر:
بَدَتْ قَمَراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عَنْبَراً ورَنَت غَـــــــــــــــــزالا

وأمثال ذلك يكثر ، وإنما يريدون بذلك تأكيد التشبيه.
الوجه الثاني: إنه ينافق[2] في هذه الخصال فيظهر غير ما يبطن، لأن المنافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر، كذلك هذا، يظهر الصدق ويبطن الكذب ويظهر الأمانة ويبطن الخيانة، فيكون المراد النفاق اللغوي لا الشرعي.
الوجه الثالث: أن يكون أراد قوما بأعيانهم، جعل هذه الخصال أمارة لنفاقهم، ونظير ذلك قوله تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد : 30]، فأما النفاق إسم شرعي لمبطن الكفر ومظهر الإيمان والنفق في أصل اللغة السَرَبٌ، ومنه نافقا اليربوع م شبه به المنافق، قيل فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: يستر كفره كاليربوع يستر يستتر بسربه.
الثاني: أن اليربوع له جحر يقال له نافقا وآخر يقال له القاصعاء، فإذا طلب من النافق خرج من القاصعاء، فالمنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه.

[2] النسخة [ب] : منافق

الثالث: أن اليربوع يخرق الأرض ويرق التراب فإذا رابه ريب دفع ذلك التراب برأسه فظاهر جحره تراب كالأرض وباطنه حفر، والمنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر والإسم الشرعي فيه معنى اللغة، ومرتكب الكبيرة فاسق وليس بكافر ولا منافق ولا مؤمن فلا بد من حمل الخبر على هذه الوجوه.

أخبرنا الحاكم الإمام قال أخبرنا الشيخ أبو خالد أحمد بن محمد قال حدثنا الحسين بن علي التميمي الميكاني قال أخبرنا أبو العبّاس محمد بن اسحاق بن ابراهيم الثقفي قال حدثنا مخلد بن الحسن بن أحمد الثقة الصدقوق[3] قال حدثنا عبيد الله[4] بن عمر والرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه وآله وسلم: {لا يسرق السارق حتى يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولكن أبواب التوبة معروضة}

قال رضي الله عنه: الخبر في الصحاح ومعناه أن الزاني والسارق وشارب الخمر لا يكون مؤمنا حتى يتوب، وإذا ثبتت في هذه الخصال كذلك جميع الكبائر إذ لا فاصل بينهما في الأمة .

أخبرنا الإمام الحاكم قال أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد قال أخبرنا الشريف أبو يعلى الحسين بن محمد الزيدي قال حدثنا أبو علي أحمد بن علي القليسي قال حدثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال حدثنا علي بن موسى الرضي عن آباءه عن علي عليهم السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان}

---

[3] في الأصل : ثقة صدوق [النسخة أ]

[4] في النسخة [ب] : عبد الله

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: ومعنى هذا الخبر أن المؤمن من إجتمعت فيه هذه الخصال، وهذا مذهب أهل العدل.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال أخبرنا أبو عمر وبن حمدان قال حدثنا أبو يعلى الموصلي قال حدثنا أبو نصر التمّار قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ويونس وحميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل عبد الجنة لا يأمن جاره بوائقه}

قال الحاكم الإمام: الخبر في الصحاح ومعناه أن المؤمن لا يكون مؤمنا إذا لم يأمن الناس شره ولا يدخل الجنة من لا يأمنه جاره، فيدل على الوعيد والمنزلة[5].

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن محمد بن سهل إملأ قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفّار الأصبهاني قال حدثنا أبو بكر أحمد بن عمرو قال حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد قال حدثنا محمد بن حمزة الجرزي عن الخليل بن مرة عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ثلاث من كن فيه واحدة فلا تعبؤا بشيء من عمله، من لم يكن له ورع يحجره عن معاصي الله وحلم بكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس، وثلاثة من كن فيه واحدة زوجه الله حور العين: رجل أؤتمن على أمانة خفية فأداها من مخافة الله، ورجل عفا عن قاتله، ورجل قرأ قل هو الله أحد في دبر كل صلاة، وثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن أكون خصمه أخصمه، رجل استأجر أجيرا فظلمه ولم يوفه أجره، ورجل حلف بالله فغدر،

---

[5] أي الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، وهما الأصلين الثالث والرابع عند المعتزلة وكذلك عن السادة الزيدية وعلماء آل البيت عليهم السلام.

ورجل باع حرا فأكل ثمنه، وقال أيضا: ومن كفل ثلاثة أيتام كان كالدي قام الليل وصام النهار ، ورجل خرج شاهرا سيفه في سبيل الله فأنا وهو في الجنة كهاتي وأشار إلى السبابة والتي تليها}

قال رضي الله عنه: ومعنى هذا الخبر أن من لم يكن فيه ورع فإن عمله لا يعبأ به لأنه ينحبط بمعاصيه، ورغّب بالورع والحلم والخُلق الحسن وفي جميع الخصال المذكورة بعد أن بيّن أن جميع ذلك لا ينفع إلا مع اتقاء معاصي الله.

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد الحربي إملأ قال حدثنا الحسين بن يحيى بن عباس قال حدثنا أبو عبد الله البصري قال حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي قال حدثنا يعقوب بن محمد الزهري قال حدثنا محمد بن اسماعيل قال حدثنا عدي عن أبي الزناد عن الشعبي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب}

قال رضي الله عنه: معناه إنه يبطل الأعمال لأنه كبيرة لأن الحسن هو أن يتمنى الإنسان زوال نعمة أنعم الله تعالى على عبدٍ ويكرهه، فإذا كره ما هو فعل الله وتمنى أنه لم يكن فقد ارتكب كبيرة.

أخبرنا رضي الله قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال أخبرنا أبو الحسن الحربي قال حدثنا محمد بن جعفر بن أحمد المطيري قال حدثنا أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا ابو خلف عن يونس عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من كمال الإيمان حسن الخُلق}

قال رضي الله عنه: معناه أن الخلق فعل العبد وهو ما يعتاده من الخير والشر، فمن تعود الخير فذلك كمال إيمانه، فيدل على أن الإيمان خصال كثيرة، وقد روي عن

النبي صلى الله عليه وآله: {الإيمان بضع وسبعون درجة أعلاها كلمة لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق} ويبين صحة ما قلناه في حسن الخلق ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: [كان خلقه القرآن خد العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين] ولبعضهم:

النفس آلـــــفة لمـــــا عودتهــــــــــــــا إن كـــــان ذلك في ضــــلال أو هــــدى

فتعود الخيرات تخظ بخيرها فالخيــــــــــر أحسن مـــــــا تعوّده الفـــتى

وروي أسامة بن شريك أن رسول الله صلى الله عليه سئل عن أي الأعمال أفضل قال {حسن الخلق} وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال: [بسط الوجه وكف الأذى وبذل الندى]

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال أخبرنا أبو أحمد الحافظ قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن اسحاق[6] قال حدثنا عبّاد بن يعقوب الأسدي قال حدثنا علي بن عباس عن أبي اسحاق عن البراء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويدعوان الله تعالى فيفترقان حتى يغفر الله لهما}

قال رضي الله عنه: في الخبر ترغيب في الدعاء ومصاحبة المتقين فلذلك قُرن الغفران بذلك.

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد الحربي قال حدثنا أبو بكر الصولي النديم قال حدثنا إبراهيم بن عبد الواحد عن شيخ له عن عبد الله بن محمد البلخي قال حدثنا الجرمازي قال دخلت على أبي سعيد عبد الملك بن

---

[6] في النسخة [ب] : حدثنا أبو بكر محمد بن اسحاق.

قريب الأصمعي وهو جالس إل سارية في المسجد فقلت: حدثني، فقال: ما أجد حديثا أقرب من حديث قد ضاق له صدري ودرعي دخلت يومي هذا دار أبي المهلب فقرأت على قبر عروة بن الزبير هذه الأبيات:

يا غـــــــــافل القلب عن ذكر المنيات عما قليــــــل ستثوى بيــــــــن أمــــــــــــــــــوات

فاذكر محلك من قبل الحلول به وتب إلى الله مــــــــــن لهـــــــو ولــــــــــــــــــــــذات

إن الحمـــــــــــــــام له وقت إلــــــــــى أجل فاذكر مصــــــائب أيــــــــــــــام وســاعـــــــــات

لا تطمئن إلى الدنيـــــــــــا وزيـــــــــــــــــــنتها قد حان للمـــــــوت يـــــا ذا اللب أن يأت

[المجلس الثاني من إملائه على الولا، يوم الجمعة قبل الصلاة العشرون من شهر الله المبارك سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن اسحاق النجار رضي الله عنه في شوّال سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة قال أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني قال أخبرنا أبو سليمان داود بن الحسين البيهقي حدثنا يحي بن يحي قال قرأت على مالك بن أنس عن سُمَيٍّ عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: {من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو عبى كل شيء قدير في اليوم مائة مرة

كانت لع عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمشي ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطياه وإن كانت مثل زبد البحر }

قال رضي الله عنه: الخبر يتضمن فوائد منها: الترغيب في هذه المقالة من التسبيح والتهليل لما يجب لصاحبه من الثواب الجزيل ومنها: أنه تنبيه على معنى بذلك المعنى استوجب قائلها هذه المثوبة، لأن قول لا اله الا الله وحده لا شريك له ينبي على التوحيد، وإنما يصير كذلك إذا إعتقد أنه تعالى لا يشبه شيئا وأنه متفرد بصفاته التي يستحقها[7] وقوله سبحانه سبحان الله ينبي عن تنزيهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص والأفعال القبيحة، فهاتان الكلمات يتضمنان بيان التوحيد والعدل فعَظُم موقعهما في الدين[8]، ومنها: أن جميع ذلك إنما يحصل بأسباب أعطاها الله تعالى من الآلة والقدرة والهداية فنحمده على هذه النعم، ومنها: قوله على كل شيء قدير قيل: معناه أنه يقدر على ما يصح كونه مقدورا وقيل لا شيء من المقدورات إلا وهو مقدور له، أما المعدومات فيقدر على إيجادها والموجودات الباقية على إفنائها وإعادتها وأفعال العباد على الإقدار عليها والتعجيز عنها، ومنها: أنها تحط الذنوب ومعناها الصغائر والكبائر إذا قارنها التوبة، والتوبة مع مقارنة هذه المقالة يعظم موقعها.

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله أخبرنا الحسين بن علي التميمي قال حدثنا أبو قريش محمد بن جمعة قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن قابوس عن قابوس عن ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: {قالت قريش

[7] هذه العبارة (التي يستحقها) موجودة في النسخة [أ] وغير موجودة في النسخة [ب] و [ت]

[8] هذه العبارة (في الدين) موجودة في النسخة [أ] وغير موجودة في النسخة [ب] و [ت]

لمحمد صلى الله عليه وآله: إن كان ما تقول حقا فاحيي لنا أشياخنا الموتى وافتح جبال مكة، فأنزل الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ } [الرعد : 31]}

قال رضي الله عنه: معن هذا الخبر أن الخبر أن القوم اقترحوا آيات فلم يجابوا إليها وأجيبوا بالآية، فيقال: لماذا لم يجابوا؟ وأي جواب في قوله {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ } [الرعد : 31]؟

فجوابنا: إنما لم يجابوا لأنه كان إظهاره مفسدة وقيل: لو أجيبوا فلم يسلموا لأتاهم عذاب الإستئصال كعادة الله تعالى في الأمم الماضية، وبهذا فُسر قوله: {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ } [الأنعام : 8] وقد قال تعالى: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : 109] وإنما تظهر المعجزة على الرسول في وجوه، منها: ليعلم أنه نبي وأن ما أتاه أو سمعه وحي كما ظهر على موسى عليه السلام بالطور، ومنها: ما يطهر ليعلم قومه نبوته كسائر المعجزات، ومنها: ما يسأله قومه ويعلم أنه لطف لهم فيجب إظهاره، ومنها: ما يظهر قبل النبوة، اختلف العلماء في جوازه، ومنها: ما يظهر بعده فلا بد من تعلق به من إخبار أو نحوه، فأما ما يقترح ويعلم أنه مفسدة أو يعلم أنه لا فساد فيه فلا يظهره فعلى هذه الوجوه تعتبر المعجزة، وقد حمل شيخنا أبو علي رحمه الله قوله: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء : 85] على أنه لم يخبرهم به لما فيه من المفسدة، فأما الجواب لقوله {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا } [الرعد : 31] يعني أو لم يكفهم القرآن معجزة، وَلَوْ أَنَّ كلاما تسُيِّرَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ تُقطِّعَ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ تُكلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى لكان بهذا القرآن فكيف لم يكتفوا به في الإعجاز، وقوله: {بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا } [الرعد : 31] إشارة إلى ما ذكرنا أن الأمور كلها له يفعل ما فيه المصلحة.

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الحربي أخبرنا الحسن بن علي القاضي قال حدثنا محمد بن زكريا البصري أخبرنا أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين قال حدثنا عمي حسين بن زيد عن أبيه زيد عن أبيه علي بن الحسين عن ابيه علي ابن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : {أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد}

قال رضي الله عنه: معنى هذا الخبر أن الإنسان ينبغي أن يبدأ بنفسه في الجهاد، فكفها عن الظلم والمنكراتثم بأمر غيرهوعلى هذا نبه تعالى بقوله: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ } [البقرة : 44] وليس ذلك بواجب وإن كان هو الأفضل لأن الأمر بالمعروف يجب عليه وإن لم يفعل بنفسه لأنهما تكليفان فالإخلال بأحدهما لا يوجب الإخلال بالآخر ، وروي عن الحسين أنه قال: [وَدَّ الشَّيْطَانُ لَوْ ظَفِرَ مِنْكُمْ بِهَذِهِ] يعني بترك الأمر بالمعروف لهذه العلة، والمروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في خطبته: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة : 105] وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه يقول: {إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشكوا أن يعمّهم الله بعقابه} ومعناه أنهم يضعونه غير موضعه وإن الأمر بالمعروف لا يجب وليس كذلك، فإن الأمر بالمعروف واجب ولكن لا يؤخذ أحد بذنب أحد وإن لم يفعلوا ما أمروا به فقد فعلتم ما عليكم، وقيل إن الأمر بالمعروف دخل في قوله {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} فإن من أخل به كان مخلا بواجب فيستحق العقوبة، وقيل إنه يدخل في قوله: {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } وتقديره لا يضركم إذا لم يُجب من ضل إذا اهتديتم أنتم بأن نهيتموه عن ارتكاب المنكر فالواجب

أن يبدأ بنفسه ويصلحها ثم يأمر غيره، وقد روي عن عبد الله بن الزبير قال: قال زيد بن علي: [إذا دعوتكم إلى أمر فلم اسبقكم إليه فلا طاعة لي عليكم]، وعن زيد بن علي عليهما السلام فيما رواه أبو معمر عنه قال: [الإمام منا أهل البيت المفترض الطاعة علينا وعليكم وعللى المسلمين الذي دعا إلى كتاب الله وسنة نبيه وجرت على ذلك أحكامه وعرف بذلك فذلك الإمام فأما من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فأنى يكون ذلك إماما]

أخبرنا رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله أخبرنا أبو عمرو محمد الخيبري قال حدثنا أبو يعلي الموصلي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {الكييس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله}

قال رحمه الله: معنى دان نفسه أي أذلها واستعبدها، يقال: دِنْتُ لهم إذا فعلت ذلك، وقيل معناه من حاسبها وقيل في قوله {أَإِنَّا لَمَدِينُونَ} [الصافات : 53] أي محاسبون وفي قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة : 4] الحساب، وفائدة الخبر أن العاقل ينبغي له أن يحاسب نفسه ويذلها ليعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع الشهوات ثم تمنى الجنة، وقد قال الله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } [النساء : 123] والمروي عن الحسن[9] أنه قال: [إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة، يقول إني لأحسن الظن بربي. وكذب، لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل]

أخبرنا رحمه الله قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله قال حدثنا بشر بن أحمد قال حدثنا أبو بكر محمد بن

---

[9] الحسن البصري العدلي

يحي بن سليمان المروزي ببغداد قال حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلاّم قال حدثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه هو عبد الرحمن بن يعقوب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: {ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا: بلى؛ قال: اسباغ الوضوء في المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذالكم الرباط بعد الإسلام}

قال رضي الله عنه: في الخبر حث على الصلاة وانتظار أوقاتها وعلى الجماعة والمسارعة إليها وعلى اسباغ الوضوء وما فيه من الثواب، وهذا إنما يحصل متى إجتنب الكبائر، والمراد بالخطايا الصغائر، ومعنى قوله ذلكم الرباط يعني هذه الأعمال مثل مرابطة الخيل لجهاد أعداء الله في إيجاب الثواب، والرباط ما ارتبط من الخيل بالفناء للقتال الواحد ربيط ومنه قوله: {صَابِرُوا وَرَابِطُوا} [آل عمران : 200] ومنه: {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ } [الأنفال : 60].

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن ابراهيم العدل حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة حدثنا بشر بن معاذ العقري حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد حدثنا هشام بن حسان عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كنت عند مروان بن الحكم فسألني عن مس الذكر فكان عروة لم يرى عليه وضوءا، فدعا مروان بعض شرطه فبعثه إلى بسرة بنت صفوان فسألها عن ذلك فأخبرت أن رسول الله صل الله عليه وآله قال: {إذا مس أحدكم ذكره أو أُنْثَييه فليعد الوضوء}.

قال رضي الله عنه: وهذا الخبر غير صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد زيّفه أصحاب الحديث، وكيف ذهب ذلك عن أكابر أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وآله حتى يقول أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن ذلك فقال: [هل هو إلا بضعة منك، وما أبالي أمسسته أم طرف أنفي] وكيف لا يبيين ذلك لأصحابه وهم المختصمون به وبيّن ذلك لبسرة ولا حاجة لها إلى هذا البيان، ولذلك روي أن عروة لم يرفع به رأسا، وقد روى قيس بن طلق عن أبيه طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن ذلك فقال لا ينقض الوضوء هل هوإلا بضعة منك ثم ذكر في الخبر الأنثيين، ولا خلاف أن مسهما لا ينقض الوضوء، ثم إن ثبت فمعناه فليغسل يده كما روي من مسّ إبطه فليتوضأ.

أخبرنا الحاكم الإمام قال أخبرنا الشيخ أبو حامد حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن ابراهيم حدثنا أبو العبّاس محمد بن اسحاق السرّاج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة حدثنا قتادة عن صفوان سئل ابن عمر عن الصلاة في السفر فقال: [ركعتان. من خالف السنة كفر]

قال رضي الله عنه: الخبر يدل على أن فرض السفر ركعتان ليس برخصة، وقوله من خالف السنة أي جحدها بأن أنكر جواز الركعتين في السفر فقد كفر لأن ذلك معلوم من دين النبي صلى الله عليه وآله ضرورة.

أخبرنا الحاكم رحمه الله قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد، أخبرنا أبو العبّاس السرّاج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أنس، قال: [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين]

قال رحمه الله: معنى الخبر أنهم كانوا يقرأون ذلك في الصلاة ويداومون عليها وإنما لم يذكر التسمية لأنها

من السورة فإذا بيّن أنهم قرأوا السورة فقد قرأوا التسمية.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا بشر بن أحمد الإسفراييني، أخبرنا أبو سليمان داودبن الحسين البيهقي، حدثنا يحي بن يحي، قال: قرأت على مالك عن نافع عن إبن عمر أن النبي صلى الله عليه قال: {إذا جاء أحدكم الجمعة فاليغتسل}

قال رحمه الله: في الخبر حث على غسل يوم الجمعة وهو أمر ندب لا أمر وجوب بالإجماع، لأن الواجب من الغسل بالإنزال والإيلاج والحيض والنفاس، وغسل الميت وما عداها مندوب إليه، كغسل يوم الجمعة والعيدين والإحرام ونحوهما، واختلف العلماء في غسل الجمعة والعيدين والإحرام، فقال بعضهم: الغسل لليوم، وقال بعضهم: للصلاة.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان، أخبرنا أبو علي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، حدثنا يحي بن معين أبو زكريا، حدثنا سليمان بن عبد الله النوفلي، عن محمد بن علي بن عبد الله عن أبيه عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه: {أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي}.

قال رضي الله عنه: حب العبد لله إرادة تعظيمه وعبادته معا، وإنما يجب ذلك لما له تعالى على عباده من أصول النعم وفروعها، وحب النبي لأنه رسوله إلى الخلق ومبين الحق ومبلغ الرسالة، وحب أهل بيته لما لهم بسببه من الحرمة والتعظيم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الله تعالى فرض فرائض فرضها في

حال وخفف في حال، وفرض ولايتنا أهل البيت، ولا يضيعها في حال من الأحوال}

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا محمد بن ابراهيم بن عبد الله البخاري أبو عبد الله، قال: أنشد أبي ابراهيم بن عبد الله:

نُرَقِّعُ دُنيَانا بِتمْزيقِ دِيننا فلا دِينُنا يبقَى ولا ما نُرقعُ

[المجلس الثالث من إملائه رحمه الله على الولا، في السابع والعشرون من شهر الله المبارك سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

قال: أخبرنا الشيخ الإمام قاضي القضاة أبو محمد عبد الله بن الحسين يوم الثلاثاء، الرابع من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة إملأ في داره، أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني في محرم سنة تسع وستين وثلاثمائة، حدثنا أبو سلمان داود بن الحسين البيهقي سنة ثلاث وتسعين ومائتين، حدثنا يحي بن يحي التميمي، أخبرنا عباد بن عباد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: {إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما، إتخذ الناس رؤسا جهالا، فإذا سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا}

قال رحمه الله: في هذا الخبر إن الله تعالى لا يسلب الناس علمهم ولا يُبطِل الأدلة ولا ما به يكتسبون العلم لأن كل ذلك انتزاع للعلم، ولكن إذا مات العلماء ولم يتعلم الناس ورضوا بتقليد الجهال وقبولهم فَضَلُوا،

فبيّن أنهم أتوا في ذلك من جهتهم لا من جهة ربهم، وفيه نهي عن التقليد والإتكال في الدين على الغير وحث على التعلم.

أخبرنا الإمام الحاكم الشهيد رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد، أخبرنا أبو الحسين بن أبي بشير الصبغي، أخبرنا أبو العبّاس الثقفي، حدثنا محمد بن نافع، حدثنا شبابة، قال: حدثني ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الله أفرح بتوبة أحدكم منه بضالته إذا وجدها}.

قال رحمه الله: معنى الخبر أنه يريد ذلك ويرضاه، وإلا، فحقيقة الفرح لا يجوز عليه تعالى، لأن الفرح والسرور إعتقاد بنفع يصل إليه والغم إعتقاد ضرر، وذلك لا يجوز عليه تعالى، وفي الخبر التوبة فعل العبد، وإنه تعالى يحبها ويرضاها.

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، أخبرنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا محمدبن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو فضيل، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعيد، عن المغيرة بن شعبة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {شعار الناس يوم القيامة على الصراط: اللهم سلم، اللهم سلم}

قال رحمه الله: معنى هذا الخبر أن الصراط هو الطريق، والصراط في القيامة هو طريق الجنة والنار، يمر عليها جميع الخلق، وأن المؤمن يقول سلّم والله يسلمه، وما يُروى أنه أدق من الشعر وأحد من السيف ليس بصحيح.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن محمد بن سهل رحمه الله، حدثنا محمد بن

عبد الله الأصفهاني، حدثنا محمد بن خلف المروزي، حدثنا مسلم بن المغيرة، الأزدي، حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع وألف مجتهد وألف متعبد، وإن طير الهواء ونينان البحر يُصلون على معلم مُعَلِّمِ الخير وَمُتَعَلِّمِهِ}

قال رحمه الله: معنى هذا الخبر أن الأصل في الدين هو العِلْم، وأن العَمَل من دون العِلْم لا يصح، والمراد بألف مجتهد ومتعبد بغير علم، فيدُل على أن الواجبأن يبتدئ بالعلم، والفقيه من علم الأصول والفروع، لأن معرفة الفروع لا يصح إلا بعد معرفة التوحيد والعدل والنبوات، وقوله طائر الهواء يصلي على معلم الخير ومتعلمه فالمراد: لو كان يُصلِي على أحد لفضلِه لصلّى على المُعلِم والمُتَعَلِّمِ تعظيما لأمرهما، وتفخيما لشأنهما، ونظيره قول أمير المؤمنين عليه السلام: [الناس عالم ومتعلم، وسائر الناس همج لا خير فيهم]

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو زكريا يحي بن اسماعيل الحربي، حدثنا أبو العبّاس الثقفي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر، قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {لا تبيعوا الثمر حتى يبدوا صلاحه}، نهى البائع والمشتري، ونهى عن المُزَابَنةِ، والمُزَابَنةِ أن يبيع ثمر حائطه[10] إن كان نخلًا بتمرٍ كيلًا ، وإن كان كرمًا أن يَبيعَه بزبيبٍ كيلًا ، وان كان زرعًا أن يبيعَه بكيلِ طعامٍ، نهى عن ذلك كله]

قال رحمه الله: معنى الخبر النهي عن بيع الثمر قبل بُدُوا صلاحه، وهذا إذا باعه ثمرا، فأما إذا باع بسرٌ أو شرط القطع أو سكت، يجوز، وإن شرط الترك لا يجوز،

---

[10] في المخطوطات: ثمره حلئطه وهذا لا يستقيم.

ويحتمل الخبر ذلك لأنه إذا باع بشرط الترك ليصير ثمرا فهذا بيع فاسد، وأما المُزَابَنةِ فتفسيره في الخبر، وأصله من الزُبُنْ، وهو الدفع كان كل واحد منهما يدفع صاحبه عن حقه بما يزداد منه، وإنما لا يجوز ذلك لما[11] فيه من الربا.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، قال: حدثنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان، حدثنا محمد بن أبان الواسطي، حدثنا فليح بن سليمان، عن ضمرة بن سعيد، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي واقد الليثي، [قال] :[12] [سألني عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، بما يقرأ صلى الله عليه وآله في العيدين، قلت: بقاف وإقتربت الساعة[13]].

قال رضي الله عنه: ومعنى هذا الخبر أن عمر سأل يُجًرِّبُه هل يعلم ذلك لاستحالة أن يسأله ليعرف[14]، وإنما كان يقرأ ق لما فيها من صفة القيامة، ويوم العيد شبيه بيوم القيامة.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العبّاس ببغداد، حدثنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {من كان ملتمسا ليلة القدر فليلتمسها في العشر الأواخر من شهر رمضان، فإن

---

[11] في النسخة [ب] : بما، والنسخة [أ] : لما، وهي الصواب.

[12] في النسختين: عن أبي واقد الليثي سألني عمر بن الخطّاب..الى آخر الخبر، وأضفت كلمة [قال:] ليكتمل المعنى.

[13] أي سورة ق وسورة القمر.

[14] قال ناسخ النسخة [ب] : يقال ذلك غير مستحيل، وكان الأولى أن يحمل عمر على النسيان، أما الإستحالة فغير مُسًلّم.

قلت: وهذا هو الصواب، وفي كلام شيخنا الحاكم هنا تكلف واضح.

عجزتم فلا تُغلبوا، أو إلتمسوها في البواقي}، [قال]:[15] وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوقظ أهله في العشر الأواخر.

قال رحمه الله: معنى الخبر أن ليلة القدر هي في العشر الأواخر من شهر رمضان، فأمر بالإجتهاد في جميع لياليها، يلتمس تلك الليلة[16] ليجدها.[17]

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا محمد بن علي الصبغي، أخبرنا أبو العبّاس محمد بن اسحاق، حدثنا أبو يحي، أخبرنا عارم، حدثنا ثابت، حدثنا هلال، عن عكرمة، عن ابن عبّاس أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو على حصير وقد أثر في جنبه، فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشا أوثر من هذا، فقال صلى الله عليه وآله: {ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سارٍ في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم سار وتركها}

قال رحمه الله: معنى الخبر الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن في بغداد، حدثنا يحي بن محمد بن صاعد، [.....][18] حدثنا غندر ، حدثنا شعبة، عن واصل، عن مجاهد، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {

---

[15] وأضفت كلمة [قال:] للربط بين كلام علي وحديثه عن النبي.

[16] في النسختين: يلتمس تلك ليجدها، وتظهر لي ناقصة، فأضفت الليلة، وأزعم هكذا أن المعنى يكون أفضل والله أعلم

[17] قلت: وقد يقال: لماذا لم يعيّنها لهم أي يخبرهم في أي ليلة بالضبط من ليالي رمضان هي ليلة القدر؟

قلنا: ذلك لطف لهم، فلو عيّنها لهم ربما كان فيه مفسده، فقد تجد أكثرهم يتكاسل في كل الشهر وإذا جاءت الليلة قام الليل كله وتضرع، ولما كانت غير معينة فيجب أن يجتهدو في الشهر كله وبالتحديد في العشر الأواخر، وهكذا يكونوا قد فازوا بأجر الشهر كاملا ومعه ليلة القدر، فتضاعف الأجر وأكملوا الشهر وفازوا، والله أعلم.

[18] إسم ممحي في النسخة [أ] وفي النسخة [ب] غير واضح، وظاهر النسخة الأولى أن الناسخ كتبه خطاءا ثم محيه.

أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأُحِلت لي الغنائم ولم تُحِل لغيري، ونُصِرت بالرعب مسيرة شهر على عدوي، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأعطيت الشفاعة، وهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا}

قال رحمه الله: معنى الخبر أن الأرض كلها طهور إذا لم يجد الماء تيمّم، ومسجد يصلي عليه، وأنه أحِلّ له الغنائم ويَحِلُّ لأمته ذلك، وأنه منصور بالرعب، وذلك بما يلقيه تعالى في قلوب الكفار لطفا لهم، وأنه مبعوث إلى الكافة، وأن له مقام الشفاعة؛ ومعنى قوله إنها "نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا" إذا مات على الإيمان والتوبة، فأما أصحاب الكبائر إذا لم يتوبوا فقد دلّ القرآن أنه لا شافع لهم بقوله: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر : 18].

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أبو عبيد محمد بن أحمد المؤمل الصيرفي، حدثنا يحيى بن بن أبي حبيب بن اسماعيل، حدثنا أبو أسامة، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء وهم في الصلاة، [حتى اشتد قوله في ذلك]، لينتهن أو لتخطفن أبصارهم}.

قال رضي الله عنه: قد فسّروا الخبر بأن المراد رفع الرأس في الصلاة، وهو مكروه، ولا سنة فيه، ويحتمل الخبر ذلك، وعندي للخبر وجه، وهو أليق بالكلام وبما فيه من الوعيد الشديد، وهو أنه إذا رفع رأسه إلى السماء معتقدا أنه يصلى لمن في السماء، فإذا فعل ذلك استحق العذاب العظيم، لأنه مشبه مشرك.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أحمد بن عبد

الله الرازي بها، حدثنا محمد بن أحمد بن علي الحافظ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن العامري، حدثنا قعنب، حدثنا عبيد الله بن عائشة، عن أبيه، قال: قال ميمون بن مهران: دخلت يوما على عمر بن عبد العزيز وعنده سابق البربري وهو ينشد:

وكم مِن صَحِيحٍ بات للموتِ آمنا أتتهُ المَنَـــــــــــــايا بَغتةً بعدمـــــــــــــــا هَجَع

فلم يستطع إذ جاءه المـــوتُ بَغتَةً فِراراً ولا مِنـــــــــهُ بِقُوَّتِـــــــــــه امتَنَـــــــــــــــــع

فأصبـــــــح تَبكِيـــهِ النِّســـــاءُ مُقَنَّعـــــــا ولا يَسمَعُ الـــــدَّاعِي وإن صــــــوتُه رَفَع

وقُرِّب مـــــن لَحـــــدٍ فَصَـــــــارَ مَقِيـــــلَه وفارق ما قَد كان بالأمس قد جَمَع

فـــــــلا يَترُكُ المـــــــــوتُ الغَنِيَّ لِمَـــــــــــالِه ولا مُعدِما في المـــــال ذا حاجةٍ يَدَع

[المجلس الرابع من إملائه رحمه الله على الولا، يوم الجمعة، الرابع من شهر شوّال سنة ثمان وسبعين وأربع مائة في الجامع، بقصبة جشم]

أخبرنا الحاكم الإمام أبو سعيد رضي الله عنه، أخبرنا الشيخ الإمام قاضي القضاة أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله يوم الثلاثاء، الحادي عشر من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة، حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد المهرجاني إملأ، حدثنا إبراهيم بن علي الذُهلي، حدثنا يحيى بن بن يحيى، قال: قلت لمالك بن أنس: حدثك سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله

صلى الله عليه وآله قال: {السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومه وشرابه وطعامه، فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه فليعجل إلى أهله} قال: نعم.

قال رضي الله عنه: الخبر ينبه على شدة أمر السفر وإن لفظ العذاب يستعمل في غير العقوبة، وهو ما يشتد على المرء وإن لم يكن مستحِقا، ومنه: {مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص : 41].

أخبرنا الحاكم الإمام الشهيد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي الحافظ رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفّار ببغداد، أخبرنا الحسين بن يحيى بن عبّاس، حدثنا أبو الأشعث، حدثنا حمّاد بن زيد، عن عاصم بن سليمان الأحول، عن عبد الله بن سرجس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إذا سافر: {اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور، ومن دعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال} قيل لعاصم: ما الحور بعد الكور؟ قال: كان يقال: حار بعدما كان.

قال رضي الله عنه: فائدة هذا الخبر الدعاء عند السفر، والإنقطاع إلى الله تعالى، والإستعاذة مما في الخبر، منها وعثاء السفر، وهو شدته، وأصله من الوعث، وهو الرمل الرقيق، والمشي عليه يشتد على صاحبه، فجعل مثلا لكل ما يشق، ومنها كآبة المنقلب، وهو أن يجد في منقلبه أهله ما يُوجِب الكآبة، ولهذا كان يقول صلى الله عليه وآله: {اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والولد، لا يجمعهما غيرك}، فأما قوله: الحور بعد الكور، فروي الكزر بالرّاء، وقيل معناه من النقصان بعد الزيادة، وقيل معناه نعوذ بالله من الرجوع عن الجماعة بعد الكور، أي بعد أن كنّا في الكور أي الجماعة، يقال: كار عمامته إذا جمعها، وقيل معناه

أعوذ بك أن تفسد أمورنا وتنتقض بعد صلاحها كانتقاض العمامة بعد استقامتها، فأما من رواه بعد الكور بالنون فمعناه أنه كان على حالة جميلة فحار عن ذلك أي رجع، ومنه: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} [الانشقاق : 14]، أي رجع، والحور : الرجوع، وبهذا فسّر عاصم، فأما دعوة المظلوم فإنها مجابة وإن صدرت من غير مؤمن، وهذا إذا قال اللهم إنتصف من ظالمي وادفعه عني، فأما إن دعا بما لا يستحقه من الأمور أو نحو ذلك فلا يُجَاب إليه.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجّار رحمه الله، أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن محمد بن سهل، حدثنا أبو عبد الله محمد الأصفهاني، حدثنا أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن الضبي ببغداد، حدثنا داود بن عمر الضبي، حدثنا صالح بن موسى الطلحي، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما أتاكم منها موافقا لكتاب الله وسنتي فهو مني، وما أتاكم مخالفا لكتاب الله وسنتي فليس مني}

قال رحمه الله: الخبر هذا ينبه على أصل عظيم، وهو أن أخبار الآحاد إذا خالفت الأصول تُرَد، وإن وافقتها تُقْبَل، والأخبار على ثلاثة أضرب، إما أن تَرِد بما في الكتاب والسنة المقطوع بها، والعقليات والإجماع، فإنها تقبل وتكون مؤكدة، فإن كان فيه حكم ليس في الأصول ذلك بعينه يقبل ويُعْمَل به ولا يقطع على صحة الخبر، ولا يٌعَدُّ مخالفا، لأن القرآن والإجماع دلّ على قبول مثل هذه الأخبار، والثاني: إذا ورد وظاهره يخالف ما ورد به الأصول، ويمكن حمله على تأويل لا تَعَسُّف فيه فإنه يُأَوّل ولا يقطع على صحته، وسواء كان ذلك في الأصول أو الفروع، والثالث: ما ورد مخالفا للأصول، ولا يمكن تأويله، أو إذا أُوِّل كان فيه تَعَسُّف شديد فإنه يَرَد ولا

يقبل، وعلى هذا جميع ما روي في التشبيه، ولهذا قال مشايخنا رحمهم الله في اليد والوجه يُأَوَّل، وذكروا في الرجل أنه لا يُأَوَّل، لأن فيه تَعَسُّفا، فعلى هذا يعتبر هذا الباب، والمراد بالسنة في الخبر : ما تواتر نقله.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي بن أحمد، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري ببغداد، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الشرقي بِإِصْطَخَرَ، حدثنا محمد بن عمرو الحمصي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، عن عطاء، عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {من حمل من أمتي أربعين حديثا فهو من العلماء}.

قال رحمه الله: معنى هذا الخبر أنه إذا حمل أربعين حديثا في الأحكام وعرف معانيها، يعد من العلماء، فأما إذا روى ولم يعلم معانيها فلا يعتبر عالما، وهذا كما روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {يؤمكم أقرؤكم لكتاب الله} وإنما كان الإقراء في زمانه صلى الله عليه اعلم، لأنهم كانوا لا يجاوزون الآية حتى يعلموا ما فيها، فأما الآن، فربّ قارئ لا يعرف سُنن الصلاة، وإنما كان عالما لأنه ما لم يعلم توحيد الله تعالى وعدله،وصحة نبوته صلى الله عليه، لا يصح أن يحمل أحاديثه، وإذا عرف ذلك وحمل أحاديث الشرع كان من العلماء.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيباني، حدثنا أبو الوفا مؤمل، عن حسن بن عيسى، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: [كنا مع رسول الله صلى الله عليه

وآله في سفر، فلم يجدوا ماءً[19]، فأتي بِتَوْرٍ من الماء، فوضع النبي صلى الله عليه يده فيه، وفرّج بين بين أصابعه، قال: فرأينا الماء يتفجّر من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه، فقال صلى الله عليه: {حيّ على الوضوء، والبركة من الله}]

قال رحمه الله: هذا الخبر من الأخبار المتواترة، وهو معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وآله، وإنفجار الماء من بين الأصابع من أعجب الأشياء[20] وأدله على صدقه، وإنما يخلقه الله تعالى حالا بعد حال ويسيل، ومعنى حيّ: هلم وهلا، حث كأنه يقول تعالى وعجّل، ويتفجّر أي ينشق، ومنه {فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } [البقرة : 60].

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي ببغداد، حدّثنا علي بن عبد الله بن جعفر المديني، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن يحيى بن عمارة المازني، عن أبيه، عن أنس بن مالك، قال: [كانت أمي[21] أم سليم بنت ملحان إمرأة أبي طلحة، قال: صنعت خزيرا، قال: فقال: أبو طلحة: إذهب يا بُنَي فادع لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فجئته وهو بين ظهراني الناس، فقلت: إن أبي يدعوك، قال: فقام وقال للناس: {إنطلقوا}، فلما رأيته قام بالناس تقدمت بين أيديهم فجئت أبي طلحة فقلت له: يا أبه، قد جاءك رسول الله صلى الله عليه بالناس، قال: فقام أبو طلحة على الباب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس، فقال أبو طلحة: يا رسول الله إنما كان

---

[19] في النسخة [ت] : الما، والصحيح هو ما كتبناه: ماءً، وهكذا موجود في كتب الحديث، أما النسخة [أ] و [ب] فالورقة ناقصة، أي هذه الورقة التي فيها النص لا توجد في تلك النسخ.

[20] في النسختين [ب] و [ت] : شيء ، وأعزم أن هذا لا يستقيم.

[21] في النسختين [ب] و [ت] : "عن أنس بن مالك قال: كان أنس أمه أم سليم" وهذا لا يستقيم

شيئا يسير، فقال {هلمه، فإن الله يجعل فيه البركة}، فأجابه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يده فيه ودعا الله فيه بما شاء أن يدعوا، ثم قال: {أدخل عليّ عشرة عشرة}، قال: فجاء منهم ثمانون رجلا، قال: فثمِلوا].

قال رحمه الله: في الخبر معجزة للنبي صلى الله عليه، ومعنى هلم: تعالى، وهلم: هات، ومنه قوله تعالى: {هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ } [الأنعام : 150] أي هاتهم[22]، قوله: فثمِلوا، أي أطعمهم حتى شبعوا، ومنه:

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

أي مطعم اليتامى، فأما إطعامهم من الطعام القليل، بأن يخلق الله تعالى فيه حالا بعد حال، حتى شبعوا، أو يحتمل أنه أزال شهوة الطعام بقليل الأكل، لأن الشبع هو زوال شهوة الطعام عقيب الأكل، إلا أن الإعجاز الأول أكثر.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو قريش محمد بن جمعة الحافظ، أخبرنا يحيى بن سليمان بن نضلة، حدثنا مالك، يعني ابن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {تحاجّ آدم وموسى، فحجّ آدم موسى، قال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته، قال: نعم، قال: أتلومني على أمر قد قدّر علّي قبل أن أخلق} .

قال رحمه الله: قوله فحجّ آدم موسى، أي غلبه بحجته، وتحاجّ أي تخاصم بإيراد الحجة، ومنه قوله تعالى:

---

[22] في النسختين [ب] و [ت] : هاتها.

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ } [غافر : 47]، وقد روي عن شيخنا أبي علي رحمه الله أنه أنكر هذا الخبر، وذكر أنه إن كان حجة لآدم على موسى فهو حجة لكل عاص ومتمرد، وعورض بالخبر الذي قال صلى الله عليه وآله: {لا تنكح المرأة على عمّتها ولا على خالتها} فقال: الخبر صحيح، فقيل: خبران بإسناد واحد، تصحح أحدهما دون الآخر، فقال: ما قبلت ذلك لإسناده، ولا رددت هذا لإسناده، ولكن ذلك خبر تضمن حكما وتلقته الأمة بالقبول فقبلته، وهذا خبر خالف الأصول فرددته، ولا يُظن بموسى أنه يواجه آدم عليهما السلام بقوله أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، والله تعالى خلق آدم ليجعله خليفة في الأرض وإن خرج من الجنة، فما فيه من إغواء للناس؛ وتعاطى بعض مشايخنا تأويل الخبر وحمل الغواية على الشدّة وأنك جنبتهم من نعيم الجنة، وقوله قدّر عليّ أي كان معلوما، وهذا مع بُعْدِه تَعَسُّف، ومما يدل على بطلان الخبر، أنه لا يخلوا، إما أن يكون موسى لم يعرف هذه المسألة، أو آدم عليهما السلام، وكلاهما خطأ عظيم أن يكون نبي من أنبياء الله لا يعرف مسألة القدر.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمّاني، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: {ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب رؤوسهم ويقولون: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ"[23] }.

---

[23] سورة فاطر، الآية : 34

قال رحمه الله: معنى الخبر أن أهل لا إله إلا الله، وهم المؤمنون، لا يكون لهم عذاب القبر، ولا تنالهم أهوال القيامة، خلاف ما يقوله أهل الحشو، ونظير ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: {القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار}، والروضة قبور المؤمنين، والحفرة قبور العصاة، وفي الخبر إثبات عذاب القبر.

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي بنيسابور، أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني، حدثنا أبو سليمان داود بن الحسين البيهقي، حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك بن أنس عن نافع عن بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {الذي تفوته صلاة العصر، كأنما وُتِرَ بأهله وماله}.

قال رضي الله عنه: قوله وُتِرَ، أي: نَقُصَ، يقال: وَتَرْتَهُ، أي: نَقَصْتَهُ، وفي الخبر حث على المحافظة على صلاة العصر خصوصا، وقد روي أنها الصلاة الوسطى.

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد، حدثنا داود بن الحسين رحمه الله، حدثنا يحيى بن يحيى، قال قرأت على مالك، عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي يونس مولى عائشة، قال: [أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فاذني {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة : 238]، قال: فلمّا بلغتها اذنتها، فأملت علي: " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ" قالت عائشة: سمعتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله.]

قال رحمه الله: إن ثبت عن رسول الله صل الله عليه وآله أنها العصر ، فذاك، وإلا فقد اختلف العلماء في الصلاة الوسطى، فقال الهادي عليه السلام: إنها الظهر في جميع الأيام، والجمعة يوم الجمعة، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وقال الشافعي هي الفجر، وعن عائشة أنها العصر، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنها الظهر، رواه الهادي عليه السلام، وروي عنه العصر.

قال رضي الله عنه: أنشد الأمير أبو الفضل لنفسه:

ليس شيء من الشبـــــاب بديـــــــــــــــلاً غير عفو المهيمن الوهــــــــــــــاب

عن ذنوب تغـــــــــــري بها غرة الجهل إذا اغترني عنان التصـــــــــابي

فعلى العبد رغبة وإبتهال ولديه النعمـــــــــة وحسن المـــــــــــــــــــــــــآب

[المجلس الخامس من إملائه رضي الله عنه على الولا، يوم الجمعة، الحادي عشر من شهر شوّال سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني، حدثنا داود بن الحسين البيهقي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو خيثمة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فمطرنا، فقال صلى الله عليه وآله: {ليصلِ من شاء منكم في رحله}.

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد الرخصة في ترك الجماعة عند المطر، فيدُل أن الجماعة من شعائر الإسلام، لا يجوز تركها[24] إلا لعذر .

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله، أخبرنا أبو عمرو بن محمد بن أحمد بن حمدان، أخبرنا أبو بكر محمد بن زنجويه، حدثنا عبد العزيز بن يحيى، حدثنا الليث بن سعد، عن نافع، عن عبد الله، [أنه وجد بردًا شديدًا وهو في سفر ، فأمر المؤذن فأذن، أن يُصلوا في رحالهم، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر مثل ذلك إذا كان مثل هذا.]

قال رضي الله عنه: هذا الخبر يدل على ما دل عليه الخبر الأول، وعبد الله هو عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن اسحاق النجّار رضي الله عنه، أخبرنا أبو عمر بن حمدان، حدثنا شعيب بن محمد، حدثنا علي بن المنذر، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا يحي بن شُبْرُمَةَ، عن عاصم بن أبي النجود عن زر، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {يخرج من أهلي رجل يوافق إسمه إسمي، وخلقه خلقي، يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا}.

قال رضي الله عنه: الخبر يدل على خروج إمام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ينفذ أمره شرقا وغربا، وليس فيه بيان من الخارج، فزعمت الكيسانية أنه محمد بن الحنفية، وزعموا أنه مقيم بجبال رضوى، وهو المهدي المنتظر، وزعمت المغيرية أن المهدي هو النفس الزكية وأنه المنتظر، وزعمت الواقفية أن المنتظر موسى بن جعفر، وزعمت القطعية أنه إبن الحسن العسكري، والمحكي عن الشافعي أن

---

[24] في المخطوطات الثلاث "تكره" وكتبت "تكرها" ظنًا مني أن هذا أصح.

المهدي هو عيسى بن مريم، وزعم بعضهم أن المنتظر جعفر بن محمد، وزعموا جماعة أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر، ومن الغلاة من يزعم أنه علي بن أبي طالب، وكل ذلك تخليط وتمني لا برهان عليه، وليس بعض الأقاويل أولى من بعض، والذي ذكره الهادي عليه السلام في الأحكام، أنه يخرج في آخر الزمان رجل من أولاد رسول الله صلى الله عليه، يملك الأرض ويملأها عدلا، فأما ما إدعوه من هؤلاء المذكورين، فقد شوهد موتهم عيانا، وعلم قطعًا، وثبت بطلان الرجعة على ما يزعمه الغلاة، فعلم أن ما ادّعوه من الغيبة باطل، وما تدّعيه القطعية فأغرب وأعجب، لأن صاحبهم لم يشاهد مولودا ولا طفلا ولا ناشئا ولا كهلا، على أن الرواية صحت أن الحسن توفي ولا خلف له، وقسمت تركته بين أخيه جعفر وأخته، هكذا ذكر الناصر في كتابه، وكان لقي الحسن وصحبه، ولأنه لا فائدة في الغيبة، فإن كان بها مصلحة فلا بد من إظهاره، وإن لم يتعلق به مصلحة فوجوده وعده سواء، ولأنه إن كان إماما إفترض الله طاعته على الخلق فوجب أن يكون لهم إليه طريق، فأما حديث عيسى عليه السلام، فإن نزوله في وقت زوال التكليف، لأنه لا يجوز أن ينزل مع بقاء التكليف وهو نبي، ويستحيل أن يعزل عن النبوة.

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي، أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدي ببغداد، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مخلد بن حفص العطّار ، حدثنا حفص بن عمرو، حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن نفيس، قال: سمعت عمرو بن أبي عمرو مولى المطّلب، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله حين قفل من خيبر: {اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضَلَعِ الدَّيْنِ وغلبة الدّجال}.

قال رضي الله عنه: ضَلَعِ الدَّيْنِ: يعني ثقله، حتى يميل بصاحبه عن الإستواء لثقله، والضَلَعِ: الإعوجاج، ومنه رمح ضَلُوعٌ ضَلِعٌ، وأما الدّجال، فقد روي أنه يخرج في آخر الزمان، ويتّبعه قوم وهم على غير الدين، فهذا القدر مما نجوزه، وإن كان الخبر من الآحاد، ولا يُقطع به، فأما ما عدا ذلك مما يجري مجرى المعجز له فلا نجوزه، وقد روي في صفته أنه أعور ، ويتّبعه اليهود، ويدّعي الربوبية.

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبي الحسن عبد الغافر بن محمد، حدثنا بشر بن أحمد، حدثنا داود بن الحسن البيهقي، حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك، عن إبن شهاب، عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن د، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة}.

قال رضي الله عنه: معنى الخبر أن من أدرك ركعة مع الإمام فقد أدرك الجماعة، ويحتمل من أدرك ركعة من الوقت، فقد أدرك وقت الوجوب، فيجب عليه تلك الصلاة، وهذا كالصبي إذا بلغ، والحائض إذا طهرت، والكافر إذا أسلم، والمجنون إذا أفاق، وقد بقي قليل من الوقت، فإنه يلزمه تلك الصلاة، ويحتمل من أدرك ركعة من الجمعة، مع الإمام فإنه يُتِمُها جمعة ولا يقضيها ظهرا.

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز النيلي، حدّثنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الطيالسي، حدثنا عبد الله بن عمر ان الأصفهاني، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة وحمّاد بن سلمة، عن عاصم، عن زيد، عن عبد الله، قال: {أمتي غرٌّ محجّلون، غرٌّ من السجود، محجّلون من أثار الوضوء}

قال رحمه الله: الخبر يفيد أن المؤمنين يوم القيامة يعرفون بما عليهم من آثار الوضوء والصلاة، وقد قال الله تعالى: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ } [الفتح : 29]، وقال في المجرمين: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ } [الرحمن : 41]، فدل على أن لكل واحد له سيما يعرف به، لا يحتاج معه إلى سؤال ليعرف حاله، وعلى هذا حمل بعضهم قوله: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : 39]، يعني سؤال تعريف، وإنما يسأل توبيخا وتقريعا، وعبد الله هو عبد الله بن مسعود.

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو الطيب الحسن بن موسى الرقي بأنطاكية،قال: حدثنا عامر بن سيّار ، حدثنا فرات بن السائب، عن أبي إسحاق، وهو السبيعي، عن عاصم، يعني ابن ضمرة، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من كانت فيه أربع خصال بني له بيت في الجنة، من عظم أمر شهادة أن لا إله إلا الله، وإذا أصابته نعمة حمد ربه، وإذا أذنب استغفر، وإذا أصيب بمصيبة استرجع}.

قال الحاكم رضي الله عنه: الخبر يفيد تعظيم أمر التوحيد، وينبه أن النعم كلها من الله، وأن الذنب فعل العبد، يجب أن يستغفر منه، وأن يرضى بقاء الله فيما يصيبه من البلايا من جهته، فيجمع أصول التوحيد والعدل.

قال رضي الله عنه: أنشدنا الأمير أبو الفضل لنفسه:

أرجوا إلـــــــــــهي لغفـــــران
الذنـــــــــــــــــــــــوب ولا أفيق من خوف
نفسٍ فيه يعصيني
وكيف لا أبتغي وشـــــــــــــــك
الخـــــــــلاص إلى مولاً أرجيـــــــــــــه من
نفـــــــــسٍ تناوينـــــي

[المجلس السادس من إملائه رضي الله عنه على الولا، يوم الجمعة، الثامن عشر من شوّال سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد بن محمد بن اسحاق النجّار رضي الله عنه، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيباني، أخبرنا أبو الوفا مؤمل بن الحسن بن عيسى، حدثنا أبو عبد الله محمد بن اسحاق النحوي ومحمد بن يحيى الذهلي، قالا: حدثنا عبد الرزّاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن أنس، قال: [دخل رسول الله صلى الله عليه وآله، يعني مكة، في عمرة قضاء، وابن رواحة بين يديه، أخذ بغرزه وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّـــــــــــــارِ عَنْ
سَبِيــــــــــلِهِ قَدْ أَنْزَلَ
الرَّحْمَـــــــــــــــــــنُ فِي تَنْزِيـــــــــــــــلِهِ
بِأَنَّ
خَيْـــــــــــــرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيـــــــــــــيلِهِ]

قال رضي الله عنه: فائدة الخبر البيان عن دخول رسول الله صول الله عليه وآله مكة بعمرة القضاء، وذلك أنه أحرم بالعمرة عام الحديبية فصدّه المشركون، ثم

تصالح مع أبو سفيان وسهيل بن عمرو على أن ينصرف عامه هذا ويعود في العام القابل، وقضى عمرته، فأما قوله: [خَيْـــــــــــــرَ الْقَتْلِ فِي سَبِـــــــــــــيلِهِ] فيحتمل قتل المسلمين للكفار لإعزاز الدين، فإن أفضل أعمال المسلمين الجهاد، ولذلك قال تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ} [النساء : 95] الآية، ويحتمل أن يريد بالقتل القتال، وهو الجهاد والمحاربة، ويحتمل قتل الكافر للمؤمن، وإذا حمل عليه لا بد أن يحمل على تحمل المشاق والصبر على الجهاد، حتى يأتي على نفسه، وإلا فنفس قتل الكافر للمسلم قبيح، بل كفر، ولهذا حمل أصحابنا الشهادة على ما قدمنا من قتل المؤمن لا قتل الكافر، وفي الخبر بيان إباحة إنشاء الشعر وإنشاده، ولذلك قرره صلى الله عليه وآله ولم ينكره.

قال رضي الله عنه: فإن سأل سائل فقال: أليس قد ورد القرآن والسنة بذم الشعر والشعراء في قوله: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : 224]، وقال الله حاكيا عن المشركين أنهم قالوا لنبيه صلى الله عليه وآله: {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [الطور : 30] منكرا عليهم رادًا لقولهم؟ وروى عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا}، والمروي عن مسروق أنه سئل عن قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ } [لقمان : 6]، قال: الغناء والشعر، وعنه أنه تمثل ببيت فقطعه، فقيل له: لو أتممت، فقال: أكره أن أجد في كتابي بيتًا من شعر، والمروي عن عطاء أن ابليس قال: يا رب اخرجتني من الجنة، فأين بيتي؟ قال: الحمام، قال: فأين مجلسي؟ قال: السوق، قال: ما قرآني؟ قال: الشعر، ثم

قدر روي أنه كان ينشد بين يديه الأشعار ويستشهد بها، فما الجامع بين هذه الأحاديث، وما معنى الآية وخبرها؟، قالوا: وقد نفى الله تعالى صفة الشعر عن القرآن فقال: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ} [الحاقة : 41]، ثم وجدنا آيات توازي الأبيات نحو قوله: {وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة : 14]، وقوله: {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ } [سبأ : 13]، وقوله: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } [الصف : 13]، وقد نفى الله عن رسوله الشعر بقوله: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس : 69]، ثم روي عنه أبيات من الشعر، فمما روي عنه:

أَنْتِ إلَّا إصْبَعٌ دَمِيتِ
وفي سَبيلِ اللَّهِ ما لَقِيتِ

رواه جنذب عنه، وروى عنه:

أَنَا النــبــــــــــــــيُّ لا كَذِبْ   أَنَــــــــــا ابنُ عبــــــــدِ المُطَّلِبْ

رواه البر بن عازب، وروي أنه قال يوم الخندق:

اللَّهُمَّ لاَ عَيْــــــــــــشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ   فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَــــــــارِ وَالمُهَاجِرَهْ

رواه طاووس، وقال يوم الخندق:

باِسم الإلــــــــــــــــهِ وبهِ بديـــــــــــــــــــــــــــــــنا   وَلَو عَبدنا غيــــــــــــــره شَقيــــــــنا

رواه سلمان، فما تأويل ذلك وكيف الكلام فيه؟
وقالوا: وما الفائدة في منعه عن قول الشعر إن كان فضيلة ولم يكن قدحا؟ وإن قلتم إنه منع عن ذلك، فما المانع له؟ وكيف منع عن قوله؟ بيّنوا لنا ذلك على وجه يضتح الكلام.

والجواب: انا نبين الكلام في ذلك أجمع ونوضحه على وجه الإيجاز، فإن في شرحه طول، فأما الأول: فالشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، فهو بمنزلة الكلام المنثور، ولا فرق بينهما إلا في النُظُم، وكانت مخاطبة العرب تنقسم إلا شعر وخطبة وسجع، وكانوا يتفاخرون بالفصاحة في ذلك ويتحاكمون، فيشهدوا لبعضهم بالتقديم، ولبعضهم بالتأخير، ولبعضهم بالمماثلة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بكلام يخالف جميع كلامهم نظمًا وفصاحةً ومعنى، وتحدّاهم به، وجعل ذلك آية صدقه، فعجزوا عن إيراد آية مثله، مع وفور دواعيهم إلى إبطال أمره وإفاء أمره، وكان يتم ذلك لهم لمعارضته، فعدلوا عن معارضته لمحاربته ومقاتلته، مع ما عليهم فيه من المشقة العظيمة والخطر بالنفس، فعلم بذلك عجزهم، وأنه معجزة له، وقد روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتناشدوا الأشعار، وكانوا ينشدون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا ينكر، بل يصغي إليها ويستحسنها، وروي عن الأئمة كثيرا من ذلك على ما سنبيّنه، ففي ذلك ما أخبرنا الحاكم الإمام، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد المقرئ، أخبرنا الحسين بن اسماعيل المحاملي، حدثنا عمر بن محمد بن الحسن التلي، حدثنا أبي، حدثنا سفيان الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله[25]: {إن من

---

[25] في النسخة [أ] ما هو مكتوب وهو الصواب، وفي النسخة [ب] و [ت] : قلنا لرسول الله..

الشعر لحكمة}، وبعد، فأي مانع يمنع من تحسين الشعر إذا انتفت عنه وجوه القبح، وتقبيحه إذا وجد فيه وجه من وجوه القبح، من كذب أو مدح من لا يستحقه أو ذم من لا يستحقه، والتشبب بمن لا يجوز ، ونحو ذلك من الوجوه المحظورة، فإذًا الشعر منه على ضربين، منه ما هو حسن مباح، ومنه ما هو قبيح محظور، فلا يجب أن تجري كلها على نمط واحد، وفي خبر الإستسقاء أن أعربيا دخل على رسول الله صلى الله عليه وهو يخطب ليشكوا الجذب، وأنشده أبياتا منها:

أتينـــــــاك والعذراء تدمى لبـــــــــانها وقد شغلت أُم الصـــــــبي عن الطفل

وليس لنـــــــــا إلاّ اليك فـــــــرارنـــــــــــا وأين فرار النـــــــــاس إلاّ إلى الرســـــل

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فمطروا اسبوعا، وجاء الناس يصرخون: الغرق الغرق، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فانجابت السحابة حول المدينة كالاكليل، فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {لله در أبي طالب لو كان حياً لَقَرَّتْ به عيناه}، من ينشدنا قوله؟، فأنشده علي بن أبي طالب عليه السلام أبياتا من القصيدة اللامية التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: لعلك عنيت قوله:

وأبْيـــــضَ يُسْتَسْــقى الغَمـــــامُ بِوَجْهِهِ ثِمــــــــالَ اليَتـــــامى عِصْمَةٌ للأرامِـــــلِ

يَلــــــوذُ بِهِ الهُـــــلاّكُ مِنْ آلِ هـــــــــــــــاشِم فَهُــــمْ عِنْـــــدَهُ في رَحْمَة وفَواضِــــلِ

فقال: أجل، فأنشده أعرابي يمدحه، أولها:

لـك الحمـــــد والشـكـر ممــــن شكـر سـقـيـــــــنـا بـوجـه الـنـــــبــــــــي المـطـر

ومدحه كعب بن زهير بالقصيدة، وأنشده في المسجد، ومنها:

إِنَّ الرَســـــــولَ لَسَيــــــــفٌ يُستَضـــــــــاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِـــــن سُيــــــــــــوفِ اللَهِ مَسلـــــــــولُ

أُنبِئتُ أَنَّ رَســــــــــولَ اللَهِ أَوعَدَنــــــــــــــــــــــي وَالعَفُوُ عِندَ رَســـــــولِ اللَهِ مَأمــــــــــــــولُ

وبقصيدته التي منها:

نَبيٌّ أتَانَــــــــا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ منَ الرسلِ والأوثــــــــــــانِ في الأرضِ تعبــــــــــــــدُ

قال رحمه الله: ومدحه حسّان بأشعار أنشدها إياه، ورثاه بعده، وكان ينشد مراثيه في المسجد فلا ينكره أحد، والمسجد غاص بالمسلمين، حتى روي أنه أنشد يومًا شعرًا في المسجد فنهاه عمر بن الخطّاب رضي

الله عنه، فجاء أبي هريرة حتى شهد له أنه كان ينشد في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع، فتركه عمر رضي الله عنه، والمروي عن فاطمة عليها السلام حين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وزارت تربته، أنها قالت:

مـــــــــــــا ضر من شـــــــــمّ تربة أحمـــــــــــد   أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليــــــــــــا

قل للمغيّـــــب تحت أطبـــاق الثّرى إن كنـت تسمع صرختي ونداثيــــــــا

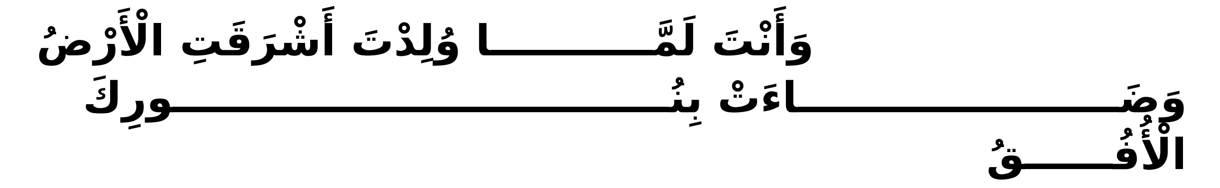
صبّت عليّ مصـــــــــائب لو أنّهـــــــــــــــــا   صبّت على الأيّام صرن لياليـــــــــــــــا

وقد رثاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله فيه صلى الله عليه وآله:

أمن بعد تكفيـــــــن النـــــــبـــــــي ودفنه   بأثـــــــوابه آســــــــــــــى على ميـــــــــــــت ثـــــــــــــــــــوى

لقد غـــــاب في وقت الظـــلام لدفنه عن الناس من هو خير من وطئ الحصى

قال رحمه الله: ومدحه العبّاس بالقافية المشهورة، منها:


وَأَنْتَ لَمَّـــــــا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَضَـــــــــــــــاءَتْ بِنُـــــــــــــــــــــورِكَ الْأُفُـــــقُ

فَنَحْنُ فِـــــــــي ذَلِكَ
الضِّيَــــــــــــــــــــــــــــــاءِ وَفِي
النُّورِ وَسُبِلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

قال رضي الله عنه: ومدائح أبي طالب له كثيرة، وكان ينشدها إياه، وأنشد النابغة الجعدي في مدحه:

أَتَيتُ رَسُولَ اللَهِ إِذ جاءَ بالهُدى
وَيَتلُو كِتـــــــــــــــــاباً كالمجرَّةِ
نَيِّــــــــــــــــــــــــرا

وغيرها، ولو ذكرنا من هذا الجنس ما وردت به الرواية لطال، وقد روي عن كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، كثير من الشعر، قال رضي الله عنه، ولأمير المؤمنين عليه السلام فيما رواه السيد الإمام أبو طالب رضي الله عنه بإسناده عنه:

إنِّي رَأَيْـــــــتُ وَفِي
الأَيَّـــــــــــــــــامِ تَجْرِبَةٌ لِلصَّبْرِ
عَـــــــــــــاقِبَةً مَحْمُــــــــــــــودَةَ الأَثَرِ
وَقَلَّ مَـــــــــــنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ
يُطَـــــــــــــالِبُهُ واستصحب الصَّبْرَ إلاَّ فَازَ بالظَّفَرِ

قال رحمه الله: وله يخاطب جابر بن عبد الله:

لا تَخضَعَنَّ لِمَخلــــــــــوقٍ عَلى
طَمَـــعٍ فَإِنَّ ذَلِكَ وَهنٌ مِنكَ في الديــــــــنِ
وَاَستَرزِقِ اللَهَ مِمّـــــــــــــا فــي
خَزائِنِهِ فَإِنَّما الرّزق بَينَ الكافِ وَالنونِ

قال رحمه الله، ولما توفيت فاطمة عليها السلام، أنشأ يقول:

نَفسي عَلى زَفَراتِهـــــــــــا مَحبوسَـــــــــةٌ يا لَيتَهـــــــــــــا خَرَجَت مَعَ الزَفَـــــــــــراتِ
لا خَيـــــــــرَ بَعدَكَ في الحَياةِ وَإِنَّما أَبكي مَخافَــــــةَ أَن تَطولَ حَياتــــــــــي

ولما دفنها أنشأ يقول:

لكلِّ اجـــتماعٍ مــن خـــليليــــــــــن فرقـــةٌ وكـــلُّ الـــذي دونَ الـــفـــراقِ قليلُ
وإن افـــتقـــادي فـــاطماً بـــعد أحـمدٍ دلــــيـــلٌ عـــلـــى ألا يـــدومَ خـليـــــــــــــلُ

ولما انصرف من دفنها زار رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب فيك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل، ثم أنشأ يقول:

إِنّــــــــــــــــي أَجِلُّ ثَرىً حَلَلتَ بِهِ عَن أَن أُرى بِسِـــــــــــــــــواهُ مُكتَئِبــــــــــــا
ما غاضَ دَمعي عِندَ نازِلَةٍ إِلّا جَعَلتَـــــــــــكَ لِلبُـــــــــكــــــــــــا سَبَـــــــبـــــــــا
وإذا ذكرتك سامحتك به مني الجفون ففاض وانسكبا

قال رحمه الله: وكان الحسن والحسين عليهما السلام ينشدان الأشعار ويمدحان، ويؤخذ منها الجوائز السنية، ومن شعر الحسن عليه السلام:

من كان يبأ بجد فإن جدي الرسول
أو كن يبأ بأمٍ فإن أمي البتول
أو كان
يبأ بزَوْرٍ فزورنا جبريل

وقد جُمِعَ أشعاره كما جُمِعَ أخباره، ومن شعر الحسين عليه السلام، ومن قصيده:

فإن تكن الأبدان للموت أنشأت
فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

قال رحمه الله: ومدح الفرزدق علي بن الحسين عليهما السلام بالميمية المعروفة، لما سئل من هو، فقال:

هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ
وَالبَيـــــــــــــتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ
هَذا اِبنُ خَيــــــــــرِ
عِبـــــــــــــــــــادِ اللَهِ كُلِّهِمُ هَذا التَقِيُّ النَقِيُّ
الطاهِرُ العَلَمُ
إِذا رَأَتهُ قُرَيـــــــــــــــــــشٌ
قـــــــالَ قائِلُـــــــــــها إِلى مَكـــــــــــــــارِمِ هَذا
يَنتَـــــــــــــــــــهي الكَرَمُ

قال رحمه الله: وله[26]: قال بكربلاء:
خيـــــــــــرة الله من الخلق
أبي ثم أمـــــــــــي فأنا ابن
الخيّريـــــــــــــــــــن
من له جد كجدي في الورا أو
كشيـــــــــــخي فأنا ابن القمريـــــن

[26] أي الحسين بن علي عليه سلام الله

فاطم الزهـــــــــــــــراء
أمـــــــــــــــــــــي وأبي قاصم الكفر ببدر وحُنين

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الإصطخري ببغداد، حدثنا أبو خليفة الجمحي، عن عبد الرحمن، عن عمه، قال: حبس عبد الله بن علي المستهيل بن الكميت، فكتبه له:

لئن نحن خفنا في زمان عدوكم
وخفناكم إن البلاء لراكد
فأطلقه.

[المجلس السابع من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، الخامس والعشرون من شوّال سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، وهو ملحق ما قبله من الإملاء]

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد بن محمد بن اسحاق النجّار رحمه الله، حدثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله البخاري إملاءَ، حدثنا أبو سعيد الهيثم بن أحمد البصري، حدثنا دينار، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {طلب العلم فرضية على كل مسلم}.
قال رحمه الله: وقد روى هذا الخبر أبو حنيفة رحمه الله عن أنس، وكان أبو حنيفة رضي الله عنه لقي جماعة من الصحابة، منهم أنس، وروى عن كل واحد حديثا، وفائدة الخبر وجوب طلب العلم على كل واحد، ولا شبهة أن جميع العلوم لا تجب، وإنما الواجب أصول التوحيد والعدل والنبوات وأصول الشرع، وما عدا ذلك لا يجب على كل واحد، وإنما هو من فروض الكفاية، كدقيق

الكلام وفروع الفقه، وقد تعرض الشبهة فيجب حلها على الجميع.

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا أبو العبّاس محمد بن اسحاق الثقفي، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا الخليل بن عمرو، حدثنا ابن السماك، عن عبد الواحد، عن زيد قال: كان يقال: [من عَمِلَ بِمَا عَلَمَ، فَتَحَ الله لَهُ مَا لاَ يَعْلَمْ].

قال رحمه الله: المراد بالخبر أن من عَلِمَ وعَمَلَ، وَفَّقَهُ الله تعالى وهداه إلى ما لا يعلم بألطافه، ونظير ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى } [محمد : 17] و {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت : 69].

قال رحمه الله: ونعود إلى ما ذكرنا قبل في الشعر، قال: ولزين العابدين عليه السلام الندبة المعروفة، تتضمن النظم والنثر، ورواه سفيان ابن عيينة عن الزهري عنه، وأنشد المنذر بن الجارود أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من شيعته، وشهد معه المشاهد، يمدحه ويمدح الحسن والحسين بقوله:

أبا حسن أنت شمس النهار
وهذان في الحادثات القمرْ
وأنت وهذان حتّى
الممـــــــــات بمنزلة السّمع بعـــــــد البصر

قال: ولما بويع أمير المؤمنين عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقف خزيمة بن ثابت الأنصاري بين يدي المنبر وقال:

اذا نحن بايعنا عليا

فحسبنـــــــــــــا أبو حسن مما نخـــــــــــــاف الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس

انه أطب قريش بالكتاب وبالسنن

وللعبّاس رضي الله عنه يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجرت أنباء السقيفة:

ما كنت أحسب أن الامر

منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صـــــــلى

لقبلتـــــــــــــــكم وأعلم الناس بالقـــــــــــــرآن والسنن

ولما قُتِلَ عمّار بن ياسر في صفين، أنشأ أمير المؤمنين يقول ويرثيه:

أَلا أيُّهَا الدَّهْرُ الذَّيْ هُوَ قَاسْطِي
أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَليلِ
أَراكَ بَصِيــــــــــراً
بالذَّيـــــــــــــــــنَ أُحِبُّهُمْ كأنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ
بِدليــــــــــــــلِ

قال رحمه الله: ودخل دعبل بن علي وإبراهيم بن العباس مجلس الرضا عليه السلام حين بويع له، فأنشده دعبل قصيدة:

مَدارِسُ آياتٍ خَلَت مِن تِلاوَةٍ
وَمَنزِلُ وَحيٍ مُوْحِش العَرَصاتِ

وأنشده ابراهيم قصيدته التي أولها:

أزالتْ عزاء القلبِ بعد التجلُّدِ
مصــــــــــــــــــارعُ أولادِ النبيِّ محمدِ

قال رضي الله عنه: ولما احتضر زيد بن علي عليه السلام، قال لإبنه يحيى: ما في نفسك يا بني؟ ، قال: أجاهدهم في الله، إلا أن لا أجد من يُعينني، قال: يا بني نعم، جاهدهم، فوالله انك على الحق وإنهم على الباطل، وأن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار، ثم أنشأ يقول:

أُبـنيّ إمّـا أهـلكنّ
فــــــــــــــــــــلا تكنْ دنِـسَ
الفِعـــــــــال مُبيَّض الأثوابِ
واحـذر مُـصاحبة اللئيم فإنّما
شَـين الكريم فسولة الأصحابِ

ولـقد بلوتُ النــاس ثم خَبَرتُهم
وبلوتُ ما وصلوا من الأسبـــــــاب
فـإذا القرابة لا تُقرّب قاطعاً
وإذا الـمودّة أقـرب الأنســـــــــــــابِ

قال رضي الله عنه: ولزيد بن علي عليهما السلام:

السيف يعرف عَزْمِي عِنْدَ هَبَّتِهِ
والرُّمح بـــــــي خَبِرٌ والله لـــــــــــــي وَزَرُ
إنا لنأمـل مـــــــــــــــــــــــــــا
كانــــــت أوائلنـا مِنْ قَبْلُ تأمُلُه إن ساعد القَدَرُ

وله أيضا:

يقولـون: زيدٌ لا يزكـــــــــــــي
بمـــــــــــــــــــالـه وكيف يزكي المال من هو باذله؟
إذا حال الحولِ لم يَكُنِ في ديارنا
من المـــــــــــــال إلا رَسْمُه وَ فَوَاضِلُه

وليحيى بن زيد عليهما السلام لما قُتِلَ أبو زيد:

خليـــــليَّ عنِّـــــــي
بالمديــــــــــــــنةِ بلِّغا بني هاشــــــــمٍ أهل النهى والتجاربِ
فحتى متى مروان يقتل منكم
سرّاتــكم الدهرَ جمُّ العجـــــــــــــــائبِ
لكل قتيـــــــل معشر
يطلبـــــــــــونه وليـــــــــــس لزيـــــــد في العراقين طالب

قال رحمه الله: وخرج زيد من عند هشام بن عبد الملك وكان جرى بينهما شيئٌ وحشه، وهو يقول:

من استشعر حب البقاء استدثر الذل الى الفناء

فلما خرج يحيى أنشأ يقول:

يابن زيد أليس قد قال زيد من أحب الحياة عاش ذليلآ
كن كزيد فأنت مهجة زيـــــــد تتخذ في الجنـــــــان ظلآ ظليـــــــلآ

قال رحمه الله: ولما ورد الخبر على ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بقتل أخيه النفس الزكية، وكان يوم عيد الفطر، فنعاه إلى الناس وبكى وأنشأ يقول:

يابا المنازل يا خير الفوارس من يفجع بمثلك في الدنيـــــــــــا فقد فجعا
الله يعلم أنـــــــــي لو خشيـــــــــــــــــــــــتهم وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخـــــي أبدا حتى نموت جميـــــعا أو نعيـــــــــــش معــــا

وله فيه:

سأبكيكَ بالبيضِ الرقاقِ وبالقنا فإنَّ بهـــــا ما يُدركُ الطالبُ الوترا
ولسنا كمن يبكـــــي أخـــــــــــــــــــاه بعبرةٍ يُعصرها من جفن مُقلته عصرا

ولكننـــــــــــي أشفـــــــــــي الفؤادَ بغـــــــــــارةٍ وألهبُ فــــي قُطريْ كتائبهـــــــــا جمرا

قال رحمه الله: وللقاسم والناصر عليهما السلام أشعاراً كثيرة، وكان الناصر عليه السلام يقول: لو جاز قراءة شعرٍ واحدٍ في الصلاة لكان شعر القاسم عليه السلام، قال رحمه الله: ولأبي الحسن العلوي الحماني:

أصبحت لا أخشى ولا أتقي خلقا ولـــــــــــــي فضل هو الفضـــــل
جدي نبــــــــــــــــي وإمامـــــــــــــــــي أبـــــــــــــــــي وديـــــني التوحيـــــــد والعدل

قال رحمه الله: وجاء الكميت إلى الفرزدق وقال: قد قلت قصيدة أريد عرضها عليك، فقال: هات، فأنشد:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ولاَ لَعِبَاً أذُو الشَّيـــــــــــبِ يَلعَبُ

فقال: طربت لمن ثكلتك أمك؟، فأنشد:

وَلكِن إِلى أهلِ الفَضَـــــــــــــــــــائِلِ والنُّهَى وَخَيـــرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ

فقال الفرزدق: هؤلاء بنو آدم، فقال الكميت:

إلى النَّفَرِ البيضِ الذِيـــــــــــــــــــــنَ بِحُبِّهم إلـــــــــى الله فِيــــــــمـــــَا نَابَنِـــــــي أتَقَرَّبُ

فقال الفرزدق: هؤلاء بني هاشم، فقال الكميت:

بَنِـــــــــــــــي هَـــــــــــــــــــــــــــاشِمٍ رَهطِ النَّبـــــــــــــــِيِّ فإنَّنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأغضَبُ

فقال الكميت:

والله لو جُزتهم إلى سواهم لذهب قولك باطلاً

قال رحمه الله: وفي حديث قس بن ساعدة أن النبي صلى الله عليه وآله روى كلامه بسوق عكاظ، فروى ابن عبّاس وأبو هريرة، قالا: قَدِمَ وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه، فقال: هل فيكم من يعرف قس بن ساعدة؟، قالوا: نعم، كنا نعرفه، وإنه هلك، فتأوه رسول الله صلى الله عليه وآله لموته ثم قال: كأني به على جمل أورق بسوق عكاظ وهو يخطب الناس يقول:

يا أيها النَّاسِ اجتمِعوا وعوا واتعظوا وانتفعوا، كلُّ من عاش ماتَ، ومن مات فات، وكلُّ ماهو آتٍ آتٍ، إن مطر ونبات وآيات بعد آيات، بساط مبسوط، ومهاد موضوع، وسقف مرفوع، وشهاب متبوع، ونجوم تغور، وبحار تمور ، وفلك يدور، إنَّ في السَّماءِ لخبرًا وإنَّ في الأرضِ لعِبَرًا معاشر إياد، أين ثمود وعاد،أين الآباء والأجداد، أقسم قُسٌّ بالله لا كذبا ولا اثما، لئِن كان في الأرض رِضًا ليَكونَنَّ فيها سخطٌ، وإنَّ لله دينًا هو أحبُّ إليه مِنْ دينكم هذا الذي أنتم عليه، ما لي أرَى النَّاسَ يذهبونَ ولا يرجعونَ أرَضوا بالإقامةِ فأقاموا أم تُرِكوا فنَاموا، أين القرون الماضية ديارهم خاوية، ثم قال صلى الله عليه وآله: ثمَّ أنشأَ أبياتا لا أحفظها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا حضرت لك المقام والمقال، فقال صلى الله عليه وآله: ما هي؟ فقال أبو بكر: ثم أنشأ يقول، وروي أن أبا بكر قال: ثم أنشأ أبيات شعر لساني ما ينطق بها،

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قله، فإن الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ثم أنشأ يقول:

في الذَّاهبيـــنَ
الأوَّليـــــــنَ مِنَ القرونِ لنا بَصَـــــــــــائِرْ
لمَّا رأيتُ مَوارِدًا للمَوْتِ
ليــــس لهــــا مَصـــــــــــــــــــــادِرْ
ورأيتُ قومــــــي
نَحوَهـــــــا يمضي الأصاغِرُ والأكابِرْ
لَا يَرْجِعُ المَاضـــــــــــِي
إِلّــــي ولا منَ البـــــــــاقينَ غَـــــــابِرْ
أيقنتُ أنِّـــــي لا
محــــالةَ حيثُ صارَ القومُ صـــائِرْ

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على وفد إياد فقال: هل وجدت لقيس وصية؟

قالوا: نعم، صحيفة تحت رأسه وفيها:

يا ناعي الموت والأموات في
جدثٍ عليــــــــهم مــــن
بقايـــــــــــــــــــا بزهم خرق
دعهم فإن لهم يوما يصاح
بهـــــم كمـــــــا يــــــنبه مــــن
نومـــــــــــاته الصعق
حتى يحىّ بحال غيـــــــر
حـــــــــــــــالهم خلق مضوا ثم ماذا بعد ذلك لقوا
منهم عـــــــــــراة ومنهم في
ثيـــــــــــــابهم منها الجديـــــــــد
ومنها الأورق الخلق

فقال صلى الله عليه وآله: لقد آمن قس بالبعث، روي أنه قال: أما إنه سيحشر قس يوم القيامة أمة وحده، وذكر أبو عثمان الجاحظ قال: لإيادا إسناداً تعجز عليه جميع البشر، فإن راوي كلامهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

أخبرنا الحكام رحمه الله، قال أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، قال: أنشدني القاضي الخليل بن أحمد السجزي، قال أنشدني القاضي أبو طاهر لمحمد بن الحسن الشيباني رحمه الله:

ما يضرُّ البحرَ أمسى زاخرًا
إنْ رمى فيه غلامٌ بحَجَرْ

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال أخبرنا الشيخ أبو حامد، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا العبّاس بن محمد، حدثنا جعفر بن عون، قال: سمعت مسعراً يقول:

ومُشَيِّدٌ دارا ليسكنَ دارَه
سكن القبورَ وداره لم يسكن

قال رحمه الله: أنشدني الشيخ أبو حامد، أنشدني أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، عن أبيه، لأبي حنيفة رحمه الله:

نُرَقِّعُ دُنيَانا بِتمْزيقِ دِيننا
فلا دِينُنا يبقَى ولا ما نُرقعُ[27]

[27] وهو نفس البيت الذي ختم به المجلس الثاني

[المجلس الثامن من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، في الجامع بقصبة جشم، الثالث من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل، حدثنا جدي محمد بن اسحاق بن خزيمة، حدثنا علي بن حجر، حدثنا اسماعيل بن جعفر، حدثنا سعد بن سعيد بن قيس الأنصاري، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها، [أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن لبستين، وعن صومين، وعن صلاتين، عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وعن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعن صيام يوم عيد الأضحى، ويوم الفطر، وعن اشتمال الصَّمَّاءِ وعن الإحتباء في ثوب واحد، ليس على ثوبه منه شيء.]

وقال رضي الله عنه: أما الصلاة بعد الصبح إلى أن تطلع الشمس، فاتفقوا على أنه لا يجوز النفل إلا ركعتا الفجر، واتفقوا على أن الفرائض جائزة، واختلفوا في النوافل التي لها أسباب، فعند أبي حنيفة وأصحابه: لا تجوز، وعند الشافعي: تجوز، والخبر حجة عليهم، وعلى هذا بعد العصر إلى غروب الشمس، لا تجوز النوافل، وتجوز الفرائض، وإنما هو نهي كراهة، لأنه لو صلى لكانت صلاته جائزة، وأما صوم العيدين فلا يجوز أن يصوم فيه، فإن صام هل ينعقد صومه، منهم من قال: ينعقد، ومنهم من قال: لا ينعقد، فإن نذر صوم يوم العيد هل يلزمه؟، قال أبو حنيفة: يلزمه صوم يوم آخر، كما لو نذر الصلاة في مكان مغصوب، وقال الشافعي: لا يصح النذر، ولو شرع فيه ثم أفسده هل يلزم بالشروع؟ روي عن أبي حنيفة أنه لايلزمه، وروي عنه أنه يلزمه، وأما لبسة الصَّمَّاءِ، قال أبو عبيد: تفسير الفقهاء هو أن

يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فييضعه على منكبيه، وإنما نهى عن هذا لإنكشاف العورة، وأما أهل اللغة ففسرّوا بأن يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده، لا يرفع منه جانبا، فيكون فيه فرجة تخرج منه يده، فعلى هذا النهي لكيلا يدفع إلى حالة شادة لمتنقبه فيهلك، وقيل: إشتمال الصَّمَّاءِ أن تبتحف بثوبك ثم تلقي الجانب الأيسر على الأيمن، وأما الإحتباء، هو أن يجمع ظهره وساقيه بثوب، يقال: إحتبأ الرجل إذا فعل ذلك.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق الحافظ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي، حدثنا علي بن سهل الرملي، حدثنا مؤمل بن اسماعيل، حدثنا إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الله وملائكته يُصلُّون على الصف الأول}

قال رحمه الله: فائدة الخبر التنبيه على فضل الصف الأول في الجماعة، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها}، فأما الصلاة، ففي الأصل هي الدعاء، وفي الشرع: إسم لأفعال مخصوصة، وإذا استعمل في صفة الله تعالى فهو بمعنى الرحمه، وإذا استعمل في الملائكة والمؤمنين فبمعنى الدعاء والشفاعة، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ} [الأحزاب : 56]، فالمراد به أن الله تعالى أثنى عليه بما هو أهله، وأتم عليه نِعَمُه في الدنيا والدين برحمته، والمراد من الملائكة والمؤمنين الدعاء له وسؤال الرحمة والدرجة.

قال رحمه الله: ونعود إلى ذكر الشعر، قيل لعائشة رضي الله عنها: أكان النبي يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: نعم، من شعر بن رواحة، وربما قال هذا البيت:

ويأتيك من لم تزود بالأخبار[28]

وروي عن الهادي عليه السلام في الأحكام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة رضي الله عنه:
{أترويين شعر بن غريض اليهودي؟ قالت: لا، فقالت أم سلمة: لكنني أرويه، فقال لها: وكيف؟ قالت:

يَجْزِيكَ أو يُثْني عليك، وإنّ مَن
أثنى عليكَ بما فَعَلْتَ فقد جَزى

فقال صلى الله عليه وآله: قال لي جبريل: [يا محمد، من أولاك يداً فكافئه، فإن لم تقدر فاثن عليه]}، وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من يحمي أعراض المؤمنين؟ قال كعب: أنا، وقال ابن رواحة: أنا، وقال حسّان: أنا، فقال: أهجهم، فإنه ستعينك عليهم روح القدس}، وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يتشد عليه الشعر، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل} وقيل لأبي الدرداء: كل الأنصار قال الشعر غيرك، فقال: وأنا أقول:

يُريدُ المَرءُ أَن يُعطى مُناهُ
وَيَأبــــــــــــــــــــى اللَهُ إِلّا مـــــــــــــــــــــــــــــــا أَرادَ
يَقولُ المَرءُ فائِدَتي وَمالي   وَتَقوى اللَهِ أَفضَلُ ما اِستَفادَ

---

[28] والمشهور بهذا اللفظ: ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ

وعن جابر بن سمرة قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتناشدون وهو جالس يتبسم، وروي أنه صلى الله عليه وآله أمر حسّانا بإجابة قريش، وأمره بالرجوع إلى أبي بكر رضي الله عنه، فإنه أعرف بمعايب القوم، فأما تأويل قوله صلى الله عليه وآله: {ليمتلئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعرا} يقال: إن المراد به ما هجي رسول الله صلى الله عليه وآله به والمسلمون، وروي عن عائشة، وقيل لها أن أبا هريرة يقول: {لأن يتملئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعرا}، فقال: رحم الله أبا هريرة، حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره، إن المشركون كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: {لأن يتملئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعرا بما هجي به رسول الله صلى الله عليه وآله}، وذكر أبو عبيدة أن تأويل الخبر: أن يغلب عليه الشعر حتى يشغله هم غيره من علوم الدين، فقال: والذي يصحح ذلك: أن ما هجي به رسول الله صلى الله عليه وآله قليله وكثيره سواءٌ في التحريم، وها هنا إنما حرم أن يمتلئ به بطنه، ويحتمل أنه أراد به الأشعار المحظورة، فهو عموم أريد به الخصوص، وقد قيل: وقد قيل: ليس المراد بالإمتلاء الكثرة، وإنما المراد أن يشتغل بشعر لا يبيحه الشرع، بل حظره، وأن قليله ككثيره في الحظر ، فإذا ثبت هذا، فجميع ما ورد من النهي في الشرع محمول على شعر يحظره الشرع دون ما يبيحه، وعلى هذا يحمل حديث مسروق في تفسيره {لَهْوَ الْحَدِيثِ}، ولذلك قرنه بالغناء، فأما حديث عطاء فحشو لا يحتج بمثله، وروي عنه في خبره أنه قال [أي إبليس كما تقدم] : ما قرأتي وجميع ذلك مردود سواء قاله بالنون أو التاء، فأما ما ذكر في القرآن ما يوازن الشعر ففاسد لوجوه نذكرها ثم نتكلم على ما

أورده، فمما يدل على ما ثبت أن جماعة من الشعراء والخطباء في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده إلى يومنا هذا راموا إلى معاضرة القرآن واجتهدوا كل الجهد وبذلوا الأموال فعجوا عن إيراد مثله، فلو كان فيه ما هو شعر وهم شعراء مجيدون مفلقون لقالوا فيه أشعار، وقد قلنا ما يماثله، والمعارضة ببعضه تكفي في إبطال التحدي، فلما لم يقبل أحد ذلك عُلم أنه لا شعر فيه، ومنها: أنه قد ثبت حرض القوم على إبطال أمره ومبادرتهم إلى تكذيبه بكل ما يمكنهم مع فساده، فلو سمعوه مرة يقرأ {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ } [الحاقة : 41] {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ } [يس : 69] وأخرى يقرأ ما يوازي أشعارهم لبادروا إلى عيبه، ولأظهروا مناقضته في كلامه، ولم يروا عن أحد أنه إدعى ذلك عليه طول أيامه، وهم أهل اللسان ومعدن الفصاحة ونقدة الكلام، فَعُلِمَ أنه ليس فيه ما هو شعر، ومنها أن جميع ما يذكرونه إما هو بيت يقابل بعض آية، أو بعض بيت يقابل آية، ومثل ذلك لا ينكر أن يقع في الكلام ولا يدّعي أنه شعر ولا بالمماثلة بين الكلامين، ونحن لا ننكر ذلك، وإنما ننكر أن يكون آية تامة تقابل بيتاً، فإن القرآن مفصل بالآيات كما أن القصائد مفصلة بالأبيات، ومثل ذلك لا يوجد في القرآن، ومنها أن كل ما يذكرونه لا يصير بيتا مفيدا إلا بزيادة أو نقصان، أو زيادة إعراب أو مد لا يبيحه الشرع، فأما تفصيل الآيات فقد بيّن أهل هذا الشأن أن شيئا من ذلك لا يعد شعرا عن أهل الصنعة، وقالوا بعض ذلك إنما يذكرونه مغالطة، فمن ذلك قوله تعالى: {وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة : 14]، زعموا أن بعض الشعراء أدخله في شعره وجعله بيتاً وزعموا أنها تخرج مع الوافر، والجواب أن في الآية قرأتين، منهم من قرأ مؤمنين، من غير إلحاق ألف به، فإما أن يقف بالجزم أو بإشارة إلى

الفتح، فلا يكون بوزن بيت، ولا يوجد مثله في أجناس ما ادّعوه أنها منها، ومنهم من ألحق ألفا بالمؤمنين، وقرأ مؤمنينا، فلا يدل على ما قالوا، لأنه يحصل بعض آية بوزن بيت تام، على ما قدما، وقوله {يُخْزِهِمْ} و {عَلَيْهِمْ} إذا قرئ بإشباع الكسرة والضمة في عليهم لا يكون شعرا أصلا، وذلك على قراءة من قرأوا {وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ } لا يكون بيتا أصلا، لأنه لا يوجد ذلك في شيء من أوزان الشعر، قال الشيخ أبو الحسن الأهوازي: الآية يصيّر وزن الكلمة مفاعلتن، ومما أورده قوله تعالى: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة : 117]، قال أبو الحسن: إنما يكون بيتاً من قوله {فَلَمَّا} إلى قوله {كُلِّ}، فيفسد من وجهين، أحدهما أن الكلام ناقص، والثاني أنه بعض آية بوزن بيت تام، كما ذكرنا، فإن أُلْحِقَ به {شَيْءٍ شَهِيدٌ} فسد من وجهين أيضا، أحدهما: أنه يصير عشرة أجزاء، وليس ذلك في أجناس الشعر، والثاني: أنه يحصل بعض آية بوزن بيت تام، ومما أوردوه : قوله تعالى: {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ } [الشعراء : 35]، وذلك فاسد لأنه بعض آية في مقابلة بيت، ومما أوردوه قوله تعالى: {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ } [سبأ : 13]، وذلك لا يصح، لأنه بعض آية يقابل بيتاً، ومما أوردوه {لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} [سبأ : 30]، وهذا مغالطة منهم، قال أبو الحسن: إنما يكون بيتا إذا حُذِفَ من قوله {لَا تَسْ} ويوصل قوله {يَوْمٍ} بقوله {تَأْخِرُونَ} ويوقف مع ذلك على تأخرون بألف، فيقال تأخرونا، ويجعل مصراعين، وعلى قوله يستقدمون، بألف ويجعل مصرعا آخر وإذا غيّرت هذه التغييرات لا يكون قرآنا، ومما أوردوه: قوله تعالى: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} [الإنسان : 14]، وهذا إنما يكون بيتاً على قراءة من قرأ عليهمي

وإنما يكون بيتاً إذا حذف الواو من أوله ويبدأ من قوله دانية، فأما مع حصول الواو فلا يكون بيتاً، وعلى قراءة من قرأ عليهم لا يكون بيتاً البتة، ومما أوردوه {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3)} [الشرح : 2 - 3] وهذا فاسد لأنه آية بوزن بعض بيت، وذلك مما لا ننكره، ومما أوردوه قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)} [الماعون : 1 - 2]، وهذه مغالطة، لأنه إنما يكون بيتاً إذا قرئ: فذاك، وزيد في آخره ألفاً، فذاك الذي يدع اليتيما، فأما الآية على هيتها فلا تكون بيتاً البتة، ومما أوردوه قوله تعالى: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } [الصف : 13]، وهذه آية تقابل بعض بيت.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي الحافظ، أخبرنا أبو العبّاس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الخلاّل، وأبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزّار بمصر، قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن يوسف بن صالح الطرايفي، زاذ منير وأبو عقال سلامة مولى محمد بن عزيز الأيلي، حدثنا سلامة بن روح، حدثنا عقيل بن خالد، حدثنا ابن شهاب، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {أكثر أهل الجنة البله} أي أكثر أهلها الكرام، لأن الكريم يتباله، قال الشاعر:

وَإِذا الكَريمُ أَتَيتَهُ بِخَديعَةٍ فَوَجَدْتَّهُ فيما أَتَيْتَ يُسارِعُ
واِعلَم بِأَنَّكَ لَا تُخادِع بَاخِلا إِنَّ الكَريمَ بِفِعلِهِ يَتَخادَعُ[29]

[29] قال الناسخ: وقوله:
استمطروا من قريش كل منخدع إن الكريم إذا خادعته انخدعا

[المجلس التاسع من إملائه رضي الله عنه ملحق بما قبله]

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد بن حمدان، قالا: أخبرنا أبو العبّاس حامد بن محمد بن شعيب، البزّار، حدثنا أبو عمّار الحسين بن حريث المروزي، حدثنا الفضل بن موسى عن الأعمش، عن أنس بن مالك قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله قوما يعودهم، فإذا إمرأة تنسج بردا لها، وعندها صبي لها فأحيانا تضرب جفنها، وأحيانا تقبل على صبيها، ففعلت ذلك مراراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ترون هذه ترحم صبيّها؟، قالوا نعم، قال: الله أرحم بعباده من هذه بصبيّها}.

قال رضي الله عنه: فائدة الخبر أن عيادة المرضى سُنَّة، وأنه صلى الله عليه وآله مع جلالته كان يزور المؤمنين ويعود مرضاهم، وفيه بيان كثرة رحمة الله بعباده، فيوجب أنه لا يعاقب أحداً بغير ذنب، ولا أحداً بذنب غيره، ولا ينقص من ثواب أحدٍ، بل يتفضل عليهم بِنِعَم الدين والدنيا، وأنه لا يُرِيد أن يَعْصوا ليُعَذِّبهم، ولا يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم، ولا يخلق أحداً للنار، ولا يُكَلِّفهم ما لا يطيقون ثم يعذبهم إن لم يفعلوا، لأن جميع ذلك ينافي الرحمة، ومعنى الرحمة هي النعمة، على المحتاج، والنعمة هي منفعة يفعلها بغيره، ويقصد بها الإحسان، فإذا فعل كذلك كان نعمة يجب شكرها، وجميع ذلك خلاف مذهب المُجَبِّرَة القَدَرِيَة.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا الحسين بن علي التميمي الميكالي، أخبرنا أبو العبّاس الثقفي، حدثنا

أحمد بن حسين بن خرّاش وعبد الوارث، قالا: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا شعبة، عن عاصم، عن زر، عن عبد اللهبن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {من صلى على جنازة فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، والقيراط مثل أُحُدْ}.

قال رضي الله عنه: فائدة الخبر أن الصلاة على الجنائز ودفن الموتى مشروع، ولا خلاف أن ذلك فرض، وأنها من فروض الكفاية، فإذا قام بها بعض الناس سقط عن الباقين، وإنما الخلاف في مواضع، منها إنها صلاة أم دعاء، والخبر يدل على أنها صلاة، ومنها أنه هل يُصَلَّى على كل ميت يُظْهِرُ الشهادتين، قال أبو حنيفة: بلى، إلا الباغي وقاطع الطريق، وقال الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام: إلا على الفساق، وقال الشافعي: يصلى على الجميع إلا على الشهيد، ومنها صفتها، فعند الشيعة خمس تكبيرات، وعند الفقهاء أربع، وروي جميع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما شرع القعود حتى يدفن، ليعتبر ويتّعظ به.

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أبو علي أحمد بن علي الموصلي، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لا يدخل الجنة جسدٌ غذّي من حرام}.

قال رضي الله عنه: الخبر يدل على الوعيد، وهذا في المُصِر، وأما التائب فأجمعوا على أنه لا يُعَذَّب إذا أتى التوبة بشرائطها.

قال رحمه الله: ونعود إلى ذكر الشعر ، قال: فأما ما ذكره أن في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو شعر ففاسد لما بيّنا من قبل أنهم لو سمعوه يقرأ {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ } ثم سمعوا منه شعراً لصاحوا عليه

بالنقض والتكذيب، ولقالوا هو شاعر، فلما لم يفعلوا مع شدة حرصهم على توهين أمره، عُلِمَ فساد ما قالوا، ولأن ما يعدونه لا يكون بيّنا إلا بزيادة أو نقصان أو تغيير، فيخرج حينئذ من أن يكون كلامه صلى الله عليه وآله، وقد قال بعضهم إن الرجز لا يكون شعراً، ثم كل ما يُورِدُنَه أخبار آحاد لا يعترض بها على كتاب الله، والمشهور من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله، والمتعالم من حاله أنه لم يكن شاعراً، ولأن الشاعر إذا قال بيتاً وقال آخر بيتاً يقاربه أو يماثله يقال عارضه، فلو كان في كلامه ما هو شعر لقالوا له عارضناك ولأدّعوا بطلان تَحَدِّيه، لأنهم كانوا يعتقدون أن القرآن كلامه، ولأنه إذا اتفق أثناء كلامه ما يوافق بعض بيت لا يُعَدُّ ذلك شِعْراً، ولا قائله شاعرا، لأن ذلك يوجد في كلام كل متكلم وإن كان كلهم لا يعد شعراً،فإن قال: ما الفائدة في منعه من قول الشعر وروايته، قلنا: كونه مفسدة له أو لأمته أو لهما، وكونه على خلاف ذلك مصلحة له أو لأمته أو لهما، والله تعالى هو العالم بتفاصيل المصالح، ولهذا أعطى الله تعالى بعضهم آلة الشعر دون بعض، وأعطى بعضهم آلة الصوت دون بعض، وهكذا الأرزاق والأولاد وجميع أسباب الدنيا، ولهذا قال الله تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ } [الشورى : 27]، ويحتمل أنه منعه من ذلك تأكيداً لنبوته وتحقيقاً لصحة معجزته، ولهذا منعه من الكتابة، فقال تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت : 48]، وإذا كان صلى الله عليه نشاء فيما بينهم وهو يسمع فلا يخوض فيه، ثم أتاهم بكتاب على نظم وفصاحة تخالف جميع أجناس كلامهم، وادّعى النبوة وعاب آلهتهم ودينهم وسفّه أحلامهم، وتحدّاهم بذلك، وجعل آية صدقه عجزهم عن معارضته مع وفور

دواعيهم إلى معارضته كان أبلغ ذلك في الإعجاز وأظهر في الدلالة، ويحتمل وجها آخر، وهو أن الشعر يدخله الصدق والكذب والحسن والقبيح، وإن كان الشاعر لا يوجد في كلامه إلا الحسن فلا يخلو من أن يكون ذلك مجالاً لأقوال المخالفين، وإتهاماً من المتعنتين، ومغمزاً للطاعنين، فنزهه الله تعالى عن ذلك، بحيث لا مطعن لأحد في شيء من أحواله ولا في أقواله وأفعاله، ويحتمل وجه آخر، وهو أنه عليه السلام مع أنه لم يُسمع له شعر قط، كان المخالفون يقولون إنه شاعر، فلو كان معروفا بالشعر لتم عليهم تدابيرهم وتمويههم، فنزهه الله تعالى عن ذلك، فإن قيل: فكيف منع من ذلك؟ قلنا: يحتمل وجوهاً منها: أنه منعه العلم الذي ينظم به الكلام وهي علوم ضرورية تحصل في العبد من فعل الله تعالى، وهي بمنزلة العلم بسائر الحروف والصناعات، والمحفوظ من العلوم والأداب، فإذا منع ذلك، لم يمكنه قول الشعر ولا إنشاده، ومنها أنه كان يمكنه ذلك ولكن لم يفعل ولم ينشد من حيث علم بالعادات والتجارب أنه لو رامه لمنع منه، وهذا كما نقول أن أهل الجنة لا يقدمون على كذب وقبيح مع قدرتهم عليهما لهذا الوجه، وهذا أحد وجوه الإلجاء لأهل الجنة عند مشايخنا، والوجه الآخر أن يغنيهم بالحسن عن القبيح، ومنها أن يصرفه عن ذلك بألطافٍ يفعلها تعالى به، فلا ينشئه ولا ينشد، والمعصوم عندنا قد يكون معصوماً بأن ينصرف عن المعاصي بألطاف الله تعالى، فلا يمتنع ذلك هاهنا، ومنها أن هذا النوع من العلم إنما يحصل عند ممارسةٍ ومدارسةٍ، فيجوز أن يكون تعالى صرفه عن ذلك فلم يمارسه، فلم يحصل له ذلك، وكل ذلك جائز، فأما ما رووه عنه صلى الله عليه، فمن ذلك قوله:

أَنَا النـبـــــــــــــــــــيُّ لا كَذِبْ أَنَـــــــــــــا ابنُ عبـــــــــدِ المُطَّلِبْ

فقد ذكر الأخفش إن ما كان على هذا المثال لا يكون شعرا، وإن سلّمنا أنه يكون شعرا، فليس في الخبر أنه وقف على آخر هاتين الكلمتين، فجائز أنه تكلم بالوصل وبين الإعراب، فلا يكون شعرا، وإن وقف فهو بعض بيت، ونحن لا ننكر ذلك، وقد روي أنه كان يقول:

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِـلاً
ويَأْتِيْـكَ مَنْ لَمْ تُـزَوِّدِ بِالأَخْبَـارِ

ويحتمل أنه اتفق ذلك في كلامه من غير قصد، وبذلك القدر لا يكون شاعرا، لأن الشاعر من ينظم كلامه على وجه مخصوص، فأما قوله:

هلْ أَنْتِ إلَّا إصْبَعٌ دَمِيتِ

فيحتمل أنه وقف على الكلمتين بالسكون، فلا يكون شعراً، أو اتفق كلامه من غير قصد على ما قدّمنا، وقد روي [دَمِيتِ] بكسر الميم وسكون الياء وفتح التاء فلا يكون شعراً، وقوله:

الله مولانا ولا مولى لكم

فهذا إنما يكون شعراً إذا وقف على الميم من قوله [لكم]، فأما إذا وصل كلامه فلا يكون شعراً، فعلى هذا يجب أن يعتبر الكلام، قال رحمه الله: أنشدنا الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي بن اسماعيل الميكالي رحمه الله لنفسه:

أخلوا ببثـــــــي ولا أشكوا إلى أحد
ما قد أصابته مني سطوة الزمن
وأليس الصبر درعا ارتجى فرجا
من عند ربٍ كريــــــــــمٍ ســــــابغ المنن
فطال ما ًقد كفاني آخداً بيدي
وردّ كيــــــــــــــد عدوي واهـــــــــــــي المنن

قال رحمه الله: وأنشدني الحاكم أبو الفضل اسماعيل بن محمد بن الحسن رحمه الله لنفسه:

تمنيـــــــــــت أن تحيا
حيــــــــــــــاة هنية وأن لا ترى مد الزمـــــــان بلابلا
رويدك هذى الدار سجن وقلما
يمر على المسجون يوم بلا بلا

البلابل وسواس الصدر ، وفي الحديث: {عذاب هذه الأمة في الدنيا البلابل والفتن}
قال رحمه الله: وحدثني الحاكم أبو الفضل، قال: سمع بعض الزهاد رجلا ينشد:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما
قتيــــــــــــلا بكى من حب قاتله

فقال: لو كان وصف الدنيا بهذا لكان أحسن بيت، قال: وأنشدنا القاضي أبو الحسن سعد بن منصور لأبي بكر اليوسفي رحمه الله:

وإذا الفتى حُرِّمَ الغناء في أهله
أدّاه أقتـــــــــــــــــار إلى
الأقتــــــــــــــــــار

وكذلك من منع الحياء إحياؤه ركب القطار وسار في الأقطار

[المجلس العاشر من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، السابع عشر من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن اسحاق النجّار رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن هارون بن حميد التاجر، حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر، عن مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر ، أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وآله: [لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك، وكان ابن عمر يزيد فيها: لبيك لبيك لبيك وسعديك، والخير في يديك، والرغباء اليك والعمل]

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد أن التلبية عند الإحرام مشروعة، ولا خلاف في ذلك، ويفيد كيفية تلبية رسول الله صلى الله عليه وآله في الحج، ويفيد إن بالكسر على الإستئناف على ما يقوله أبو حنيفة، لا بالفتح على ما يقوله الشافعي، ويفيد أن الزيادة على ذلك جائز على ما يقوله أبو حنيفة، خلاف ما يقوله الشافعي، ويفيد أن الخيرات كلها منه تعالى على ما يقوله أهل العدل، فأما قوله لبيك، قيل في معناه أربعة أقوال: أحدها: معناه إجابتي يا رب لك، مأخوذ من لب بالمكان، وألب به إذا أقام به، وقالوا لبيك ثانياً اجابة بعد اجابة، والثاني: إتجاهي إليك، وقصدي يا رب، من قولهم: داري تلب دارك، أي تواجهها، والثالث: محبتي لك، من قولهم: " امرأة لَبَّة " أي: محبة لولدها، والرابع: إخلاصي لك، من قولهم: حَسْبُ لباب، ومنه اللب، وقوله:

"والرغباء" يعني الرَغبات والرُغْباء والرَغْباء، كالنُعْماء والنَعْمَاء، وقوله "والعمل" أراد والعمل لك ولرضاك، ويحتمل: إليك جزاء العمل.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال أخبرنا القاضي أبو الحسن بن علي، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، أخبرنا أبو محمد أحمد بن ابراهيم بن عبد الله الطويل، حفيده نصر بن زياد، حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن مالك الأشجعي، عن رِبْعِيٌّ، عن حذيفة، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {كل معروف صدقة}.

قال رضي الله عنه: وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: {نفقة الرجل على أهله صدقة}، وإنما يكون جميع ذلك صدقة إذا فعل لوجه القربة[30] أو لوجه الإحسان، فأما إذا فعل لجلب نفع أو دفع ضرر أو رياء أو لبعض أسباب الدنيا، فليس صدقة، ويحتمل أن يقال: المعروف ما كان قربةً وإن اختلف مواضعها، فإذا فعل لا على وجه القربة فليس بمعروف، والمعروف ما يعرف صحته شرعا وعقلا، والمنكر ما ينكره العقل والشرع، فعلى هذا يحمل الخبر، ومعنى قوله صدقة: أي أجره كأجر الصدقة.

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا الشريف أبو يعلى الحسن بن محمد الزيدي، حدثنا أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة، حدثنا عمران بن موسى القزاز، حدثنا حمّاد بن زيد، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {أفضل دينا ينفقه الرجل على عيّاله، ودينار ينفقه على فرسه في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله}.

قال رحمه الله: وهذا على ما ذكرنا إذا فعل ذلك بنية التقرب إلى الله تعالى.

[30] في النسخة [ب] و [ت] لوجه الله تعالى، ويبدوا أن ذلك تصحيف من الناسخ، والأصح ما ورد في النسخة [أ] أي: القرابة، فهي في السياق الصحيح.

قال الحاكم رحمه الله: سمعت الشيخ الإمام أبا محمد رحمه الله، قال: سمعت القاضي أبا الهيثم قال: سمعت أبا الحسن قاضي الحرمين قال: سمعت أبا خليفة القاضي قال: سمعت عبد الرحمن بن بكر بن الربيع قال: سمعت الربيع بن سليمان قال: سمعت محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة قال: سمعت أبا القاسم صلوات الله عليه وعلى آله يقول: {صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين}.

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد أن الإعتبار في الصوم والفطر برؤية الهلال أو عد ثلاثين يوما، وأن الشهر يكون تسعة وعشرون، وقد يكون ثلاثين [...][31]، وروي عنه صلى الله عليه وآله النص على تسعة وعشرين بالكلام والإشارة بالأصابع ثلاثة، وأمسك الإبهام في الثالثة، حتى لا يبقى ريب لمرتاب، وكل ذلك معلوم من دينه ضرورة، لا يحتج فيه إلى رواية خبر أو إستدلال ونظر.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن اسماعيل بن صاعد، أخبرنا ابو سعد أحمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن العبّاس بن حمزة، حدثنا محمد بن مهاجر ، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {الشهر تسعة وعشرون } [يعني رمضان].

قال رحمه الله: فيدل على أن الشهر قد يصام ثلاثون، وقد يصام تسعة وعشرون على ما ذكرنا من إعتبار الرؤية، والإعتبار في الرؤية بما بعد غروب الشمس، فإذا رأى في اليوم فهي لليلة المستقبلة عند أبي حنيفة، سواء كان قبل الزوال أو بعده، قال أبو يوسف: إن كان قبل الزوال فهو لليلة الماضية، فإن

[31] في النسخة [ب] و [ت] إذا رأى كذلك، وفي النسخة [أ] لا توجد هاتان الكلمتان، بل انتهة الكلام بعد كلمة ثلاثين، ويظهر أن تلك العبارة لا معنى لها، مجرد تصحيف.

سأل سائل فقال: أليس ماعة من الشيعة زعموا أن لا اعتبار بالرؤية ولا يعد الأيام، وإن الإعتبار بمفارقة القمر للشمس، وزعموا أن اليوم الذي يرى الهلال في عشيته يجب أن يكون صائما في إبتدأ رمضان ومفطر في أخره،وذهبوا إلى أن الناس في أيام النبي صلى الله عليه وآله كانوا يرجعون إلى نصه في معرفة ذلك، وتأولوا الخبر المذكور على أحد التأويلين، فمنهم من قال: إن ذلك كان في سنة مخصوصة علم أن رؤية الهلال تعقب المفارقة، ومنهم من يقول أن الخبر يدل على أن الإعتبار بالمفارقة، لأن قوله صوموا لرؤيته يقتضي تقديم الصوم على الرؤية، كقولهم تَسَلّحْ للقاء العدو، ثم يختلفون فيما يجب إعتباره بعد النبي صلى الله عليه وآله على أربعة أقوال: أولها: يعتمدون حسابا ينسبونه إلى الصادق عليه السلام، يدل على أن المعتبر المفارقة دون الرؤية، وثانيا: خبر رووه عنه عليه السلام أنه قال: {ما تم شعبان قط ولا نقص رمضان قط}، قالوا: ولو اعتبر الرؤية لما صح ذلك، وثالثها: ضرب من الحساب، وهو أنه إذا صح شهر رمضان في سنة، وجب أن يُعد في السنة الثانية خمسة أيام ويُصام في اليوم الخامس، ورابعها: أن يراعي صوم المخالفين، فيصام يوم قبله ويفطر يوم قبله، قالوا: لأن الحسين بن علي عليه السلام لما خَذِلَه أعداؤه قال: [اللهم لا توفقهم لصوم ولا لفطر]، فلا بد أن الحق في ذلك في مخالفتهم، فما القول في ذلك؟.

والجواب: قلنا: قد ثبت العلم لكل من خالط النقلة وأهل السيرة بل، لمن خالط المسلمين، بالأخبار المتواترة أنه صلى الله عليه وآله كان يعتبر في ذلك الرؤية والعدد، ويعمل على ذلك، ما بالمشهادة أو شهادة،وأنه كان لا يعتبر غير ذلك، فالراد لذلك كالراد لسائر أركان الشرع، وهذا كما عُلِمَ من دينه اعتبار طلوع

الفجر وزوال الشمس وغروبها في أوقات الصلاةن حتى كان لا يعتبر غيرها، وكما علم من دينه اعتبار البيّنة واليمين في فصل الخصومات، وكما علم من دينه أن القرآن كلامه تعالى، وأن الصلاة خمس، والصوم شهر، والكعبة هي القبلة، فلا فرق بين من ردّ ذلك وبين من ردّ هذه المسائل في إنكاره لما يُعلم من دينه ضرورة، ولا يقال كيف لم نعرف نحن ذلك إن كان ضرورة، وذلك إن من خالط منهم العلماء وأهل النقل يعلم ويعاند، فأما العامي فلا إعتبار به كما لا إعتبار به في المسائل التي ذكرناها، إلا أن ما يعلم من دينه صلى الله عليه وآله ضرورة تنقسم إلى قسمين، منها ما يستوي فيها العالم والعامي، كتحريم شرب الخمر ، والمعرفة بأصول الصلاة، ومنها ما يحصل به للعلماء ومن خالطهم، ككثير من العبادات، وكما ذكرنا من فصل الخصومات بالبيّنة، فأما ما حكاه أولاً أنهم من الشيعة، فمعاذ الله، فالقوم بهذه المسئلة وبكثير من المسائل خرجوا عن الملة لإنحرافهم على الشريعة، فلا يُعتون من الأمة فضلا عن الشيعة، فأما باعتبارهم بمفارقة القمر إلى الشمس إلى آخر ما ذكره فلا فرق بين من إدّعى ذلك وبين من إدّعى في أوقات الصلاة أنه يرجع فيها إلى ضرب من الحساب، وذلك مما يعلم فساده ضرورة، وقوله: صوموا لرؤيته يقتضي تقدم الصوم باطل، وليس كقولهم تَسَلَّح للقاء العدو، لأنه عُرِفَ أنه يجب تقدمه عُرْفاً ولضرب من العادة، ولأن القصد أن يحصل اللقاء وهو مُتَسَلِّح، والقصد بقوله صوموا لرؤيته: بيان أمارة وقت الصوم، فهو كقوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ } [الإسراء : 78]، والذي يبيّن ذلك أنه لو كان الإعتبار في زمانه بنصه في كل سنة لكان يجب أن يكاتب بلاد المسلمين، ولو كان الإعتبار بالحساب لكان يرجع إلى ذلك الحساب، وكل ذلك معلوم فساده ضرورة، ومما

يحقق ذلك أن المعلوم من دينه صلى الله عليه وآله أنه بيّن الأحكام في الشرع على رؤية الأهلة، وهذا كما يعلمه المسلمون يعلمه غيرهم من دينه مع إنكارهم لنبوته، فكيف يُعد من خالف فيه من أهل ملته، وهل هو إلا بمنزلة من أنكر أركان دينه صلى الله عليه وآله، ويقال لهم: إذا كان الإعتبار في ذلك بالحساب الذي يشيرون إليه فهلاّ بيّنه صلى الله عليه بيانا عاما؟ وهلاّ بيّنه أصحابه والأئمة من بعده؟ فأما ما يزعمون أنه يُعَدُ خمسة أيام من السنة الثانية فمن خرافاتهم، وقد علم أنه صلى الله عليه والأئمة من بعده لم يفعلوا ذلك، وأما حديث جعفر عليه السلام، فالذي نسبوه إليه من الحساب كذب صريح، وهو منه بريء، وروايتهم {ما تم من شعبان..} فالمنقول من جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيما نقله الثقات أن هذا الخبر غير صحيح، وأن شهر رمضان كغيره من الشهور، ومن المشهور ما روي عن جماعة من الصحابة قالوا: [ما صمنا مع النبي صلى الله عليه وآله تسعة وعشرين أكثر مما صمنا بثلثين يوماً]، فأما إعتبارهم مخالفة مخالفيهم وكذبهم على الحسين بن علي عليه السلام فيلزمهم أن يخالفوهم في أمر القبلة والصلاة وسائر أركان الدين، وفي ذلك إنسلاخ عن الإسلام، ولا نجوّز على الحسين عليه السلام أن يسأل الله تعالى أن يُضِل عباده، بل لا شبهة أنه كان يعتقد أن الله لا يُضِل عن الدين، وكيف يقول ذلك وجده صلى الله عليه وآله بُعِثَ لهدي الخلق، وهو وأبوه وأخوه القائمون مقامه في هداية[32] الخلق والدعاء إلى الحق، وأجب من المجبرة وغيرهم لم يجوز وا أن ندعوا الله تعالى أن يُضِل أحا عن الدين، ولا شبهة أن مثل هذه المذاهب وإضافته إلى الأمة لا يكون إلا من دسيس الملحدة، الذين

---

[32] في النسخات مكتوبة إهدأ، ورأيت الصواب أن يكتب هداية، والله أعلم

يريدون إطفاء نور الله ويأبى اللَّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عميرة، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن الحارث البيّاري، أخبرنا القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، قيل: حج أبو الأسود الذؤلي بإمرأته وكانت من أجمل النساء وأَشَبِّها، فلما أتت المسجد الحرام عرَّضَ لها عمر بن أبي ربيعة المخزومي فغازلها، فأخبرت أبا الأسود بذلك فأتاه وقال:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا
وعن شتم أقوامٍ خـلائقُ أربــع
حيــــــــــــاءٌ وإســلام وبقيـــــــا
وأنــنـــــــــي كريـــــــم ومثلـــي قـــد يضر وينـــفع
فشتـــــــــــــــــان مــــا بيني
وبيـــنك إنني على كل حـالٍ أستـــقيم وتظلَع

قال القاضي أبو سعيد، قال زياد ابن أبيه لأبي الأسود: هل في قلبك من حُب علي شيء؟، فقال: ليعفني الأمير، فقال: أشهد لتقولن، قال: إن حُب علي يزداد في قلبي حدَّةً، كما يزداد حب معاوية فى قلبك، فإنى أريد الله والدار الآخرة بحي علياً، وتريد الدنيا بزينتها بحبك معاوية ، ومثلي ومثلك كما قال أخو مذحج:

خليلان مختلف شأننا
أريد العلاء ويهوي اليمن
أحب دماء بنــــي مـــــالك
وراق المعلى بيـــاض اللبن

ويروي بني مازن والمُعَلاّ إسم فرسه، قال رحمه الله: وذكر المُبَرّد في الكامل والقاضي أبو سعد في كتاب طبقات النحويين أن أبا الأسود، وإسمه ظالم بن عمرو، كان من سكّان البصرة، وصحب علياً عليه السلام وكان من المتحققين بمحبته ومحبة ولده، وكان ينزل من بني قشير بالبصرة، وكانوا يرجمونه بالليل لمحبته علياً عليه السلام، وفي ذلك يقول:

يَقولُ الأَرذَلـــــــونَ بَنو قُشَيــــــرٍ طَوالَ الدَهرِ لا تَنسى عَليّـــــــــــــــا
أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَديـــــــــداً وَعَبّاساً وَحَمزَةَ وَالوصِيّـــــــــــــــــــا
بَنو عَمِّ النَبِــــــــــيِّ وَأَقرَبــــــــــــــوهُ أَحَبُّ الناسِ كُلِّهِمُ إِلَيّـــــــــــــــــــــــا
أُحِبُّهُـــــــمُ لِحُـــــــبِّ اللَهِ حَتّـــــــــــــى أَجيءَ إِذا بُعِثتُ عَلى هَوِيّـــــــــــــــا
هَوىً أُعطيتُهُ لَمّا اِستَدارَت رَحى الإِسلامِ لَم يَعدِل سَوِيّا
فَإِن يَكُ حُبُّهُم رُشداً أُصِبهُ وَفيهِم أُسوَةٌ إِن كانَ غَيّـــــــــــــــــــا

وكان إذا كثر رجمهم له قالوا: الله يرجمك، فيقول: كذبتم، لم رجمني الله لأصابني، وروي ما أخطأني، قال أيده الله: وهذا يدل على تحقيقه في القول بالعدل.
قال الحاكم الإمام أبو سعد رحمه الله: أخبرنا الشيخ أبو العبّاس أحمد بن علي بن مخلد، قال روي لنا أن أبا الأسود خرج إلى معاوية ومعه بُنَيَّة صغيرة له، فبعث لها معاوية هدايا فيها حلاوة فقالت إبنته: مما هذا يا أبه؟، قال: بعث بها معاوية ليخدعنا عن ديننا، فقالت:

أبالشهد المزعفر يا بن حرب
نبيع عليـــــــك أحسابا ودينا
معـــــــــــــاذ الله
كيـــــــــف يكـــــــــــــون هذا ومولانا أمير المؤمنينا

[المجلس الحادي عشر من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، الرابع والعشرون من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجّار رضي الله عنه، أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد الخيري، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {ما تحابَّ رجلا ن في الله قط إلا كان أفضلهما أشدهما حُبَّاً لصاحبه}.

قال الحاكم رحمه الله: الخبر يفيد عِظَم موقع الموالاة في الدين وأن من أركان لدين موالات أولياء الله ومعادات أعداء الله، وقد نطق القرآن به في قوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [التوبة : 71] ، وقال تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ } [التوبة : 67]، ولهذا قال أصحابنا لا تجوز موالات الفسّاق والظلمة، وروى سهل بن معاذ الجهني عن أبيه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: {من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله وأنكح في الله فقد استكمل الإيمان}.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا أبو

بكر بن محمد بن إسحاق، حدثنا عبّاد بن يعقوب الأسدي، عن علي بن عبّاس، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: {ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويدعوان الله تعالى فيفترقان حتى يغفر لهما}.

قال رحمه الله: هذا الخبر أيضا يفيد أنهما يتحابّان في الله ويتصافحان في الدين، ويدعوان الله وهما من أهل الدعاء، فغفر لهما.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، أخبرنا أبو عمر و بن حمدان الحِيْرِيُّ، حدثنا عمران بن موسى، حدثنا وهب بن بقية، حدثنا خالد بن عبد الله، عن يونس بن عبيد، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {المرء مع من أحب}.

قال رحمه الله: فائدة هذا الخبر أن من يحب غيره فيقتدي به ويجري على طريقته في أقوله وأفعاله، يكون محكوما عليه بحكمه، والظاهر أن الخبر ورد في التابع والمتبوع، فقد قال تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ } [الإسراء : 71]، أي بمن يقتدي بهم، وعن أنس بن مالك قال: قلت يا رسول الله أنا أحبك، فقال: {المرء مع من أحب}، وعن الشعبي، عن عروة بن مضرس أن رجلا قال: يا رسول الله، أرأيت رجلا أحب قوما ولم يلحق بهم، قال: {أنت مع من أحببت}، فمن إقتدى بغيره وعمل بأعماله كان معه، فإن كان المتبوع من أهل الجنة كأئمة الحق كان التابع معه، وإن كان من أهل النار كأئمة الضلالة، كان التابع معه، ولا إعتبار لمجرد المحبة، فقد يحب المؤمن الفاسق، والفاسق المؤمن، فالإعتبار مع المحبة بما ذكرنا، قال رحمه الله: والمروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه رأى قوماً حول داره، فسأل عنهم، قالوا: هؤلاء شيعتك، فقال: ما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة؟، قيل: وما سيماء

الشيعة؟، قال: خمص البطون من الطوي، يبس الشفاه من الظمأ، عمش العيون من الكباء، من كان يريد رضا ربه يسخط نفسه، ومن لا يسخط نفسه لم يُرضي ربه، وقال الله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران : 31]، والمراد به الإقتداء به في أقواله وأفعاله، قال رحمه الله: وعن أبي رافع: دخلت على أبي ذر، فلما أردت الإنصراف قال لي: ستكون فتنة ولست أدركها، ولعلكم تدركونها، فاتقوا الله، وعليكم بهذا الشيخ علي ابن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول إنه أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وإنما أراد عليكم بالإقتداء به عند الإختلاف، فإنه مع الحق والحق معه، وروى أبو ذر أن النبي صلى الله عليه وآله قال في مرضه: {من حشره الله مُحِباً لهذا الرجل، يعني علياً عليه السلام، دخل الجنة}، ولم يرد مجرد المحبة في دخول الجنة، فقد أحبه جماعة من الغلاة والمبتدعة، وهم من أهل النار، وإنما أراد من أحبه واقتدى به، وروي عن ابن عبّاس أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: {من أَحَبَّك فقد أَحَبَّنِي، وحبيبك حبيب الله، ومن أبغضك فقد أبغضني، وبغيضك بغيض الله، والويل لمن أبغضك بعدي}، قال رحمه الله: والمروي أنه لما كان يوم بِاخَمْرَا[33] سمع ابراهيم بن عبد الله عليه السلام رجلا من الزيدية ضرب رجلا من أصحاب المنصور وقال: خذها وأنا الغلام الحدّاد، فقال ابراهيم: لا تقل هكذا، ولكن قل: أنا الغلام العلوي، فإن إبراهيم عليه السلام قال: {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي } [إبراهيم : 36]، فأنتم منّا ونحن منكم، لكم مالنا وعليكم ما علينا، وقال رجل لأمير

[33] مدينة القاسم أو باخمرا مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالي 120 ألف نسمة تقع في العراق في محافظة بابل، كانت تسمى قبلا "حي باخمرا" نسبة إلى شيخها المعروف آنذاك بلقب "باخمرا". تقع على نهر الفرات وتبعد 35 كيلومترا عن مركز المحافظة في "الحلة" و140 كيلومترا عن العاصمة العراقية بغداد. أما اسمها الآرامي فهو سورى أو صورى.

المؤمنين يوم الجمل: ليت أخي كان حاضراً فيرى هذا الفتح، فقال: أهوى أخيك كان مضى، قال: نعم، قال: فإن أخيك شهدنا، وشهدنا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان[34]، ويقوى بهم الايمان، فأما المحبة فحقيقتها الإرادة ثم تتعلق بالفعل، والمراد إرادة إيجاب، إرادة إيجابها، ويتعلق بالفاعل[35]، والمراد إرادة نفعه وتعظيمه، وقد تذكر المحبة ويراد بها الشهوة توسعاً، وقيل: حب الله لعبده إثابته، وحب العبد لله طاعته، وقد قال الشاعر:

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ

لَو كانَ حُبُّكَ صـــــــادِقاً لَأَطَعتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيـــــــعُ

أخبرنا الحاكم رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين، حدثنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو الطيب الحسن بن موسى الرقي بأنطاكية،قال: حدثنا عامر بن سيّار ، حدثنا فرات بن السائب، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عاصم ابن ضمرة، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من كانت فيه أربع خصال بني له بيت في الجنة، من عظم أمر شهادة أن لا إله إلا الله، وإذا أصابته نعمة حمد ربه، وإذا أذنب استغفر، وإذا أصيب بمصيبة استرجع}.[36]

---

[34] يرعف بهم الزمان: يوجدهم ويخرجهم، كما يرعف الانسان بالدم الذي يخرجه من أنفه، قال الشاعر:

وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا.

والمعنى مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وآله لعثمان - ولم يكن شهد بدرا، تخلف على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لما مرضت مرض موتها: " لقد كنت شاهدا وإن كنت غائبا، لك أجرك وسهمك "

[35] في المسخة [أ] بالفاعلية، وفي النسخة [ب] و [ت] كما كتبتها، أي بالفاعل.

[36] ذكر هذا الحديث في آخر المجلس الخامس، وتكلم فيه بإيجاز شديد جدا، وأعاده هنا، وسيتكلم عليه بإسهاب قليلا.

قال رحمه الله: يفيد أصول التوحيد والعدل، فبدأ صلى الله عليه وآله بتعظيم أمر الشهادتين، ولا يصح ذلك إلا مع المعرفة والإعتقاد، وتعظيمها بأن يُوَحد الله ولا يُشَبِّهُهْ بشيء، ويَعْرِفْهُ بصفاته ويعرف أفعاله وما يجوز عليه، ثم ثنى بالعدل، فأضاف النِعَمَ إليه، لأن جميعها منه ، دِيناً ودُنيا، إما لأنه فعله أو أَمَرَ به ومكّن منه وهدى إليه، وأزاح العلة فيه، ثم ثلث بالوعيد، فأضاف الذنب إلى العبد، وبيّن أن دفع البلاء بالإستغفار والتوبة[37]، ثم ختم بذكر البلاء النازل بالعبد من جهة الله تعالى، فإن الواجب الرجوع إلى الله تعالى بالصبر والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، ويعلم بأنه مصلحة له، ويفيد الخبر أن مجرد القول لا يكفي في إستحقاق الجنة ما لم يضم إليه الأعمال، وكل ذلك مذهب أهل العدل، قال رحمه الله: فإن سأل سائل: أليس قد روي عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من قال لا إله إلا الله دخل الجنة}، وعن أبي الدرداء أنه صلى الله عليه وآله قال: {من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنا وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء}؛ والجواب: أن هذا خبر واحد فلا يعترض به على ما ثبت بالكتاب والسنن المتواترة من أن الجنة تُنَال بالإيمان والأعمال الصالحة، فقال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم : 63]، وقال صلى الله عليه: {لا يدخل الجنة قتّات ولا شرطي ولا مدمن خمر}، قال رحمه الله: ولقد أخبرنا الشيخ أبو حامد، أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا أبو نصر التمّار، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد ويونس وحميد، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا

[37] في النسخة [ب] و [ت] : "وبيّن أن البلاء في بالإستغفار" أو هكذا ظهرت لي الجملة، وهذا لا يستقيم.

يدخل عبد الجنة لا يأمن جاره بوائقه}، وذلك من صحة ما قلناه، وإن ثبت الخبر فلا ظاهر له، لأنه لم يدخل الجنة فلا بد من تأويل الخبر، ويحتمل وجوها من التأويل، أولها: ما قاله بعضهم، أنه كان في إبتدأ الإسلام، حيث لم يُشَرِّع الشرائع، فكان إذا أتى بالإقرار مع المعرفة تكفي، وإنما لم يذكر المعرفة لأن القول دونها لا حكم له فكأنه منطوق به، فلمّا شُرِّعت الشرائع كان المؤمن المستحق للجنة من أتى لجميع الواجبات، وثانيا: أنه بعض الخبر، وتمامه ما رُوى زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من قال لا إله إلا الله مُخْلِصاً وجبت له الجنة، قالوا يا رسول الله، فما إخلاصها؟ قال: أن تزجر عن كل ما حُرّم عليك}، وهذا نص في الباب وصريح أن مجرد القول لا يكفي، وروى علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه أنه قال: {الإيمان والعمل شريكان في قَرَنٍ[38]، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه}، فيُحْتَمل أن راوي الخبر الأول سَمِعَ بَعْضَهُ، فَرَوَى أَو سَمَّعَ الجميع، فَرَوَى البَعْض[39]، وراوي الخبر الثاني روى تمامه، وثالثها: قوله: دخل الجنة، أي في أهل الجنة، فجرى عليه أحكامهم في الدنيا، وذلك تعلق بالقول، ونظيره ما روى أبوهريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {أُمِرتُ أن أُقَاتِلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله}، ورابعها: دخل الجنة يعني كأنه في الجنة من حيث أَمِنَ وإستراح، كما يلحق الكُفَّار من القتل والسبي والتغنم، وما يلحقهم من الهموم والخواطر، وخامسها: إن ذلك فيمن قال ذلك ومات في الحال، قبل وجوب شيء آخر عليه، فيكون من أهل الجنة، لأن الذي وجب عليه القول والمعرفة، وإنما سكت عن المعرفة والشهادة له بالرسالة لما بيّنا أنه لا حكم للقول دونهما

---

38 في قَرَنٍ: أي مقترنانِ متلازمانِ.

39 أي روى بعض ما سمعه، بما أنه سمع بعض الخبر فبديهي أن يرويه كما سمع أي بعض.

فكأنه منطوق، وسادسها: إذا دائما قال ذلك تائبا من جميع ما سلف، وإنما ذكر الإيمان لأن التوبة معه تنفع، ولا تنفع دونه، فأما حديث أبي الدرداء فيبعد أن يصح، وإن ثبت فهو محمول على أنه تاب من السرقة والزنا، قال رحمه الله: ومما روي عن النفس الزكية عليه السلام، أنه لما حمي الوطيس برز وعليه قباطاق، وهو يقول:

قاتل فما بك إن حبست بدومةٍ
في ظل غرفتهـــــــــــا إذا لم تخلد
إن امرءاً يرضـــــــى بأهون
سعيــــــــه قصرت مروءته إذا لم يزدد

قال رحمه الله: ولمحمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام:

متـــــى أرى للعـــــــــدل
نــــورٌ وقـد أسلمني ظلمٌ إلى ظلمِ
أمنيةٌ طـــال عداتي بهـــا
كأننـــــــــي فيــــــــهــــــــــــا أخو حلمِ

[المجلس الثاني عشر من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، غرّة ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين، أخبرنا بشر بن أحمد الإسفراييني، حدثنا داود بن الحسين البيهقي، حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك، عن أبي النصر، عن سليمان بن سيار، عن المقداد بن الأسود، أن

علي بن أبي طالب عليه السلام أمره أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل إذا دنى من أهله خرج منه المذي، ماذا عليه، قال علي: فإن عندي ابنة رسول الله صلى الله عليه، فأنا أستحي أن أسأل، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: {إذا وجد أحدكم ذلك فلْيَنضَحْ فرجه وليتوضأ وضوء الصلاة}.

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد نجاسة المذي، وأنه يوجب نقض الوضوء، وما يخرج من الإنسان من المياه المتشابهة ثلاثة، المني، وهو ما يخرج عند تفكر أو مباشرة، وهو نجس، وفيه الغسل، والمذي، وهو الماء الذافق الخارج على سبيل الشهوة، وفيه الوضوء ، والودي، وهو الماء الغليظ يخرخ عقب البول، وهو نجس، وفيه الوضوء، وقوله: "فلْيَنضَحْ" النَّضحُ أن يصب الماء على فرجه ليغسله.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن حفص، حدثنا أحمد بن يحيى الصولي، حدثنا الحسن بن سعيد الخراز، حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن العلاء، عن سعيد بن خالد، عن صالح بن كيسان، عن أبي سعد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: { مُعلِّمُ الخيرِ يستغفر له كل شيء، حتى الحوت في البحر، وكاتم العلم يلعنه كل شيء، حتى الحوت في البحر والطير في الهوى}.

قال رحمه الله: الخبير يفيد عظم حال معلم الخير في الثواب، وكاتم العلم في العقاب، وهو يشتمل على جميع العلوم، من الأصول والفروع، والفتاوى والشهادات، ولكن الحال يختلف، فعلم الأصول أعظم حالا لأن جميع العلوم تنبى عليه، ثم يُعَلِّم الشرائع وحسب ذلك يعظم العذاب عند كاتمه، والكتمان قد يكون

لعناد، وقد يكون لشبهة، والجميع مذموم، وإضافة التسبيح واللعن إلى الحوت والطير تَوَسُّع، وقيل: معناه لو كان يُسَبِّحُ لشيء لَسَبَّحَ لمعلم الخير، ولو لعن شيئاً للعن كاتم العلم.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي الميكالي، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن الحجاج، عن سليمان، أن أبا عمرو الشيباني قال: حدثنا رب هذه الدار، يعني عبد الله بن مسعود، قال: [سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أي الأعمال أفضل، قال: الصلاة لميقاتها، قلت: ثم أي، قال: ثم برّ الوالدين، قلت: ثم أي، قال: ثم الجهاد في سبيل الله، ثم سكت صلى الله عليه وآله، ولو استزاد لزاد].

قال رحمه الله: الخبر يفيد أن أفضل الأعمال الشرعية الصلاة، إذ لا شبهة أن معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وعدله ومعرفة القيامة، أفضل الأعمال، لأن الشرائع تبنى عليها، وهي الأصل في جميع العلوم، ويفيد أن الصلاة توقّت بأوقات، وهي المكتوبات، ويفيد عظم حال من برّ والديه، وجاهد في سبيل الله، وذلك يكون بالسيف واللسان، قال رحمه الله: فإن سأل سائل فقال: ما قولكم فيما روي أنه لما أُسري به صلى الله عليه وآله فُرِضَ عليه خمسون صلاةً ، فمازال يشير عليه موسى عليه السلام ويتردد هو حتى رُدَّ إلى خمس، والجواب: لا شبهة أن الصلاة فُرِضَت بمكة حين روي أنه صلى الله عليه وآله كان يتوجه إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، وروي أنه صلى الله عليه قال: أمَّنِي جبريل عند البيت يومين وبيّن المواقيت، وإنما اختلفوا متى فُرِضَت، فمنهم من قال: فرضت ليلة

الإسراء، ومنهم من قال: فُرِضَت قبل ذلك، وهو الصحيح، لأن الإسراء قيل كان في الهجرة بسنة، روي ذلك عن إبن عبّاس، وقيل كان قبل الهجرة بستة أشهر، على ما روي عن السُدِّي، وقيل كان الإسراء ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية عشر من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، ذكر ذلك الواقدي عن رجاله، وكان النبي صلى الله عيله وآله يصلى قبل ذلك بمدة كبيرة، وروي في ذلك أخبار جمّة، فأما ما روي عن إيجاب خمسين صلاة فلا يصح، ولا شبهة أن الخبر فيه موضوع، لأن الصلاة إن كانت المصلحة في فرض خمسين فلا يجوز نسخه، وإن لم تكن فلا يجوز إيجابه، ثم كيف يجوز أن تُغَيَّر شرائع من هو عالم بالمصالح بمساءلة من لا يعلم المصالح، وأنه لا يجو ز أن توجب شيئا فيعترض عليه النبي صلى الله عليه وآله، ولأنه يؤدي إلى نسخ الفعل قبل وقته، وذلك بداء، لأن روي فيه من التردد، ونقصانها حالا بعد حال كالعبث، مع ما فيه من التشبيه المشار إليه، من عَوْدُه إليه تعالى الله عن ذلك، ولأن النبي صلى الله عليه وآله لايجوز أن يسأل ربه تعالى شيئاً إلا بعد إذن من جهته، فكيف يصح أن يسأل بقول موسى، وكيف يجوز على موسى أن يُشِير عليه بذلك من غير إذن، وهما رسولا الله صلى الله عليهما.

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي، أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي بالبصرة، أخبرنا أبو العباس بن محمد بن أحمد بن حماد الأثرم، وأبو الحسين علي بن اسحاق بن محمد البختري الْمَادَرَائِيُّ، قالا: حدثنا علي بن حرب، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد ،قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وآله: {ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء}.

قال رحمه الله : الفتنة أصلها الإختبار والإمتحان، يقال: فتنت الذهب بالنار، وأما معنى الخبر، فيحتمل وجوها، منها: أنه إشارة إلى التحذير من الإئتمان للنساء، من حيث الغالب عليهن إتباع الهوى والشهوات، والدعاء إلى ما لا يبيحه الدين والشرع، فعلى هذا هو عموم، والمراد به الخصوص، لأن كثيراً من النساء قد تكون بخلاف ذلك، ومنها: يحتمل أنه أراد ما يلزمنه من التكاليف الشديدة تشبيها، كالنفقه والقسم والعشرة، وغير ذلك من حقوقها، ولعله لا يمكنه العدل في جميع ذلك، ويحتمل أنه أراد أنها تطالبه بأمور لا يقدر عليها ولا تعاشره دونها، فيحمله ذلك على إكتساب الحرام وإرتكاب الآثام في طلب رضاها، ومنها أن ذلك إشارة إلى يوم الجمل، قال الحاكم رحمه الله: فأما أسامة بن زيد، فأبوه زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لخديجة، أُشتُري لها بسوق عكاظ، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وآله، فجاءه أبوه يريد شراءه منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنْ رَضِيَ بذلك فعلت، فسأل زيد فقال: ذل الرق مع صحبته أحب إلي من عز الحرية مع مفارقته، فقال صلى الله عليه وآله: إذا إختارنا إخترناه، فاعتقه وزوجه أم أيمن، وبعدها زينب بنت جحش، وفيه نزل: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ } [الأحزاب : 37]، فلمّا فارقها تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وما رُوي أنه نظر من وراء بابها فأمر زيد بالنزول عنها وتزوجها فحديث باطل، وظاهر الكتاب أنه أمره بالإمساك، وليس فيه إضافة قبيح إلى النبي صلى الله عليه وآله، وإنما قال: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ } [الأحزاب : 37] وهو أنه كان إن فارقها زيد

تزوجها، وقال: {وَتَخْشَى النَّاسَ } يعني تخشى مقالتهم[40] أنه تزوج بإمرأة إبنه، لأنه كان يُدْعَى إبن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى أن نهى الله عن ذلك وقال: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ } [الأحزاب : 5] وأباح التزوج من إمرأة المُتَبَنَّى، وشرّع في ذلك، ومعنى[41] {وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا } [الأحزاب : 37] بأن تظهر ما شرّع لك، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤمّر زيداً على السيران، وأمّر أسامة أيضا، وكان يقول: جهّزوا جيش أسامة، قال رحمه الله: والمروي أنه كان بين أسامة وعمرو بن عثمان كلام في ضيعة، فقال عمرو: أتأنف أن تكون مولاي؟ فقال أسامة: والله ما يسرني بولائي من رسول الله نسبك. ثم ارتفعا إلى معاوية، ولجأ بين يديه، فقام سعيد بن العاص فقعد إلى جانب عمرو وجعل يلقنه الحجة، فقام الحسن فقعد إلى جانب أسامة، فوثب عتبة بن أبي سفيان فصار مع عمرو، فقام الحسين وصار مع أسامة، فقام عبد الرحمن بن أم الحكم وصار مع عمرو، فقام عبد الله بن عبّاس فجلس مع أسامة. فقال معاوية: الجليّة عندي، حضرت رسول الله وقد أقطع هذه الضيعة أسامة، فانصرف، فقال الأمويون لمعاوية: هلا أن كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب! فقال معاوية: لما رأيتهم كذلك ذكرت يوم صفين؛ قال الحاكم رحمه الله: ومن موالي رسول الله صلى الله عليه وآله: سلمان، وكان يقول: سلمان منّا أهل البيت، ومن مواليه: أبو رافع، وإسمه أسلم، واختلفوا، فروي أنه كان للعبّاس فوهبه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا أسلم العبّاس بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله فأعتقه وزوّجه سلمى مولاته، روي أن سعيد بن العاص أعتق أبا رافع إلا سهمامن سهام بن العاص، ووهب أبا رافع منه صلى الله

---

[40] في النسختين [ب] [ت] تخشى قالتهم.
[41] في النسختين [ب] [ت] والمعنى

عليه وآله فأعتقه، وقيل أن أبا رافع الذي وهبه منه العبّاس هو الأكبر ، والذي وهبه سعد هو الأصغر، والله أعلم أي ذلك كان، وكان لأبي رافع بنون أشراف، منهم عبد الله يروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله يكتب لعلي ثم للحسين بعده، وكان هو الذي كتب كتاب الصلح يوم صفين، فكتب: هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين، فقام أبو الأعور السلمي وجماعته من أصحاب معاوية وقالو: لو إعترفنا بأنك أمير المؤمنين ما قاتلناك، فأمره أن يكتب بإسمه، وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه، لما كان يوم الحديبية كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو : لو أقررنا بأنك رسول الله ما قاتلناك، فأمرني أن أكتب محمد بن عبد الله، وقال: إن لك يوما كيومي هذا، و كان عبد الله ينتسب إلى وإلى رسول الله صلى الله عليه[42]، وقال للحسن: أنا مولاك، فلما ولي عمرو بن سعد المدينة، أمر بعبد الله فأُتِيَ به، فقال: مولى من انت؟ فقال: مولى رسول الله صلى الله عليه، فأمر به فضرب مائة سوط، وألح عليه، فتكلم فيه أخوه عبد الله فأمسك عنه، وعن أبي رافع قال: كنت ألاعب الحسين عليه السلام وهو صبي بالمداحي، فإذا أصابت مدحاتي مدحاته قلت: إحملني. فيقول: أتركب ظهرا حمله رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! فأتركه، فإذا أصابت مدحاته مدحاتي قلت: لا أحملك كما لم تحملني. فيقول: أما ترضى أن تحمل بدنا حمله رسول الله صلى الله عليه؟! فأحمله؛ قال رحمه الله: المدحاة وجمعها المدَاحي، ويقال لها المسادي أيضا، القتيبي: ويقال لها المراصيع، وهي أحجار مثل القرصة، وقد حفروا حفيرة لقذف ذلك الحجر فينتحون قليلًا ثم يرمون بتلك الأحجار إلى تلك الحفيرة، فإن وقع الحجر

---

[42] في النسخة [ب] و [ت] : " كان عبد الله ينتسب إلى ولا رسول الله صلى الله عليه "

فيها فقد قمر وإلا فقد قمروا الأقمر، والحفيرة: هي الأدحية، والدحو بالحجارة الرمي بها، وسئل سعيد بن المسيب عن الدحو بالحجارة، يعني السبق، فقال: لابأس به.

قال الحاكم رحمه الله: أنشدني الحاكم أبو الفضل اسماعيل بن محمد بن الحسن رحمه الله:

ليس في كل وهلة وأوان
تتهيا صنائع الإحســـــــــان
فإذا أمكنت فبادر إليها
حذرا من تعذر الإمكان

قال: وأنشدني القاضي أبو الحسين بن أحمد بن علي:

إن كنت تقدر أن تحسنا
فأسكت عن شكرك الألسنا
ندمت على فعل الجميل
إذا امتنع الفعل إن يمكنـــــــــــــــــا

قال رحمه الله: وأنشدنا القاضي أبو الحسين:

بادر بخير ما استطعت
وكُنْ لهَمِّ أخيـــــــــــــــــــكَ فـــــــــــــارِجْ
فَلَخيـــــــــــرُ
أيَّـــــــــــــــــامِ الفَتى يَومٌ قَضى فِيهِ الحَوائجْ

[المجلس الثالث عشر من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، الثامن من[43] ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

[43] في النسخ كلها يوجد الجمعة من ذي الحجة، فإذا كان المجلس الرابع عشر الموافق لـــ ا15 ذي الحجة، يكون هذا المجلس 8 ذي الحجة.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبّار الصوفي، حدثنا شريح بن يونس، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه}.

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: الخبر يفيد الحث على الإشتغال بما يعنيه، من العلم والعمل، وترك ما لايعنيه، ومن عمل ذلك أصلح أمر دينه ودنياه.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد، حدثنا بشر بن أحمد الإسفراييني، قال: حدثنا داود بن الحسين البيهقي، قال: حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك، عن نافع، عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لا يتحرى أحدكم فيُصَلّي عند طلوع الشمس ولا عند غروبها}.

قال رحمة الله عليه: الخبر يفيد النهي عن الصلاة في هذين التوقيتين، فلا يجوز عند طلوع الشمس فرض ونفل، وعند غروبها كذلك، إلا عصر يومه، وإذا طلعت الشمس أثناء صلاته عند أبي حنيفة والشافعي لاتبطل، فإن قيل: قد روي في حديث عقبة بن عامر الجهني أنه صلى الله عليه نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس، وقال أنها تطلع بين قرني الشيطان، فما معناه؟، قلنا: قرناه ناحيتا رأسه، قال إبراهيم الحربي: معناه أنه حينئذ يتحرك الشيطان ويتسلط، وقيل: القرن القوة، أي يطلع عند قوة الشيطان، ومنه القِرْنُ، ويقال: أقرن له الأمر إذا قوي عليه، ومنه: {وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}

[الزخرف : 13]، أي مطيقين، وأراد: الشيطان يوسوس عليه فيفسد عليه صلاته، ويحتمل أنه أراد يؤخر الصلاة بوسوسته إلى طلوعها، فلا تجز به، وعلى جميع الوجوه هو توسّع في الكلام.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين، قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر، حدثنا الحسن بن سلاّم، قال: حدثنا عيسى بن أبان، قال: حدثنا محمد بن الحسين، قال: أخبرنا أبو حنيفة، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من كَذِبَ عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد الزجر عن الكذب في الشرع والدين، ويدخل فيه الأصول والفروع والفتاوى، لأن جميع ذلك كذب عليه.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، قال: أخبرنا القاضي أبو نصر بن سهل، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني، قال: أخبرنا أبو قَبِيْصَة محمد بن عبد الرحمن الضبي، حدثنا صالح بن موسى الطلحي، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول لاله صلى الله عليه وآله: {سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما أتاكم منها موافقا لكتاب الله وسنتي فهو مني، وما أتاكم مخالفا لكتاب الله وسنتي فليس مني}[44].

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: السُنَّة إذا أُطْلِقَت فالمراد بها ما ثبت عن رسول الله صل الله عليه وآله قطعا، فإن سأن سائل فقال: كيف الجمع بين هذا الخبر وبين ما روى أبو رافع وجماعة أن النبي صلى الله عليه

[44] ذكر هذا الخبر في المجلس الرابع وشرحه، وأظن أن سبب إعادة ذكره هنا مرتبط بالرواية التي سبقها، وسيشرحه بشكل أوسع مما سبق

وآله قال: {ألا لا أعرف ما بلّغ أحدكم الحديث من حديثي مما أرمت به أو نهيت عنه، فيقول وهو متكئ على أريكته: هذا القرآن، ما وجدنا فيه إتّبعناه وما لم نجد فيه حاجة فلا حاجة لنا فيه}، قلنا: هذا على وجوه، كل خبر عُلِمَ صحته فلا يَرِد مخالفا للقرآن البتة، لأنه يؤدي إلى تناقض الأدلة، وما كان من الآحاد ينظر، فإن كان في القرآن ما يخالفه ويمكن تأويل الخبر على وفق القرآن يؤول، وإن لم يكن تأويله على وفقه يُرَدْ، لأن بخبر الواحد لا يصح الإعتراض على ما عُلِمَ صحته قطعا، وإن ورد خبر واحد وذلك الحكم ليس في القرآن ذكره ولا في السنة المتواترة فإنه يُقْبَل ويعمل به، ولا يعد ذلك مخالفا للقرآن، لأن الله تعالى قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر : 7]، وكان الصحابة رضي الله عنهم يعملون على ذلك ويقبلونه، وإذا ثبت بالدليل وجوب قبوله ولا شيء من الأصول يخالفه فإنه يكون إبتداءً شرع، فحثّ على العمل به، ويُعَدُّ موافقا للقرآن وإلى هذا أشار رسول الله صل الله عليه وآله في قوله: {ألا لا أعرفن ما بلغ أحدكم الحديث من حديثي....}، وفي الخبر الأول ورد قوله ما أتاكم مخالفا فيما وجد في القرآن ما يخالف ما يتضمنه الخبر، ولهذا رد مشايخنا رحمهم الله أخبار التشبيه وقبلوا أخبار الشرائع، فعلى هذا ينبغي أن يجري الكلام فيه، وقوله "أريكته" الأريكة السرير في الحجلة وجمعها الأرائك، ولا تسمى مفردا أريكة، هكذا قاله ثعلب، وقال الأزهري: كل ما إتكئ عليه فهو أريكة، قال رحمه الله: ونعوذ إلى ذكر الموالي، فمن موالي رسول الله صلى الله عليه وآله أنجشة.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي، حدثنا علي بن القاسم بن الحسن بن الحسين بالبصرة، حدثنا أبو رؤوف أحمد بن

محمد بن بكر الهذلي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وفيها مات، قال: حدنا أبو حفص عمر بن علي بن يحيى بن كنيز الصيرفي، في سنة سبع وأربعين ومائتين، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أنس، قال: كانت أم سليم مع نسوة رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، وكان خدمهم يقال له أنجشة، فناداه النبي صلى الله عليه: {رويدا يا أنجشة سوقك بالقوارير}.

قال الحاكم رحمه الله: وفي رواية سفيان بن عيينة عن سليمان التيمي عن أنس: {يا أنجشة أرفق بالقوارير} فكنّى النساء بالقوارير، وذلك من لطيف الكناية؛ ومن مواليه: أبو نيزر، أسلم صغيرا على يدي رسول الله صلى الله عليه، وكان معه، فلما توفي كان مع فاطمة، ثم مع علي عليه السلام، وكان يقوم بضيعته بُغَيْبِغَة، وعين أبو نيزر، وكان عليه عليه السلام تصدّق بهما، وكان يلي أمرهما الحسن ثم الحسين عليهما السلام، فلما خطب معاوية أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ليتزوجها من يزيد، دخل الحسين وكلّمها وزوّجها من القاسم بن محمد بن جعفر ، ودفع الضيعتين إليها في مهرها، فمازالتا في يد أولاد أم كلثوم من جهتها حتى ردّها المأمون إلى الصدقة وعوضهم عنها، وإنما جعل الحسين عليه السلام لها ولولدها الغلة دون رقبة الصدقة، وأجاز أولاد الحسن والحسين عليهما السلام ما فعله الحسين عليه السلام؛ ومن مواليه: سفينة، وإسمه رباح، وقيل مهران، ويُكَنَّى أبا عبد الرحمن، وكان في سفر فكان كل من أعيا ألقى عليه بعض متاعه، حتى حمل شيئاً كثيراً، فمرّ به على النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أنت سفينة؟، وكان أسودا، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله فأعتقه، ومنهم أبو ضمرة، مما أفاء الله عليه، فأعتقه، وكتب له كتابا أوصى به وبأهل بيته، فوفد على المهدي محمد بن المنصور من أولاد الحسين

بن عبد الله ومعه الكتاب، فوضعه المهدي على عيينه ووصله بثلاث مائة دينار، قال رحمه الله، ومن موالي علي عليه السلام: أبو ثابت.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا السيد أبو القاسم محمد بن أحمد بن مهدي الحسني، قال: أخبرنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين، قال: أخبرنا محمد بن علي العبدكي، قال: أخبرن محمد بن يزداد، حدثنا يعقوب بن إسحاق، ومحمد بن أبي سهل، قالا: حدثنا أبو عمرو، قال: الحارث، قال: حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، قال: حدثنا عمرو بن يزيد، قال: حدثنا عبد الله بن حنظلة، عن شهر بن حوشب، قال: كنت عند أم سلمة، إذ يستأذن رجل، فقلت له: من أنت؟، قال: أنا أبو ثابت مولى علي، فقالت أم سلمة: مرحبا بك يا أبا ثابت، أدخل، فدخل، فرحبت به، ثم قالت: يا أبا ثابت، أين طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها؟ قال: تَبِعَ علياً، فقالت: وُفِّقْت، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: { علي مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض}.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، قال: أملى علينا أبو نصر الحسن بن أبي مروان، قال: حدثنا أبو أيوب أحمد بن سهل الطوسي، قال: حدثنا أبان بن عبد الله، قال: حدثنا قثم بن أبي قتادة، عن عمر بن عطاء، عن أبيه، قال: دخلت على هشام بن عبد الملك بالرصافة، فقال: يا عطاء، هل لكم علم بعلماء الأمصار؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: فمن فقيه أهل المدينة؟ قلت: نافع مولى ابن عمر ، فقال: فمن فقيه أهل مكة؟ فقلت: عطاء بن أبي رباح، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل مولى، قال: فمن فقيه أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان، قال:

مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل مولى، فقال: فمن فقيه أهل اليمامة؟ فقلت: يحيى بن أبي كثير، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل مولى، قال: فمن فقيه أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل مولى، قال: فمن فقيه أهل الجزيرة؟ فقلت: ميمون بن مهران، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل مولى، قال: فمن فقيه أهل خرسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم، قال : مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل مولى، قال: فمن فقيه أهل البصرة؟ قلت: الحسن وابن سيرين، قال: موليان أم عربيان؟ قلت: لا، بل موليان، قال: فمن فقيه أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل العربي، قال: كادت تخرج نفسي ولا تقول واحد عربي.

قال رحمه الله: وكانوا يقولون لمن ليس بعربي أنه من الموالي، ولهذا قيل: أبو حنيفة رحمه الله من الموالي وإن لم يكن جرى عليه الرق على أحد من آبائه، وروى أصحابنا عن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان المرزبان من أبناء فارس من الأحرار والله ما وقع علينا رق قط، وروى عطاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {الأبدالُ مِنَ الموالِي}، والمروي عنه صلى الله عليه وآله {لو كان العلم معلقا بالثريا لسبقت إليه غلمان من أولاد فارس}، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: لما مات العبادلة: بن عباس وبن الزبير وبن عمر وبن عمرو بن العاص: آل الفقه في جميع البلدان إلى الموالي: فكان فقيه مكة عطاء بن رباح، وفقيه اليمن طاوس، وفقيه اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقيه البصرة الحسن، وفقيه الكوفة إبراهيم النخعي، وفقيه الشام مكحول، وفقيه خراسان عطاء، إلا المدينة، فكان فقيهها سعيد بن المسيب، وهو قرشي، قال رحمه الله:

وسمعت الشيخ الإمام رحمه الله أبا محمد يذكر هذا الحديث، فذكر بدل سعيد الزهري، والله أعلم.
قال رحمه الله: أنشدني الحاكم أبو الفضل، قال: أنشدني الحاكم أبو سعد بن دوست لنفسه:

الدهر دهر الجاهليـــــــــــــن وأمر أهل العلم فـــــــــاتر
لا شيء[45] أكسد فيه من سوق المحابر والدفاتر

قال رحمه الله: وأنشدني لإبن خلاّد الرامهرمزي

قل لابن خـــــــلاد إذا جئته مستندا في المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به حدثنا الأعمش عن نـــــــــــــافع

قال رحمه الله: وأنشدني السيد أبو سعيد زيد بن محمد بن الظفر العلوي رحمه الله للنامي:

سأصبر إن جفوت فكم صبرنا لمثلك من أميـــر أو وزيـــــــــــــــــرِ
رجونـــــــــــــاهم فلما اخلفونـــــــــــــــــــا تمـــــــــادى فيهم غير الدهــور
فبتنـــــــــــــــــا بالسلامــــــــــة وهي غنم وباتوا في المحابس والقبور
ولمــــــــــــــــا لم ننل منهـــــــــم ســــــــروراً رأينـــــــــــــا فيــــــــهم كل الســرور

---

45 المشهور : لا سوق

قال رحمه الله: وأنشدني رضي الله عنه:

أتلعب[46] بالدعـــــــــاء و تزدريـــــــــــه و ما تدري بم صنع الدعاء

سهـــــــام الليـــــــــل لا تخطئ و لكن له أمد و للأمد انقضـــــــــــاء

[المجلس الرابع عشر من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، الخامس عشر من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، قال: أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني، قال: حدثنا داود بن الحسين البيهقي، قال: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، قال: قرأت على مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة[47]، عن أنس، أن جدته مليكة دعت رسول الله صلى الله عليه وآله لطعام صنعته، فأكل منه، فقال: قوموا فأصلي بكم، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اِسْوَدَّ من طول ما لبث فنضحته بماء، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله، وصففت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا فصلى بنا صلى الله عليه ركعتين ثم انصرف.

قال الحاكم رحمه الله: الخبر يفيد حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث كان يجيب دعوة كل أحد، ثم وقف على حصير خلق، ويفيد الترتيب قي صفوف الرجال والنساء، وأن من حق صفوفهن أن يتأخرن، فإن وقفت إمرأة بجنب رجل وهما مشتركان في الصلاة

---

[46] المشهور: أتهزأ بالدعاء

[47] في النسحتين [ب] [ت] حطلة، والطاهر نه تصحيف من الناسخ

فسدت صلاة الرجل وحده، وإن وقفت بجنب إمام فسدت صلاته وصلاة من خلفه وصلاتها، وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه، قال الشافعي: لا تبطل، والترتيب ليس بواجب، ويفيد أن صلاة المفرد خلف الصبي جائزة، خلاف ما يقوله أصحاب الظاهر؛ قال رضي الله عنه: وبهذا الإسناد عن يحيى بن يحيى، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن، سحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس، قال: [صليت أنا ويتيم في بيتنا، خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّت أمي من ورائنا]، والنضح صب الماء.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين الحسني الوصي، قال: حدثنا أبو علي بن مهدي، قال: حدثني أبي، قال: علي بن موسى الرضا، قال: حدثنا أبي، موسى بن جعفر ، قال: حدثني أبي، جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي، محمد بن علي ، قال: حدثني أبي، علي بن الحسين، قال: حدثني أبي، الحسين بن علي، قال: حدثني أبي، علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ليس منّا من غش مؤمنا أو ضرّه أو ماكره}.

قال رضي الله عنه: معنى الخبر : ليس على عادتنا ولا تخلق بأخلاقنا ولا استن بسنتنا من فعل ذلك، إذ ليس ذلك عادتنا ولا من سنتنا، ويحتمل ليس من جملتنا، الذين هم المؤمنون حقا، فيكون إشارة إلى أنه من الفسقة والظلمة، ولا يقال أنه ليس من أهل ديننا وملتنا، لأن ذلك وإن فسق فلا يُكَفَّر ولا يخرج من الملة، والغش نقيض النصح، مأخوذ من الغشش، وهو المشرب الكدر، قاله إبن الأنباري، والغش الخيانة، وفي الحديث: {لا تملا بيتنا تغششا}، روي بالغين معجمة وبالعين غير

معجمة، قيل: معناهما واحد، وهي الخيانة، قال ابن السكّيت: التغشش النميمة، أي لا تنقل حديثنا ولا حديث غيرنا إلينا، وقوله: "ضرّه" أي نقص حقه أو ألحق به ضررا، ومنه: {لا ضرر ولا ضرار في الإسلام} فالأول الإبتداء بالضرر، والثاني المجازاة بما لا يستحقه، وقيل هو إشارة إلى إستحباب العفو، والأولل أصح، وقوله "ما كره" المكر، خب وخداع، وقيل: يدبر عليه سوءاً، ومنه: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ } [آل عمران : 54]، على أحد التأويلين.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق النجّار رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن إبراهيم العدل، حدثنا أبو أحمد محمد بن ياسين بن النصر ، قال: حدثنا أبي، حدثنا يعلى بن عبيد الطنافسي، قال: وأخبرنا أبو سعيد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن هارون بن خالد، حدثنا أبو أمية الطرسوسي، قال: حدثنا يعلى بن عبيد، قال: حدثنا محمد بن اسحاق، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى فقال: {نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أدّاها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب المؤمن، إخلاص العمل، والنصيحة لأُولي الأمر ولزوم الجماعة، فإن دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ}.

قال رضي الله عنه: نصر الله عبداً رواه جماعة بالتخفيف، منهم أبو عبيد، ومعناه الذي له بريق و رقيق من نعمته، يقال ونضره الله فنضره ينضر، ونضر وينضر لغتان، ورواه جماعة بالتشديد، منهم الأصمعي، وأنشد:

نضّر الله أعظما دفنوها
بسجستان طلحة الطلحات

والمعنى واحد، ومنه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة : 22]، أي ناعمة، وقال ابن شميل: نضّر الله ونضر وأنضر معنى بمعنى، وقال بعضهم: ليس هذا من الحسن في الوجوه وإنما معناه حسّن الله وجهه في خلقه، أي جاهه وقدّره، ونحوه قوله صلى الله عليه وآله: {اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه} يعني ذوي الوجوه في الناس والأقدار، حكي ذلك عن سفيان بن عيينة، وقوله لا يُغِلُّ روي بفتح الياء، وهو من الحقد، تقول لا يدخله حقد يزيله عن[48] الحق، وروي بضم الياء، وهو من الخيانة، والأغلال الخيانة في كل شيء، ومنه لا أغلال ورجل معك خائن، أي لا يدخل قلبه خيانة، وفائدته أشياء، منها: وجوب تحمل العلوم وتبليغها كما سمعها من غير تغيير وتبديل، ولذلك قال: فوعاها، أي حفظها كما سمعها، فمن سبب النقلة وقع أكبر إختلاف الأمة، حيث لم يُبَلِّغوا كما سمعوا، إما عمداً أو سهواً، ومنها: وجوب قبول الأخبار ، لولا ذلك لم يكن للكلام فائدة، ومنها: إيجاب الإخلاص في العمل، وذلك يكون لوجهين: أحدهما: أن يفعل الطاعة لله تقرّبا إليه، ولوجوبها عليه، والثاني: أن لا يحبطها بما يشوبها من الكبائر، لذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام : 82]، ومنها النصيحة لأولي الأمر، وهم الأئمة ومن قام مقامهم، فيجب طاعتهم، وقد نطق الكتاب بذلك في قوله تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } [النساء : 59]، فالمخالف لهم فاسق باغٍ، وهم أئمة العدل، دون الظَلَمَة المُتَسَلِّطِين على الناس، ومنها وجوب لزوم الجماعة،

---

[48] في النسختين [ب] [ث] : يزيله من الحق، والظاهر عن الحق، ليستقيم المعنى، وهذه الجملة وجدتها في كتب الأمالي وشروح الحديث وكتب اللغويين هكذا ، أي بـــ عن ، لا من.

وهو ما أجمعت عليه الأمة، فأما ما إختلفوا فيه فلا إعتبار بالكثرة والقلة، بل الواجب إعتبار الأدلة دون تقليد الرجال، وقد روي عن علي عليه السلام: الجماعة من كان على الحق، وإن كان واحداً، فإن قيل: قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعون في النار، وإفترقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة، فرقة واحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة في الجنة وإثنتان وسبعون في النار ، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الجماعة}، قال: وروي في بعض الأخبار: {أعظمها فتنة على أُمتي أن يقيسوت الأمورَ برأيِهم فيخطئون، فيحلُّونَ الحرامَ ويحرِّمونَ الحلالَ}، قال: فما معنى الخبر وإذا كان على طريقة واحدة، فكيف حدثت هذه البدع؟ ومتى حدثت؟ ومن أحدثها؟ قالوا: وقد إعتبر الجماعة، وفي بعض الأخبار: {عليكم بالسواد الأعظم}، فيقتضي أن الحق في الأكبر، قالوا: وبيّن فساد القياس والرأي وأنهما من أعظم الفتنة، وكل ذلك يخالف مذهبكم، والجواب: إن هذا الخبر من الآحاد فلا يمكن القطع على صحته، وبعد، فإن الخبر وُرِدَ مضطربا، فروى عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أن اليهود إفترقت على إحدى وسبعين فرقة، والنصار على إثنتين وسبعين فرقة، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وروى عبد الله بن عمر و الخبر وفيه: {إفترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار غير واحدة، قيل: من هم؟ قال: ما نحن عليه اليوم وأصحابي}، وروى أبو امامة الحديث وفيه: {تَفَرَّقَتْ بنو إسرائيل سبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرهم في النار، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث

وسبعين فرقةواحدة في الجنة وسائرهم في النار}، وروى قتادة عن أنس الخبر وفيه: أن بني إسرائيل إفترقت على إحدى وسبعين فرقة وستفترق أمتي على إثنين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قال قتادة: هم الجماعة، وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لإبن سلاّم: على كم افترقت بنو إسرائيل؟ قال: على واحدة وسبعين أو اثنين وسبعين، فقال صلى الله عليه وآله: ستفترق أمتي على ما افترقت عليه بنو إسرائيل وستزيد فرقة واحدة لم تكن في بني إسرائيل، وفي بعض الروايات سبع وسبعون فرقة، فالمجمع عليه في النقل أن أمته ستفترق، فأما العدد فقد إختلفوا فيه على ما ذكرنا دل على أن الخبر في العدد غير مضبوط، وبعد، فلو إعتبرنا أصول المذاهب فإنها لا تبلغ سبعين، وإن إعتبرنا شعبها وفرقها فتزيد عن السبعين بكثير، فإن ثبت الخبر فلا بد من التأويل، ويحمل وجهين، أحدهما: أنه تبلغ فرقهم في وقت ما هذا القدر، ثم إن زاد بعد ذلك لا يضر، وعلى هذا يمكن تصحيح جميع الأعداد، فمرة بلغ إثنين وسبعين ومرة ثلاثا وسبعين ومرة أكثر، وإذا وجد مخبره يوافق خبره مرّة كفى، وما بعده وما قبله مسكوت عنه،و الثاني: أن المراد بالخبر ليس حصر العدد، وإنما المراد ستفترق أمتي على فرق كثيرة، وللعرب عادة في ذكر السبعين والألف، انهم يريدون به الكثرة ولا يريدون حصر العدد، على هذا حمل بعض المفسرين قوله تعالى: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } [التوبة : 80]، أما الجواب عن الباقي فلا شبهة أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه كانوا على طريقة واحدة، لا خلاف بينهم في دياناتهم، وإنما حدثت هذه البدع بعدهم، والمجمع عليه في أصول الدين أنه تعالى واحد لا شبيه له، قادر عالم حي سميع بصير غني، حليم عدل لا يظلم،

صادق لا يكذب، وأن الأنبياء حجج الله على خلقه، وأنهم مطهرون، وأن القرآن كلامه تعالى، وهو هذه السور والآيات، فكل مذهب يوافق تفاصيل مذاهبهم هذه الجملة كان حقّاً، وما خالفها وناقضها كان بدعة، وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {عمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة} وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {المستمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد}، فأما متى بدأ حدثت هذه البدع، فأول خلاف وقع إنما وقع في الإمامة يوم السقيفة، ثم الخلافة في أمر عثمان، ثم خلاف أصحاب الجمل، ثم خلاف معاوية وعمرو وأهل الشام، ثم رأي الخوارج، ثم رأي الغلاة والرافضة، ثم رأي المجبرة والمشبهة، ثم مازالوا يزيدون في البدع ويطهرون حتى كثرت البدع وصار الإسلام غريبا، كما قال صلى الله عليه وآله[49]، ومتى قيل: كيف ذهبوا عن الحق مع أنه المطلوب عند كل أحد، فجوابنا: الأسباب الصادّة عن الحق كثيرة، والأغراض فيها لا حصر لها، وجملتها ترجع إلى أمور محصورة، فمنها الشبه التي ضل عندها أكثر الناس، ومنها الإلف والعادة وتقليد الرجال، ومنها طلب الرئاسة والميل إلى الدنيا، ومنها الميل إلى الشبهة في تركه للنظر وإيثار البدعة، ومنها التعمد على ما نبيّنه من كثير من المبتدعة، فأما قوله الإعتبار بالسواد الأعظم فصحيح، ولكن هو الإجماع دون الأكثر، لأنه لو كان المراد الأكثر لكان نظير الحق باطلا والباطل حقّاً بقلة القائلين وكثرتهم، فشيء واحد مرة يكون حقا ومرة يكون باطلا، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان في قلّةٍ من أصحابه وإن كان الحق معه، وقد ورد القرآن بمدح القليل وذم الكثير، ولأن الكثرة لا يعلم صحة قولهم، فأما حديث القياس فقد بيّن في الخبر

[49] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً، فَطُوبى لِلْغُرَبَاءِ".

أنهم الذين يقيسون الأمور برأيهم ولا يتّبعون الأدلة والأمارات، ومن فعل ذلك فهو مبطل وهذا حال كل مبتدع يتّبع رأيه هواه ولا ينظر إلى الأدلة المؤدية إلى الحق، فأما من إعتبر بعض المسائل ببعض على موجب العلل والأدلة فقد أصاب الحق وهدي إلى الرشد، وبعد، فقد دل القرآن والسنة والإجماع على صحة القياس فلا معنى لإنكاره، وسنبيّن من بعد كيفية حدوث البدع ومن أحدثها، ومن قام بنصرتها، ثم نتبع بذكر المذهب الصحيح وما كان عليه السلف.

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: روى السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين عليهم السلام أن قوما تأخروا عن الحسين بن علي الفخي عليه السلام يوم الفخ، فلمّأ فقدهم في المعركة أنشأ يقول:

وإنـــــــــــي لأنوي الخيـــــــر سراً وجهرة وأعرف معروفـــــــــــــــــاً وأنكر مُنكرا

ويُعجبنـــــــــي المرء الكريـــــــــم نِجَـــــــــارُه ومن حين أدعوه إلى الخير شمَّرا

يعين على الأمر الجميل وإن يرى فـــــــــــــواحش لا يصبـــر عليـــها وغيَّرا

[المجلس الخامس عشر من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة في الجامع بجشم، الثاني والعشرون من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل، قال: حدثني جدي أبو بكر

محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا علي بن حجر، قال: حدثنا عبد الله سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عبّاس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {إن الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس}.

قال الحاكم الإمام رحمه الله: فائدة الخبر أن من وجد صحة وفراغاً ينبغي له أن يجتهد في عبادة ربه والتزوّد لمعاده، فمن فعل ذلك فقد فاز، ومن إشتغل باللهو واللعب وضيّع أيام فراغه وصحته فهو مغبون فيه، وخسر خسرانا مبينا.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد بن أحمد بن محمد بن إسحاق رحمه الله، قال: حدثنا الحسين بن علي التميمي إملأً، قال: حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت أبا سلمة، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لا يجمع الرجل بين المرأة وبين عمتها، ولا بين المرأة وبين خالتها}.

قال رحمه الله: الخبر مما تلقته الأمة بالقبول، وعملوا بموجبه، فلا يجوز الجمع بين المرأة وبين عمتها وخالتها في النكاح، وهذا ما اتفق عليه الفقهاء، فإن طلّق المرأة طلاقا رجعيا لا يجوز له أن يتزوج بعمتها وخالتها وأختها مادامت في العدة، فإن كان الطلاق بائنا فكذلك عند أبي حنيفة، وقال الشافعي يجوز، وعلى هذا في الطلاق إذا تزوّج أربعاً سواها وهي في العدة لم يجز عند أبي حنيفة، ويجوز عند الشافعي، وذهب جماعة من الرافضة إلى أن الجمع بين الأختين لا يجوز، وما سوى ذلك يجوز، وهم محجوجون بالإجماع والسنة والنظر .

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الواحد أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد البحيري، قال: حدثنا

أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث ببغداد، قال: حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، قال: حدثني أبي، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: [رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عز وجل].

قال رحمه الله: إن سأل سائل فقال: قد روى جماعة أن النبي صلى الله عليه رأى ربّه وروى جماعة أنه صلى الله عليه وآله قال: { إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته}، وعندكم أنه تعالى بيس بمرئي، فما معنى هذه الأخبار ؟ وهل لها تأويل؟ وكيف القول فيه؟

فالجواب: إذا ثبت أنه تعالى لا تجوز عليه الرؤية بالكتاب في قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } [الأنعام : 103] وأنه تمدّح بنفي الرؤية عن ذاته بقوله لموسى عليه السلام: {لَنْ تَرَانِي } [الأعراف : 143] عامّاً، وثبت بالعقل أنه لو صح أن يُرى لوجب أن يُرى الآن إذ الموانع تستحيل عليه وإلا أدّى إلى الشك في المشاهدات، ولأن كل ما نراه بحاسة لا بد من تعلق بينه وبين الحواس من مقابلة أو حكم مقابلة، وذلك يستحيل عليه، ووردت أخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أصحابه أنه لا تجوز عليه الرؤية، معارضاً لما رَوَيْت، نحو قوله صلى الله عليه وقد سُئِل: أرأيت ربك؟ فقال: {نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ}، ونحو قول أمير المؤمنين: [لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس] وأمثال ذلك مما يكثر، لا يجوز أن يُعترض على هذه الأدلة الموجبة للعلم بأخبار وردت من طريق الآحاد، لا تُعلم صحتها قطعا، خصوصا في مسألة طريقها العلم لا العمل، فإن ثبت الخبر فلا بد من تأويل، أما حديث أنس فيحتمل وجهين، أحدهما: أراد أنه رأى ربه بقلبه، والمراد به العلم الذي زاد في قلبه، بعدما رأى من ملكوته ليلى أُسْرِيَ به، وروي نحو ذلك عن إبن عبّاس، والخبر إذا ورد مطلقاً ومقيداً حُمِلَ المطلق على المقيّد،

وروي عن أنس وأبي هريرة أن محمداً رأى ربه مطلقا، وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عبّاس أنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه بفؤاده مرتين، وروى عكرمة عنه في قوله {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم : 13]، قال أن النبي صلى الله عليه وآله رأى ربّه بقلبه، وروى يزيد بن شريك عن أبي ذر قال: رأى ربه بقلبه، يعني النبي صلى الله عليه وآله، وأول من أنكر الرؤية وذكر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك عائشة، حين سُئِلَتْ هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلتم، من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على ربّه، وتلت: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } [الأنعام : 103] منبهة بالآية على أنه لا يُرى، والوجه الثاني: رأى ربه أي جلائل آياته وعظيم ملكوته، كقوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ } [الفجر : 22]، أي آياته وأمره، كما قال في موضع آخر: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ } [الأنعام : 158]، ثم قال في موضع آخر: {أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ } [النحل : 33]، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وأمثاله تكثر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ} [الأحزاب : 57] يعني أولياء الله، وقال: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ } [النساء : 142] يعني رسوله والمؤمنين، أما قوله {سَتَرَوْنَ ربكم...} فقد روي هذا الخبر عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي زر، ولقيط بن عامر ، وأبي موسى، وجابر، وحذيفة، وأصح الأحاديث عندهم ما رواه قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، وقيس مطعون فيه، لأن قيساً كان خولط في عقله ويروي، فإن ثبت، فمعناه يحمل وجهين: أحدهما: أنه أراد ستعلمون ربكم، والرؤية بمعنى العلم مستعمل في كلام العرب، وقال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ } [الفرقان : 45] وقوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} [الفجر : 6]، والوجه الثاني: المراد به ترون جلائل آياته

وعظيم ملكوته على ما بيّنا في الخبر الأول، وقد روي عن علي بن الحسين زيد العابدين، وقيل له: أرأيت ربك؟ قال: لم أكن لأعبد ما لم أره، فقيل: فكيف رأيته: قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ولا يقال هذا الخبر ورد مورد البشارة لأهل الجنة والعلم حاصل في الحال، وذلك لأن هناك تحصل ضرورة من غير كَلٍّ ولا نظر ، ولا يخالف فيه مخالف، ولا يعترض فيه شبهة، بخلاف ما في الدنيا، ولا يقال إن ذلك يحصل لأهل النار أيضا، لأن المؤمن إذا عَلِمَ ضرورة أن له ربّاً يديم نعمته يتكامل سروره، والكافر إذا علم ضرورة أن له ربّاً يديم عقابه، يتكامل غمومه، فكان بشارة للمؤمنين، وقوله تُضَامُون رؤي بالراء "تُضَارُون" وبالميم "تُضَامُون"، فأما الرواية بالراء، فروي بالتشديد والتخفيف، قيل معناهما واحد، وقيل أن المخفف هو من الضَيْرِ أي لا يخالف بعضكم بعضاً، فيكذبه، ولا يتنازعون، بخلاف حال الدنيا، أن بعضهم يكذب بعضا ويناوع الملحد الموحد، فأما ثَمَّ فإن الخلق كلهم علموا ضرورة أن لهم صانعاً ومُدَبِّراً يديم الثواب والعقاب، يقال ضاره يضيره ويضوره، والتشديد من المضارّه، وهي المضايقة، والضرر الضيق، يعني لا يقول أحد لصاحبه لا أعرفه وأشك فيه كما هو في الدنيا، فأما بالميم فروي مخففاً ومشدداً، أما التشديد فمعناه لا ينضم بعضكم إلى بعض في ذلك، أي لا يرجع إليه لأن الكل سواء في علم الضرورة، وأما التخفيف فمعناه لا ينالكم ضيم في معرفته حتى يعلم بعضكم دون بعض، بل يستوون في ذلك كما يستوي العقلاء في الضروريات في الدنيا، قال رحمه الله: نعود إلى ذكر المذاهب المحدثة، فمنها مذهب الخوارج، حدث عن الحكمين بصفين وأول من أحدثها جماعة أنكروا الحكمين ونادوا ألا الحكم إلا لله، وفارقوا أمير المؤمنين، وكان رئيسهم

يومئذ عبد الله بن الكواء، وكان من رؤسائهم أيضا معدان الإيادي، فسمعوه يقول:

سَلامٌ عَلَيكُم مَن بايِعَ اللَهَ شارِباً
وَلَيـسَ عَـلى الحِـزبِ القُعُود سَلامُ

فبرئت الصفرية منه وقالوا: خالفت إذ برئت من القعدة، وأول من بايعوه بإمرة المؤمنين عبد الله بن وهب الراسبي، ثم لأمير بعد أمير، وممن بايعوه قطري بن الفجاءة المازني، وكان نبيلا فيهم، بقي على أمره حتى قُتِل، ولهم ألقاب خمسة، الحرورية، لنزولهم بحروراء، أسماهم بذلك أمير المؤمنين، والخوارج لخروجهم عليه، والمارقة لإجماع الأمة أن قوله صلى الله عليه وآله: {يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية}، ورد فيهم، وقوله {تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين} إنهم المارقة، والمحكمة، لقولهم لا حكم إلا لله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: كلمة حق يراد بها باطل، والشراة، لزعمهم أنهم شروا أنفسهم لله، وفرقهم كثيرة لا تكاد تحصى، وهكذا البدع كلما إزدادوا تفريعا إزدادوا فساداً ومناقضة، ولا فرقة في الأمة أكثر إختلافاً وأكثر فِرَقاً منهم ومن الرافضة، وأصول مذهبهم خمسة، الأزارقة، منسوبون إلى نافع بن الأزرق، وكان شجاعا مقدما في فقه الخوارج، خرج على عبد الملك ثم مات ولم يعقب، والنجدية، ينسبون إلى نجدة بن عامر الحنفي، والإباضية، ينسبون إلى يحيى بن عبد الله الإباضي، والصِفرية، بكسر الصاد، ينسبون إلى زياد بن الأصفر، والبهيسية، ينسبون إلى بهيس، والعدد في الأزارقة والصِفرية، وكان أبو عبيدة صِفريا، قال أبو حاتم: قرأت عليه شعراً فقلت له: لقطري بن الفجاءة، فغضب وقال: لا أم لك إلا قلت أمير المؤمنين أبو نعامة، قال: وكان يظن أني على مذهبه لأني من سجستان، ثم

لك واحد من هؤلاء فرق كبيرة، والذي أحدثوا من المذاهب ويجمعهم: إكفار علي وعثمان ومرتكبي الكبيرة، والخروج على من خالفهم، وإنكار الحكميين والبراءة منهما وممن حكمهما وضي بهما أو صوّب التحكيم، وبينهما إختلاف في القعدة منهم، فأما الأزارقة فترى البراءة من القعدة، وأول من أحدثه نافع والصِفرية لا ترى ذلك، ومن قول قطري بن الفجاءة، وكان من الأزارقة، لأبي خالد القنّاني وكان من القعدة:

أَبا خالِدٍ يا اِنفُر فَلَستَ بِخالِدٍ
وَما جَعَلَ الرَحمنُ عُذراً لِقاعِدِ
أَتَزعُمُ أَنَّ الخارِجِيَّ عَلى الهُدى
وَأَنتَ مُقيـــــمٌ بَينَ لِصٍّ وَجــــــــاحِدِ

وكتب إليه أبو خالد:

لقد زاد الحيـــــــــــاة إلي
حبـــــــــــــــاً بناتي، إنهن من
الضعـــــــاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي
وأن يشربن رنقاً بعد صـاف
ولو لا ذاك قد سومت مهري
وفي الرحمن للضعفاء كاف

وكان عمران بن حطان من شعراء الخوارج وفصحائهم، وكان على رأس القعدة من الصفرية وفقيههم وخطيبهم وشاعرهم وهو الذي يقول خلاف أبي خالد:

لقد زاد الحيـــــــــاة إلى
بغضـــــــــاً وحبـــــــــــــــاً
للخـــــــــــــروج أبو بـــــــــــلال
أحاذر أن أموت على فراشي
وأرجو الموت تحت ذرا العوالي
فمن يك همه الدنيـــــــــا فإني
لهــــــــــــا والله رب البيـــــــــت قــــــــــــال

وأبو بلال هو من مرداس بن أدية، خرج على عبيد الله بن زياد فَقُتِل فرثاه عمران بن حطّان:

يا عيـــــــــن ابكـــــي لمرداس
ومصرعه يا رب مرداس اجعلـنـــــــــــــي
كمرداس
تركتنـــــــــــــي هـــــــائماً
أبكـــــــــــــــــي لمرزئتي فـــــي منزل
موحش من بعد إيـــــــــناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما
النـــاس بعدك يا مرداس بالناس
إمـــــــــا شربــــــــــت
بكـــــــأس دار أولهـــــــــــا على القرون
فذاقوا جرعة الكـــــــاس
فكل من لم يذقهـــــا شـــــارب عجلاً
منهـــــــــــــــا بأنفـــــــــــاس ورد بعد
أنفـــــــــاس

وكان عمران يتنقل في القبائل خوفا من الحجاج، فإذا نزل بقبيلة انتسب بنسب قريب منهم، وفيه يقول من قصيدة لما نزل على رزح بن زنباع وعرف فهرب وكتب إليه شعراً:

يوماً يمـــــان إذا لاقيــــت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدنانـــــــــــي
وكنت مستغفراً يوماً لطاغية كنت المقدم في سري وإعلاني
لكن أبت ذاك آيـــــــات مطهــــرة عند الولاية في طه وعمـــــــــران

قوله طاغية قيل: نفس طاغية، وقيل الهاء للمبالغة، كقولهم علاّمه ونسّابه، ونزل على قوم من الازد بسواد الكوفة، فلم يزل فيهم حتى مـــــات، وروي أن أول من حكم عروة بن أدية، وأدية جدة له، وقيل أن أول من حكم رجل من محارب يقال له سعيد، ويقال أول رجل حكم بين الصفين رجل من بني شكر كان يحمل على أصحاب معاوية مرّة ومرّة على أصحاب علي، وقتل رجلاّ من أصحاب علي ونادى: لا حكم إلا لله، فقتله رجل من همدان، وقيل أول من حكم رجل من بني سعد بن زيد مناة، يقال له الحجاج بن عبد الله، يلقب بالبرك، تلقط بالتحكيم ولم ينشد بها، وهو الذي ضرب معاوية على اليد في الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك أن ابن ملجم والحجاج وعمرو بن بكر التميمي[50] بايعوا أن يقتلوا علياً ومعاوية وعمراً، وتواعدوا الثلاثة، فأما علي فَقُتِل، وأما معاوية فَجُرِح، وأما عمرو فلم يخرج تلك الليلة للصلاة، ولم تختلف الرواية أن أول أجمعوا عليه عبد الله بن وهب الراسبي، أول سيف سُل فيهم سيف عروة بن أدية، قال للأشعث: ما هذه الدنية؟ وما هذا التحكيم؟ أشرط أوثق من شرط الله! ثم شهر عليه السيف، وولى الأشعث، فضرب به عجز البغلة، وكان عروة نجى من حرب النهروان، فأتى به زيادا ومعه مولى له، فسأله عن علي وعثمان، فشهد عليهما بالكفر

[50] في النسخ الثلاثة كلمة غبر مفهومة [ذاذاويه أو شيء كهذا] والظاهر أنه يريد عمرو بن بكر التميمي، فهو وبن ملجم والحجاج قد بايعوا أن يقتلوا الثلاثة، عليا ومعاوية وعمرو.

بعد الأحداث، فأمر به فَقُتِل، ثم سأل مولاه عنه فقال: أطنب أم أختصر، فقال: اختصر، ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت بليل قط فراشا، وحاربهم أمير المؤمنين بالنهروان فأصاب ألفاً وثمان مائة،فكان بالكوفة ممن لم يشهد الحرب، ويستر أمره قدر ألفين، وتلا رجل بحضرة أمير المؤمنين قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)} [الكهف : 103 - 104]، فقال: هم أهل حروراء، ولما ضربه ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة، وأتى علي بابن ملجم وقالوا اسمع منه كلاما ولا تأمن الفتك، فقال ما أصنع به وأنشد عليه السلام:

اشدُد حيازيمك للموت فانَّ الموت لاقيكا
ولا تجزعْ من المـــــــــــــــــــوت اذا حلَّ بواديكـــــــــا

وقال عمران بن حطان[51] في الذين حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنّي أَدينُ بِما دانَ الشَراةُ بِهِ يَومَ النَخيلَةِ عِندَ الجَوسَقِ الخَرِبِ

فقال الحميري يعارضه:

إني أدين بما دان الوصـــــــــــــــــي به يوم الخريبة من قتل المحلينا
ومـــــــــــا به دان يـــــــــــوم النهر دنت به وشـــــــاركت كفه كفي بصفيـنـــــا

---

[51] الثابت أن الشعر للأصم الضبي، وهو قيس بن عبد الله أو ابن عسعس الضبي. وسماه ياقوت قيس بن الأصم.

تلك الدماء معا يا رب في عنقي
ثم اسقني بعدها آمين آمينـــــــا

قال الحاكم رحمه الله: ولبعضهم يرثي عليا عليه السلام:

وكنــــــــــــا قبل مهلكه زمـــــــــــانــــــا نرى نجوى رَسُول اللَّهِ فينـــــــــــا
قتلتم خير من ركب المطايا
وأكرمهم ومن ركب السفينا
ألا أبلغ معـــــــــــــاوية بن حرب
فلا قرت عيون الشامتينـــــــــــــا

قال رضي الله عنه: وأنشدني الصاحب رحمه الله:

وما حبي علياً باكتســـــــــــــــــــاب ولكن من فوائد فضل ربي
ولو لم أحو من حبيه شيئاً
كفى منه حلاوتـــــه بقلبـــــــــــــــــــــي

[المجلس السادس عشر من إملائه رضي الله عنه، في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، يوم الجمعة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن الحسين، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن سهل الأنصاري، قال: أخبرنا أبو قريش محمد بن جمعة الحافظ، حدثنا إبراهيم بن أحمد، حدثنا عمرو بن أحمد الناقد، قال: حدثنا عمّار بن محمد، عن منصور، عن الشعبي، عن ورّاد، عن المغيرة بن شعبة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الله كرّه لكم ثلاثاً، ونهاكم عن ثلاثٍ، كرّه لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال، ونهاكم عن عقوق الأمهات، وعن وأد البنات، وعن منع وهات}.

قال الحاكم الإمام رحمه الله، الخبر يفيد أنه تعالى كما يريد ويكره، وأنهما صفتان متعاقبتان، خلاف ما قال بعضهم أن الكراهة ليست بصفة له، وأنهما صفتان، ويفيد أن كونه مريداً وكارهاً تتجدد عليه، ويفيد كراهة كثرة الكلام، فإن المكثار مهذار، وإنما أراد قولا لا خير فيه، ويفيد أنه كرّه إضاعة المال، وهو إنفاقه فيفتقر، وكرّه الإلحاح في السؤال، وذلك يحمل وجهين، أحدهما: سؤال المال من غير حاجة، والثاني: السؤال عن مسائل لا حاجة إليها، ونظيره: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } [المائدة : 101]، ويفيد النهي عن عقوق الأمهات، وأن لهن حقوقا واجبة يجب مراعاتها، ويصير عاقّا بترك مراعاتها، ونهى عن وأد البنات، وهو دفن البنات أحياء، يقال: وأدت فهي وائدة، والمدفونة مَوْءُودَةُ، ومنه: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ} [التكوير : 8]، وكانت العرب تفعل ذلك فَنُهُوا عنه، ويفيد النهي عن منعٍ، يعني منع الواجبات عن الحقوق والنهي عن ما يطلب ما لا حاجة إليه، وكل ذلك من معالم الدين.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا أبو العبّاس بن أحمد بن

محمد الماسرحسي، قال: حدثنا الحسن بن عيسى، حدثنا ابن المبارك، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثنا أبوزرعة، عن أبو هريرة، {أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ما تأمرني؟ فقال: برّ أمك، ثم عاد فقال: برّ أمك، ثم عاد فقال: برّ أمك، ثم الرابعة فقال: برّ أباك} قال رحمه الله: الخبر يفيد عظم حق الوالدين ووجوب رعاية حقهما، ويفيد أن حقوق الأمهات أعظم من حقوق الآباء، لأن المشقة عليهن في بابه أكثر، ويفيد أنه صلى الله عليه وآله علم من حال الرجل أنه قد علِم ما يحتاج إليه من أمور الشرائع، وغلب على ظنه حاجته إلى وصية في باب أبويه، فلذلك خص ذكر الأبوين بالتعليم، ولولاه لكان أمره بالتمسك بالشرائع والدين.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، أخبرنا أبو ظاهر محمد بن الفضل، حدثنا أبو العبّاس أحمد بن محمد الماسرحسي، قال: حدثنا الحسن بن عيسى، قال: حدثنا ابن المبارك، أخبرنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {ألا أن كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل البيته وهو مسؤول عن رعيته، وإمرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولدها وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيّده وهو مسؤول عنه، ألا وكلكم مسؤول عن رعيته}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد وجوب رعاية حق الرعايا على الأئمة والأمراء والقُضاة وكل من يلي أموالهم أو يلي عليهم، وتفيد رعاية حق كل من كان تحت يده أو ملكه، وكذلك كل من أؤتمن على شيء، لذلك ذكر العبد والمرأة، وكان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وآله: {الصلاة وما ملكت آيمانكم} روته عائشة، وهذا تأويل ما

سألت عنه من الأخبار الواردة في القدر، قال رضي الله عنه: إن سأل سائل فقال: روى جماعة أخباراً مختلفة في وجوب الإيمان بالقدر وذم القدرية، فما معنى ذلك؟ وكيف يستقيم ذلك على مذهب أهل العدل؟

والجواب: أنا نبيّن أولا معنى القدر ، ثم نبيّن ما يجوز إضافته إلى الله وما لا يجوز، ثم نبيّن كيفية الإيمان بالقدر، ثم نبيّن من القدرية، ثم نذكر الأخبار وما يصح فيها، فهي خمسة فصول نذكرها على طريق الإيجاز.

أما الفصل الأول: فالقدر في اللغة يستعمل على ثلاثة أوجه، أولها بمعنى الخلق، كقوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا } [فصلت : 10]، أي خلق، وثانيها بمعنى الكتابة والدلالة والإعلام، كقوله تعالى: {قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ} [النمل : 57]، وقال الشاعر:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر
في الكتب الأولى التي كان سطر

والثالث بمعنى بيان حال الشيء وما يجيء منه، كما يقال: قدّر الخياط الثوب.

أما الفصل الثاني: إذا أُسْتُعمِل القدر بمعنى الخلق، فجميع أفعاله بقدره، لأنه خلقها ودبّرها وأحدثها، وأفعال العباد ليست بقدره، إذ ليست بخلق له، لأنه تجب وقوعه بحسب قصدهم وأحوالهم، ولأنها لو خلقها لما صح الأمر والنهي والثواب والعقاب، ولأن خلق الكفر قبيح، فلا يجوز عليه تعالى، فأما إذا أُسْتُعْمِلَ بمعنى الكتابة والإعلام، وقد بيّن الله تعالى أفعال العباد بأن كتب جميع ما يكون في اللوح المحفوظ ودلنا على بعضها، جاز أن يقال قدّر أفعال العباد، ويجوز أن يقال قدّر الخير والشر إذا كان من فعله، بمعنى الخلق، وإذا

أريد الطاعة والمعصية فبمعنى الكتابة والإعلام، إلا أن إطلاقه يوهم، فالواجب أن يُبَيّن ما يزول معه الإيهام.
أما الفصل الثالث: وجوب الإيمان بالقدر فهو على ضربين، أحدهما: أن كل ما هو فعله من نفع أو ضرر يجب إضافته إليه والرضا به، واعتقاد أنه مصلحة وصلاح لعباده، فهذا مذهب المسلمين، وقد كانت المجوس تثبت أصلين، أحدهما يفعل الخير والآخر الشر، نحو المرض والصحة، الحياة والموت، وإحداث الثمار والنبات وأدهانها بالآفات والحر والبرد وغير ذلك، وليس كذلك المعاصي، لأنها فعل العبد ولا يجب الرضا بها، وثانيها: كل ما في العالم من خير وشر، وطاعة ومعصية، بقدره أي عَلِمَهُ وكَتَبَهُ وبَيَّنَهُ، فهو عالم لم يزل ولا يزال بجميع ذلك، ومن خالف في هذين الفصلين لا إيمان له.
وأما الفصل الرابع: في القدرية، فقد وردت أخبارٌ بذمهم، ولا شبهة أن المراد بذلك مذهب له تعلق بالقدر، وصَحَ أيضاً أن المراد به مذهب باطل، لذلك شبههم بالمجوس، فوجب أن ينظر، فمن قال بمذهب في القدر هذا حاله، فهو المراد بالخبر، وقد بيّن شيوخنا رحمهم الله أنهم المجبرة، حيث أثبتوا المعاصي بقدر الله، كالمشبهة سموا كذلك لمّا شبّهوا الله بخلقه، ولأنهم لهجوا بذكره وأضافوا إليه كل خير وشر، فسموا به، وبيّنوا وجه المضاهاة بينهم وبين المجوس، ان المجوس تقول بأصلين، أحدهما يقدر على الخير ولا يقدر على الشر، والآخر يقدر على الشر ولا يقدر على الخير، وهذا مذهب المجبرة بعينه، ولأن المجوس يجوزون الأمر والنهي بخلاف المقدور، وكذلك المجبرة، قالوا: وإذا ثبت بأدلة الكتاب والعقل أنه تعالى لا يخلق القبائح ولا يريدها، وثبت أن مذهب العدل هو الحق والصدق، وثبت أن القدرية هم المجبرة، وقد بيّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث حذيفة وقد قال: {لُعِنَت

القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً، قيل: ومن القدرية؟ قال: قوم يفعلون المعاصي ثم يقولون الله قدّرها عليهم، قيل: ومن المرجئة؟ قال: قوم يقولون الإيمان بلا عمل} وفصّل في ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام، في الحديث الطويل عند منصرفه من صفين على ما نذكره.

فأما الفصل الخامس: في ذكر الأخبار، فالعجب من هؤلاء الجهلة أنهم يروون الأخبار ولا يعرفون معانيها، فيوردون ما لهم وما عليهم، ويروون الشيء وضده، فإذا سئلوا عن ذلك قالوا اَمِرُّوهَا كما جاءت، فمنها حديث عمرو بن سعيد، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لن يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومرّه} قالوا: وروى نحوه علي وأبو هريرة، وهذا الخبر من الآحاد فلا يجوز أن يعتمد عليه في أصول الديانات، وكذلك جميع ما يروونه في هذا الباب، وفي سند أكثرها طعن، ورجال لا يُعْرَفُون، فإن ثبت فيحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون المراد بالقدر الخلق والإحداث، والمراد من الخير والشر ما يفعله الله تعالى، من الصحة والسقم، والحياة والموت، والنعم والمحن، والسعة والفقر، والماء والنبات والجوائح والآفات، وما يضر وما ييسر، وكانت المجوس تضيف ما يضر ويؤلم إلى الشيطان، والثنوية إلى الظلمة، والمنجمون والكهنة إلى النجوم، وعبّاد الأوثان إلى أصنامهم، فبيّن صلى الله عليه وآله أن الإيمان لا يصح إلا بالتوحيد، وإضافة جميع ذلك إليه تعالى، وليس المراد الطاعة والمعصية، فإن ذلك فعل العبد، ولذلك يتوجه المدح والذم عليه، والوجه الثاني: المراد بالقدر العلم والكتابة والبيان، فدخل فيه جميع الكائنات على ما قدّمنا، ومنها حديث جابر ، عن النبي صلى الله عليه وآله حاكيا عن الله، أنه قال: {أنا الله لا إله إلا أنا قدّرت

الخير والشر}، والخبر يحمل معنيين، أحدهما: قدّرت خلقت، والمراد ما يفعله من المنافع والمضار، على ما بيّنا، والثاني: قدّرت بينت وكتبت وأعلمت، والمراد جميع ما في العالم من أفعاله وأفعال غيره، تنبيهاً أن شيئاً من ذلك لا يخفى عليه، ومنها حديث أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله حاكيا عن ربه: {إني أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير والشر وقدّرته، فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير له وأجريت الخير على يديه، أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدّرته، فويل لمن خلقت الشر له وخلقته له وأجريت الشر على يديه}، فالخبر يحتمل معنيين، أحدهما: أن المراد بالخير الجنة وبالشر العذاب والنار، ومعنى الكلام أنه خلق الجنة للمؤمنين المستحقين لها، وخلق جميع الخلق للجنة إلا أن بعضهم عصى فاستحق النار بفعله، وخلق النار للعصاة، وخلق العصاة للطاعة إلا أنهم عصوا فاستحقوا النار، ولما كانت عاقبتهم النار لها خلقوا، ولام العاقبة معروفة في اللغة، وعلى هذا حملنا قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ } [الأعراف : 179]، وقوله "أجريت الخير على يديه" يعني أسباب الجنة بالألطاف والوعد والوعيد، وقوله "أجريت الشر على يديه" بمعنى خَلَيْتُه واختياره، ومنعته اللطف الذي فعلته بالمؤمنين بما قدّموا من العصيان، وهذا الذي يسميه مشايخنا الخذلان، والوجه الثاني: أن المراد بالخير نِعَم الدنيا وسعة الرزق، فإنه خلق الخلق وقسّم الرزق، فمنهم من ناله بغير كدٍ وتعب، ومنهم من يضيق عليه فلا يصل إلى قوته إلا بكدٍ ومشقة على حسب ما رأى من المصلحة، ومعنى "الخير" خلقت النعيم وقدرته بين عبادي، فطوبى لمن خلقته للسعة وخلقت السعة له، لكون ذلك من مصالحه، وأجريت الخير على يديه فأنفق ذلك على طاعته، وخلقت الضيق والبلايا وقدّرته بين

العباد، فويل لمن خلقته للضيق والمحن وخلقت الضيق له إن لم يصبر على ذلك ولم يرضى به، "وأجريت الشر على يديه" أي خلّيته واختياره فأقدم على ما لا يحل له، ومنها ما روى أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده عن عبادة بن الوليد، قال: دخلت على عبادة بن الصامت وهو مريض يُرَى فيه الموت، فقلت: يا أبه، أوصني وأتعهد، فقال: إنك لن تجد طعم للإيمان ولن تبلع حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشرّه، فقلت له: وكيف أعلم خير القدر وشرّه؟ قال: أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {أول شيء خلق الله القلم، فقال: فجرى تلك الساعة بما هو كائن، فإن مت وأنت على غير هذا دخلت النار}.

قال الحاكم رحمه الله: [المجلس إلى ها هنا، ومن ها هنا إملاء يوم الجمعة، السابع من محرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة]

قال شيخنا أبو علي رحمه الله: معنى هذا الخبر معنىً صحيح، وهو الذي كان يقول به علماء المسلمين في صدر الإسلام، لأن القدر عندهم كان هو الكتاب، والخبر والله تعالى أعلم، علم جميع ما يكون فلا يخفى عليه شيء منها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وبيّن لملائكته لمصلحة لهم فيه، فجميع ما يكون الله عالم بأنه سيكون، وما لا يكون عالم بأنه لا يكون، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال رحمه الله: وقد روى هذا المعنى علي بن المديني عن يحيى بن سعيد، قال: قلت له: أتقول أن القدر والعلم والكتاب واحد؟ قال: نعم، فهذا قول السلف، حتى أحدثت المجبرة القول بأن القدر خلق الظلم والكذب

وجميع الفواحش، وأنه تعالى أرادها، وأحدثت جماعة أنه رضيها وأحبها، ولا يُعرف ذلك قولا لأحد من السلف ممن يعتد بقوله، ويحمل الخبر وجها آخر، أن المراد بالقدر ما يفعله الله من النعم والمحن والسعة والإقتار، وجميع ذلك فعله تعالى، لم يكن ليخطئه ما أصابه، ولم يكن يصيبه ما أخطأه، وقوله للقلم "اجر" معنا أجرى القلم وكتب، وما ذكره بلفظ الأمر توسع، ومنه حديث عبادة أنه صلى الله عليه وآله كان إذا رأى الهلال يُكَبّر الله ويحمده ويقول: {اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر ، وأعوذ بك من شرّ هذا الشهر، ومن شر القدر ومن شر يوم الحشر}، معنى الخبر وجوب الإستعاذة بالله من كل شر يحدث في الشهر ويوم الحشر، والسؤال عن خير ما فيه، والمراد ما يوجد فيه من أنواع البلايا، وقوله "من شر القدر" حمله شيخنا أبو علي رحمه الله على أن معناه من شر قدرته أن يُفْعَل بعبادك، كالأمراض وغيرها من جهته تعالى، أي كتبت أنه يكون في هذا الشهر ، ويحتمل ما كتبت وعلمت ما يفعله أنت أو غيرك، وسمى البلايا والشدائد في الحشر وغيره شرّا على سبيل التوسع والمجاز، نظير ذلك قوله تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ } [الإنسان : 11]، ومنها ما روي عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله: {لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر}، وهذا الخبر يحتمل وجوها، أحدها: "لا قدر" أي لا فعل لنا مقدّراً من جهتنا، فإن القوم كما يثبتون المعاصي بقدر الله ينفون ذلك عنا، على هذا حمله القاضي رحمه الله، والثاني: لا قدر أي لا يعلم الله تعالى ما سيكون في العالم وما لا يكون، والثالث: أن لا يخلق شيئاً من المضار والآلام والأجسام المؤذية على ما هو مذهب المجوس والثنوية، ومنه حديث جابرٍ قال: {بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في ملأ من أصحابه، إذ دخل أبو بكر وعمر

معهما قيام من الناس قد إرتفعت أصواتهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ما الذي كنتم تمارون فيه؟ قالوا: تكلم أبو بكر وعمر فاختلفا فاختلفنا بخلافهما، قال: وما ذاك؟ قالوا: في القدر، قال أبو بكر: يٌقَدِّر الله الخير ولا يُقَدِّر الشر، وقال عمر: بل يُقَدِّرهما، فَقَبِلَ بعضنا مقالة أبي بكر، وبعضنا مقالة عمر، فقال صلى الله عليه وآله: ألا أقضي بقضاء إسرافيل بين جبريل وميكائيل، فقال بعضهم: أو تكلم فيه جبريل وميكائيل؟ قال: والذي بعثني بالحق إنهما لأَول الخلائق تكلما فيه، فقال جبريل مقالة عمر، وقال ميكائيل مقالة أبو بكر، فتحاكما إلى إسرافيل، فقضى بينهما قضاء هو قضائي، قالوا: فما كان من قضائه يا رسول الله؟ قال: أوجب القدر خيره وشرّه ونفعه وضرّه وحلوه ومرّه، ثم ضرب يده على كتف أبي بكر وقال: يا أبا بكر إن الله تعالى لو لم يشأ أن يُعْصَى ما خلق إبليس، فقال أبو بكر: أستغفر الله كانت مني يا رسول الله هفوة لا أعود إليها.}، وهذا الخبر قد ردّه جماعة من أصحابنا وذكروا أن فيه ما يوجب ضعفه، وطعنوا في سنده، والذي يوضح ذلك أنه لا يُظَن بأبي بكر وعمر وجبريل وميكائيل أن يخفى عليهم مسألة القدر وهو من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا به[52]، ويبيّن ذلك أن هذه القصة كانت بالمدينة، فمع طول صحبة أبي بكر وعمر كيف لم يُعَلِّمهُما رسول الله، وكيف خفي عن جماعة من الصحابة حتى اختلفوا فيه هذا الإختلاف، ثم عند مخالفينا الخلاف في القدر كفر، فكيف أضافوه إلى

---

[52] علٌّق الناسخ رحمه الله: على هذه النقطة وقال: إن كان جبريل وميكائيل فَمُسَلَّمٌ أنه لا يخفى عليهم وحاشاهم، مغ كونهم {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : 6]، وأما عمر وأبو بكر فليسا بمعصومين، وكم من الأحكام قد أخطؤوا فيها كمثل الإمامة وكمثل فدك وغيرها، من سائر الأحاكم العقلية والتقليدية العلمية والعملية، فليسا بمعصومين حتى يبعدوا عن الخطاء.

قلت: وكلام الناسخ صحيح لو كان كلام الحاكم الجشمي مطلقا، لكنه خصصه بطول الصحبة ومكانة مسألة القدر، فكلام الحاكم هو الصواب، وهذا لا يعني عصمة الصحابيان، ولا يعني هذا أن ليست لهم أخطاء، ومن زلاتهم ما حدث في السقيفة كما ذكر الناسخ، وهذا بشهادة عمر الفاروق رضي الله عنه حيث قال أنها كانت فلتة وقى الله شرها، وغضب السيدة فاطمة عليها السلام من أبو بكر رضي الله عنه في قضية فدك، وهو الذي ذكره الناسخ أيضا، رضي الله عن عمر وأبا بكر.

ميكائيل وإلى أبي بكر؟ ولعل الرافضة لا تقول في أبي بكر أكثر من ذلك، وبعد، فمثل هذه القصة مع كثرة الناس وظهور هذا البيان بمشهدهم كيف تفرّد بروايته واحد وإثنان، وكان يجب أن يُنقل نقلا عامّاً، وكل ذلك يُبَيِّنُ ضعف الخبر ، وتعاطى بعضهم تأويله على تَعَسُّف فيه، والأقرب عندي إن ثبت، فيه وجهان، وأحدهما أنهما إختلفا في إطلاق إسم الشرّ على ما يُقَدِّره من المضار والآلام والمحن، فمنع أبو بكر ذلك، لأنه وإن كان يؤلم فهو خير للعبد، لما فيه من الأعواض والمصالح، وأجازه عمر، فبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله جواز ذلك، وأنها وإن كانت مصالح فهي شرّ على حسب اعتقاد من تصيبه، كقوله: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ } [طه : 97]، أي على زعمك، والوجه الآخر أن المراد بالقدر الكتابة فكان أبو بكر يقول أنه يُقَدِّر الخير أن يكتبها ويثبتها في اللوح، وعمر كان يقول بل يبيّن الأمرين ويكتب ما يكون من عباده من خير وشر، فأما قوله "لو شاء أن لا يعصى لما خلق إبليس" فأي تعلق لخلق إبليس بمسألة القدر؟ وكيف يحتج به المجبرة؟ وأن عندهم أن إبليس وعدمه سواء، في أن من يخلق فيه الكفر ويريده يكفر، ومن خلق الله فيه الإيمان يؤمن، فأي تأثير لإبليس ولا للرسل ولا للدعاة، فإن ثبت فمعناه لو شاء بأن لا يخلق من يعصيه لما خلق إبليس وهو رأس العُصَاة والدّاعي إلى العصيان، فأشار أنه تعالى كما يخلق من يعلم أنه يؤمن يخلق من يعلم أنه يكفر، وإنما أُتي في الإيمان والكفر من قِبَلِ نفسه لا من قِبَلِ ربه تعالى، ويحتمل لو شاء أن يمنع من المعصية جبراً وقسراً لما خلق إبليس مع علمه بأنه رأس الكفر أو منعه من العصيان، لكن أراد تعالى أن يؤمن باختياره ليستحق الثواب، ومنها حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {القدرية مجوس هذه الأمة، إن مَرِضُوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا

تشهدوا جنائزهم}، وفي حديث جابر قال: {فإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم فإنهم شيعة الدجال} وقد بيّنا أن القدرية هم المجبرة وهم المعنيّون بالخبر، وهم شيعة كل ظالم دجال، فأما أهل العدل فهم شيعة رسول الله صلى الله عليه وأهل بيته، ومنها حديث عمر عن النبي صلى الله عليه وآله: {لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم ولا تبدءوهم بالسلام}، وقد طعن شيخنا أبو علي في هذا الخبر ، وذكر أنه لا يصح، فإن ثبت فالمراد لا تجالسوا المجبرة القدرية إذا خفتم الفتنة على أنفسكم أو المفسدة، ومنها ما رووا {إذا ذُكِرَ القدر فأمسكوا} ومعناه إذا ذكر القدر فامسكوا أن تُضِيفوا المعاصي إليه كما تفعله المُجَبِرة، يوضحه أن في الخبر : {وإذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا} يعني لا تُضِيفُوا إليهم ما لا يليق بهم، {وإذا ذُكِرَ النجوم فأمسكوا} يعني لا تُضِيفُوا إليها الحوادث كما يفعله أهل النجوم، ومنها ما روي {القَدَرُ سِرُّ الله فلا تفتشوا}، وعن علي عليه السلام: {القدر بحر عميق، فلا تَلِجُوه} فالمراد بذلك الكتابة، يعني ما كتبه الله من الآجال والأرزاق مُفَصَّلاً يجب الإيمان به جُمْلَةً ولا يُفَتِّش عن تفصيله، ويحتمل أنه أراد ما يفعله تعالى، فإنه لا يقف على تفاصيله، ومنها ماَ رُوي أنه تعالى قدّر المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة[53]، ومعناه الكتابة يعني كتبها قبل كونها، وقد بيّن أمير المؤمنين ذلك على وجه لا يبقى معه ريب، فيما أخبرناه الشيخ أبو حامد أحمد بن

---

[53] قلت: وهذا العمر للكون خاطئ، وهذا يقبل منهم في زمنه رحمه الله، حيث لم تكن هناك تكنولوجيا، ولم يكن العلم متطور، والعمر المحتمل للكون هو 13.77 مليار سنة، والله أعلم، هذا محتمل عمره، والواجب أن يقال المحتمل هو الرقم الذي ذكرته ونقول بعد هذا ما قاله شيخنا ابن أبي الحديد في هذا الموضع: والحق أنه لا يعلم أحد هذا إلا الله تعالى وحده كما قال سبحانه يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها وقال لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اَللَّهِ . ونقول مع ذلك كما ورد به الكتاب العزيز اِقْتَرَبَتِ اَلسَّاعَةُ واِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وأتى أَمْرُ اَللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ . ولا نعلم كمية الماضي ولا كمية الباقي ولكنا نقول كما أمرنا ونسمع ونطيع كما أدبنا ومن الممكن أن يكون ما بقي قريبا عند الله وغير قريب عندنا كما قال سبحانه إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً . وبالجملة هذا موضع غامض يجب السكوت عنه . (شرح نهج البلاغة ج 10 ص 198)، ووجب أن يقال: قدّر المقادير قبل خلق السموات والأرض، هذا فقط دون ذكر المدة الزمنية التي لا يعلمها إلا هو سبحانه.

محمد رحمه الله، قال: حدثنا الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد الدينوري، قال: حدثني أبو منصور عبد الله بن محمد العمركي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن عبد الله بن عبد المؤمن المكي بها في سنة ثلاث وستين وثلاثمئة، قال: وقرأت على أبي العبّاس أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: حدثنا الحضرمي أبو جعفر محمد بن عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسحاق الكندي، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: لما رجع علي عليه السلام من صفين قام إليه شيخ وقد شهد الوقعة فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدرة؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تَلْعةً إلاَّ بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي ومسيري، والله ما أرى لي من الأجر شيئاً، فقال علي عليه السلام: بل أعظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: كيف والقضا والقدر ساقانا؟ قال: لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ولم يأت من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ولا المسيء أولى بعقاب الإساءة من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وجنود الشيطان وخصماؤء الرحمان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله تعالى أمر تخييراً ونهى تحذيراً وكلف يسيراً، لم يُعْصَ مغلوباً ولم يُطَعْ مُكْرِهاً ولم يرسل الرسل عبثاً ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، فقال الشيخ: فما

القضا والقدر اللذان ما سرنا إلاَّ بهما؟ قال: هو الأمر من الله والحكم، ثم تلا {وقضا ربك ألا تعبدوا إلاَّ إياه} فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول:

أنت الإمـــــــــــــــام الذي نرجوا بطاعته يوم الحساب من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنـــــــــا فيـــــــــه إحسانـــــــــــــــــــــا

قال الحاكم الإمام رحمه الله: ونعود إلى ذكر المذاهب المحدثة، فمنها مذهب الغُلاة والمُفَوِضَة، وأول من أحدثها إبن سبأ[54]، فنفاه أمير المؤمنين عن الكوفة، ثم صاروا بعد ذلك فرقاً شتّى، وهم في الأصل على ثلاثة فرق، فرقة زعمت أن الله تعالى ظهر على ما هو عليه، وفرقة زعمت أنه ظهر في صورة البشر، وفرقة مفوضة زعموا أن الأئمة يخلقون ويرزقون ويسمون بأسماء الله، ثم منهم من قال يحتجب الله بالأئمة، ومنهم من يقول يَتَّحِد بهم، ومنهم من قال كل من ظهر على يده معجزة فهو الله، وقال بعضهم أن علياً هو الله، وقال بعضهم كل إمام هو الله، وقال بعضهم محمد رسول علي، ولهم تفريعات كثيرة، وكلهم خارج الملة، وممن أظهر ذلك فارس بن ماهوية فَقُتِل، ومنها مذهب القرامطة، ويَتَسَمَّون بالشيعة والباطنية والمردكية، وأول من أحدثها جماعة من أولاد المجوس في قلوبهم ضغائن

---

[54] ثبت عند الباحثين وعند بعض المحدثين أن شخصية عبد الله بن سبأ شخصية وهمية خيالية، من نسيج سيف بن عمر التميمي، لم يشارك سيفَ بن عمر أحدٌ من المؤرخين في إثبات دور ابن سبأ في الفتنة، قال المحدث الباحث حسن فرحان المالكي رضي الله عنه وفكّ أسره: وجود ابن سبأ أو عدم وجوده لا يهمنا من قريب ولا من بعيد وإنما يهمنا الإجابة على سؤال وهو: هل هو سبب الفتنة أو أحد أسبابها أم لا؟ فإن كانت الإجابة بـ (نعم) فأين الأسانيد في ذلك من غير طريق سيف الكذاب وإن كان سبب الفتنة هو المال وولاة عثمان كما هو في متواتر الأحاديث والمرويات وإجماع الأمة في القرون الثلاثة الأولى فلا يجوز أن نقر الأكاذيب بدعوى أن هذا (يخدم السنة ضد الشيعة!) فالسنة ليست إلا الصدق والعدل والعلم، وهم يعرفون أن قصة ابن سبأ ليس فيها نصرة للسنة ضد الشيعة وإنما فيها نصرة للطلقاء على السابقين. وهذا هو الصواب.

للإسلام، يرون زوال دولتهم بالملة العربية وأيسوا من إبطالها باللسان والسنان لما لهم من الحجج البالغة والقوة الغالبة، فاحتالوا في إبطالها من وجه يخفى، فوضعوا هذه المذاهب لمشاورة قوم ذوي قدر كالأفشين وبابك، وبثّوا الدعاة مكيدةً للإسلام، وأول داعٍ لهم عبد الله بن ميمون القداح، وكان ثنويا، فلم يزل ينشر دعوتهم حتى كثروا، ومن مقالتهم أنه لا يوصف الباري، وأنه خلق الأول والأول خلق الثاني ثم الثاني العالم، وزعموا أن النبوة مادّة وأن القرآن كلام محمدٍ، وأنكروا الوحي والمعاد والجنة والنار، وأدعوا أن لكل شيء من الشرائع ظاهراً وباطناً وأن المقصود هو الباطن، وأخبارهم مُدَوَّنَة، وفي الحقيقة هم كُفَّار خارجون عن الملة، ومنها مذهب الرافضة، وسُمُّوا رافصة لتركهم زيد بن علي، والرفض الترك، وروى الهادي عليه السلام في الأحكام عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي: {يظهر في آخر الزمان قوم يُسَمَون الرافضة يرفضون الإسلام}، وعن زيد بن علي عليه السلام: {الرافضة حربي في الدنيا والآخرة}، وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين قال: {العلم بيننا وبين هذه الأمة علي بن أبي طالب، والعلم بيننا وبين غيرنا من الشيعة زيد بن علي عليهم السلام}، وعن جعفر بن محمد عليهم السلام: {كل راية ترفع في غير الزيدية فهي راية باطلة}، قال شيخنا أبو علي: وأول من أحدث ذلك إبن سبأ، فنفاه أمير المؤمنين عليه السلام[55]، ومذاهبهم فرق كثيرة، خرج أكثرهم عن الملة، كالكيسانية والمغيرية والكاملية والخطابية وغير ذلك، إلا أن أكثرهم بادوا وانقرضوا وبقيت قلة قليلة غمرهم الجهل، ووجه القوم الإمامية القطعية، وفيهم العدد، وسموا بذلك لقطعهم على موت موسى بن جعفر ، ومن

---

[55] بيّنا بطلان هذا، شيخنا أبو علي عزيز عليّ، لكن الحقيقة أعز!

أقوالهم أن الإمام يجب أن يعلم أمور الدين والدنيا، ويجوزون له العصمة والمعجزة ويحيلون عليه بمعرفة الشرائع والكتاب، ولا يجوزون خلو زمان منه، وزعموا أنه صلى الله عليه نص على علي بإسمه وعينه حتى إضطروا إلى معرفته، وإن القوم كفروا بإنكاره وأن طريق الإمامة النص، وأن الإمامة عدد محصورون، ويبطلون القياس والإجتهاد وأخبار الآحاد والإجماع، ويرون إمامة المنتظر الغائب، وأول من أحدثها هشام بن الحكم، وقام بنصرتها عيسى الورّاق وغيرهم، ومنها مذهب النجارية، والجبر وإن كانوا ملوك بني أمية أحدثوه، فعندهم ظهر هذا الظهور ، وأحدث الحسين النجار مذاهب شنيعة، قال: قولنا عالم قادر ليس بصفة، لكن معناه ليس بجاهل ولا عاجر، وقال: القرآن متلوا عرض مكتوبا جسم، وقال: الأجسام الأعراض مجمعة، وأنه تعالى بكل مكان لا على جهة الحلول والمجاورة، وأن أفعال العباد خلق لله كسب للعبد، وأن الإستطاعة مع الفعل، وأحدث القول بالبدل، وقال: الثواب والعقاب لا يُستحقّان على الأفعال على الداوم ولكن الله يديمه، إلى غير ذلك من الجهالات، ومنها مذهب النابتة الحشوية المشبهة، وليس لهم في ذلك كلام وجدال، وإنما يأخذون بما يروون من الأخبار مع ما فيه من التناقض، ويَدَّعون جماعة من السلف أنهم منهم وهم براء من قولهم، يقولون بالتشبيه بالجوارح والأعضاء والنزول والصعود وأنه على العرش، ويُبطِلون النظر والجدال في الدين، ويعتمدون التقليد، ويَتَسَمَّون بأهل السنة، وينتسبون إلى الحديث وهم أجهل الناس بمعنى الحديث، ومنهم أحمد بن حنبل والكرابيسي وابن راهويه وداود وبن خزيمة وغيرهم، ومنها مذهب الأشعرية، وكان أبو الحسن بن بشر الأشعري من تلاميذ أبي علي ثم ترك مذهبه وقال بالجبر ولم ينتسب إلى أحد، وأحدث أقوالا لا تُعْقَل،

منها إثبات قدماء مع الله وأنه تعالى مسموع مُدْرَك بسائر الحواس، وأن كلامه شيء واحد هو التوراة والإنجيل والقرآن وأن ما يُتْلى ليس بكلام له، وأنه تعالى يرضى الكفر ويحبه، وقال: لو كلّف العاجز كان يحسن، ولو عذّب الأنبياء لَحَسُنَ، وجوّز تكليف ما لا يطاق، وقال بخلق الأفعال وأن الإستطاعة مع الفعل، وأنه لا نعمة لله تعالى على الكُفَّار، وأن شيئاً من القبائح لا يُعلم إلا بالسمع، وأنه تعالى لا يفعل لغرض قط، إلى غير ذلك، وأحيا كثيراً من مذاهب جهم، ومنها مذهب الكرّامية، أحدثه أبو عبد الله محمد بن كرّام أيام الظاهرية، وكان الرجل مغمورا بالجهل فتبعه أقوام تقليدا، أجمعوا على الجبر والتشبيه وقالوا أن الله جسم وأنه لا يتناهى من خمس جهات ويتناهى من جهة السَّفل،كما هو مذهب الثنوية وأنه نور ، وأنه محل للحوادث وأنه لم يزل خالقاً ورازقاً ومنعماً، ويجوز أن يخرج الله تعالى الكفار من النار، ومن رجالهم بن مهاجر والشورميتي وحيد، وغيرهم، ورجل القوم بن الهيصم، لم يكن فيهم مثله، غير أن الشيخ أبا الحسن علي بن أبي الطيب رحمه الله حدثني أنه كان يذهب إلى تَكَافُئ الأدلة، وكان لا يعتقد مذهب القوم، ثم هم فرق كالرزينية والحيدية والنوتية والهيصمية، وهكذا حال البدع تبدوا قليلا ثم تزيد على مرور الأيام.

قال رحمه الله: أنشدني الحاكم الإمام أبو الفضل، قال: أنشدني إبن الهيصم لنفسه وسمع قول الشاعر:

الشوق شوق ولكن من فظاعته وشدة الإبتلاء بالشـــــــــوق عنه كنـــــــــوا

ساقوا الجمال وســــــاقوني فقلت ألا ليت الذين يسوقون الجمال ونوا

أم ليـــتهم بدّلـــوا شوقا بســـــوقهم فيعرفـــــــــوا أيمـــــــــا ذنب عليّ جنـــــــــــــــوا

قال رحمه الله: وأنشدنا لغيره:

إني لأعجب من قوم أودّعهم فيستطيعون للتوديـــــــــــع بسط يد
هلاّ يكونون مثلي في فراقهم يد على القلب والأخرى على الكبد

قال رضي الله عنه: وأنشدنا القاضي منصور الهروي:

أحبتـــــي قلبـــــــــــــي لبعدكم ممـــــــــا يسر بقربه حلو
لم يبق لي بعــــد إرتحـــــالكم أنسٌ ولا طرب ولا لهو
فالعيش مرٌّ في فراقكم والعيش تراجعتم حلو

قال رحمه الله: وأنشدني وقال هو من محاسن الشعر:

إربع على الربع تبكي أيها الرجل واستوقف الربع كما يسائل الطبل
واستخبر الدار عمن ســــــــــاكنها أي المنـــــــــــازل من بعد النوى نزلـــــــوا

لـــــــو كنت أعلم أن الحب في بلدٍ لكان
يُثنـــــي إليــــــــــــه الركب والإبـــــــــــــل
فإن عهدي بها والدهر يجمعنا والوصــــــــل
متصل والشمل مشتمل
إن الليـــــــــــالي التي أبكيتني أسفاً هي
الليــــــــــــالي التي كـــــــانت لنــــــــــــا دول

قال الحاكم أبو الفضل: ولو قال: مثل الليالي لكان أحسن، قال رحمه الله: وأنشدنا أبو عبد الرحمن النيلي لنفسه:

ولي جسد طواه السقم طيّا ودون سلوه عنك
الثريــــــــــــــــا
ولو أن الأشعري رآه يومـــــــــــــــــا لسمّى
بعده المعدوم شيئا

[المجلس السابع عشر من إملائه رضي الله عنه على الولاء، يوم الجمعة، الرابع عشر من محرّم سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل، قال: حدثني جدّي أبو بكر، قال: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا أبو عوانة، عن زياد، عن المغيرة بن شعبة، قال: {قام رسول رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتفخت قدماه، فقيل له: تكلّف هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً}

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: هذا الخبر يفيد شدّة إجتهاده صلى الله عليه وآله في عبادة ربّه، ويفيد في الترغيب في الإقتداء به، وإذا شكر الله على نعمه.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن إبراهيم إملاءً سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، قال حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن حفص، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدّثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، قال: حدّثنا سفيان، عن نوح بن المختار، عن عبد الله بن عثمان، عن عبد الرحمن بن سَابِطٍ وأبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {يا كعب بن عجرة تعوّذ من إمارة السفهاء، قال: يا رسول الله، وما إمارة السفهاء، قال أمراء سوءٍ يكونون بعدي، فمن خدل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بواردٍ على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وهو وارد على الحوض، يا كعب بن عجرة الصلاة قربان، والصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة الناس غاديان، فبائع نفسه فموبقها، ومشتري نفسه فمعتقها، يا كعب بن عجرة، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحتٍ، النار أولى به}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد وجوب تجنب الظَلَمَة والدخول عليهم وإعانتهم وموالاتهم، ووجوب مفارقتهم ومعاداتهم، ويفيد الحث على الصلاة والزكاة، ويفيد أن المكلف رَجُلان، موبق لنفسه بمعصية الله، ومنجيها بطاعته، فدلّ أن الجزاء على الأعمال، ويفيد الوعيد لأكل الحرام، والسحت الحرام، وكل ذلك إنما يصح على مذهب العدل.

قال رحمه الله: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد القزويني، حدثنا سليمان بن يحيى المُضَري، قال: حدثنا

محمد بن عمان العبسي، حدثنا علي بن سالم النوباني، قال: حدّثنا أبو عبيدة الحدّاد، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن حميد، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن البيت إذ قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة وتنكبت عنه الشياطين، وكثر خيره وقلّ شرّه}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد عِظَمَ حال قراءة القرآن وما يؤدي إليه من الخير ديناً ودنيا، ويفيد أن القرآن كلام الله هو هذا المتلو المكتوب التي هي السور والآيات بلغة العرب ليصح أن يقرأ، فيوجب حَدَثَه لاستحالة صفة القِدَمْ، قال رحمه الله: فإن سأل سائل: أليس روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {القرآن كلام الله، ومن قال غير مخلوق فهو كافر }، وروي ذلك عن جماعة من السلف، وذلك ينفي حدثه، فما تأويله؟

والجواب: إنا نبيّن قولنا في القرآن وما يزعمه مخالفونا، ثم نبيّن معنى الأخبار في ذلك، فنقول: القرآن كلام الله تعالى، وهو هذه السور والآيات بلغة العرب، أنزلها على نبيّه صلى الله عليه وآله، وصار مكتوبا في المصاحف متلوا في المحاريب، أحدثه الله قي محل يُسْمَعُ منه فكان هو المتكلم به وكلامه المسموع، كما أن الواحد منا يحدث كلامه في لسانه فيكون هو المتكلم به واللسان محل الكلام[56]، وكما أحدث كلامه مع موسى في الشجرة على ما نصّ عليه، والكلام المعقول هو الحروف المنظومة، فأما يا يزعمه مخالفينا بأنه صفة في ذاته ليست بحروف ولا مسموع ولا متلو فذاك مما لا يعقل، ومن قال بأن القرآن هو هذه الحروف والسور وهو قديم فهو أشد تناقضا، لأن كل ما فيه علامات الحدث، ثم اختلفوا، هل يوصف بأنه مخلوق، فمنهم من قال: لا يوصف لأن فيه إيهام، ومنهم من قال يوصف، وهو الصحيح، والمراد أنه أحدثه مُقَدَّرا كما شاء، وقد عُلِم من

[56] يمكن أن يُقال: كما أن الواحد منّا يحدث كلامه في الهاتف فيكون هو المتكلم به والهاتف محل الكلام.

دين الرسول صلى الله عليه وآله أن هذه السور هي القرآن، وأنه كلامه تعالى، وعليه كان السلف الصالح، حتى ظهرت البدع، وكان الكفار يقولون إن هذه السور ليست بكلام الله تعالى، فقد وافقوهم، ومن أنه زعم أنه ليس بصدق فقد وافقهم وخرج عن الملة، فأما الآثار فيه، فمنها ما روي عن نافع، قال: قلت لابن عمر : هل سمعت من رسول الله صل الله عليه وآله في القرآن شيئاً؟ قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {القرآن كلام الله، نور من نور الله} ولقد أقر أصحاب التوراة أنه كلام الله، وأقر أصحاب الإنجيل أنه كلام الله، فمن خالف هذا فقد خالف ما أنزل الله، وهذا الخبر يعنيه مذهب أهل العدل، فكيف يحتجون به عليهم، ويدل أن القرآن غير الله، لذلك قال نور من نور ، يعني يهتدي به الخلق في دينهم كما يهتدوا بأنواره في الدنيا، ومنها ما رووا عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبيد، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {إذا ذُكِر القرآن فقولوا كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر}، معناه أنه من قال ليس بكلام الله وإنه كلام بشر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كاذب في إضافته إلى الله فهو كافر،وهكذا نقول وعلى هذا يُحمل ما روي عن أصحاب النبي صل الله عليه وآله: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر"، ومنها ما روو عن عن جابر قال: كان رسول الله لى الله عليه وآله يعرض نفسه على الناس بالموقف ويقول: إن قريشا منعوني أن أُبَلِّغ كلام ربي، ومعناه منعوني أن تبليغ هذا القرآن وما يجوز أن يبلغه يكون غير الله، فهو عين مذهب العدل[57]، والذي يبيّن صحة ما قلنا ما رووا عن أبي بكر، قال: لمّأ نزل قوله تعالى: {الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2)} [الروم : 1 - 2]

---

[57] قلت: ما ذكره في تأويل هذه الأخبار - أي اخبار التي تقول أن القرآن غير مخلوق - كلام فيه تكلف، الأخبار واضحة وضوح الشمس أنها موضوعة، فمثل هذه المسائل لم تناقش وتطرح في زمنه عليه السلام أصلا، فكل هذه الأخبار تُرد.

خرج بها أبو بكر إلى المشكرين، فقالوا: هذا من كلام صاحبك، فيقول أبو بكر: الله أنزل هذا، وهذا يصحح ما قلنا، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: {ما خلق الله من سماء ولا أرض أفضل من آية الكرسي} ونحو ذلك كثير.

قال رحمه الله: ونعود إلى ذكر المذاهب، وإذ قد بيّنا المذاهب المحدثة والبدع المولدة، بقي ما كان عليه النبي صلى الله عليه واصحابه وعلماء أهل البيت، وهو القول بتوحيد الله ونفي التشبيه، والقول بعدله وبرائته من كل سوء، والقول بعصمة أنبيائه وصدق ما جاءوا به على ما نطق به الكتاب، ومشائخ أهل العدل أخذوها من علماء آل البيت، أخذها واصل عن محمد بن الحنفية وإبنه أبي هاشم، وكان مع ذلك من أصحاب النفس الزكية، وكان عمرو بن عبيد تأهب للخروج مع زيد بن علي عليهما السلام فورد الخبر بقتله، وكان نطر الورّاق وبشير الرحّال من أصحاب إبراهيم بن عبد الله، وكان حكم المعتزلي من أصحاب عيسى بن زيد، والروايات بذلك عن علماء أهل البيت ظاهرة، وكتب القاسم ويحيى والناصر والمهدي وأحمد بن عيسى وغيرهم من أئمتهم مشحونة بذكر العدل والتوحيد، وروي أن أبا الخطّاب وجماعة دخلوا على زيد بن علي عليهما السلام، فسألوه عن مذهبه فقال: إني أبرأ إلى الله من المشبهة الذين شبّهوا الله بخلقه، ومن المجبّرة الذين حمّلوا ذنوبهم على الله، ومن المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله، ومن المارقة الذين كفّروا أمير المؤمنين، ومن الرافضة الذين كفّروا أبا بكرٍ وعمر، وهذا عين مذهب أهل العدل، وكان إمام أهل هذه الطائفة بعد أمير المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن علي وعلي بن الحسين زيد بن علي عليهم السلام، وجميع أولاد أمير المؤمنين إلا أن زيد تقدّمهم بالفضل والعلم والجهاد

في سبيل الله، وروي أنه لما ولد سنة خمس وسبعين بشر به علي بن الحسين، فأخذ المصحف وفتحه فنظر فيه فخرج أول السطر {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } [التوبة : 111] وفتح الثانية فخرج {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ } [آل عمران : 169]، فطبقه ثم فتحه فخرج {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ} [النساء : 95]، فأطبقه وقال: عُزِّيت هذا المولود وإنه لمن الشهداء، وعن خالد بن صفوان: إنتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم لزيد بن علي، رأيته عند هشام يخاطبه وقد تضايق به مجلسه، وفي كتاب القاضي أبي بكر محمد بن عمر الذي رواه أبو سعد السمّان بإسناده عن زاذان عن أمير المؤمنين قال: الشهيد من ذرتي والقائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان، إمام المجاهدين وقائد الغرّ المحجلين، بأبي هو وأصحابه، يوم القيامة تتلقاهم الملائكة المقرّبون ينادونهم أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، وبإسناده عن الباقر وأشار إلى زيد: هذا سيد بني هاشم، إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا استنصركم فانصروه، وبإسناده عن خليفة بن حسّان: سمعت زيداً يقول: اللهم إن هشاماً وأهل بيته طغوا في البلاد وأظهروا فيها الفساد، فصب عليهم يا رب سوط عذاب، اللهم فإنك لهم بالمرصاد، فأرح منهم العباد وطهّر منهم البلاد، واجعلهم نكالا للحاضر والباد، وعن الباقر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للحسين: {يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يوم القيامة، غُرّاً محجلين يوم القيامة، إلى أن يدخلوا الجنة}، وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله: {يُقْتَل من ولدي رجل يدعى زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعوا إلى الحق ، يتبّعه كل مؤمن}، وعن محمد بن زيد قال: بعث أبو حنيفة رحمه الله إلى زيد

بمال وقال: استعن به على ما أنت فيه، وعن فضل بن الزبير قال: كنت رسول زيد بن علي إلى أبي حنيفة، فسألني من يأتيه من الفقهاء؟ فقلت: سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، هارون بن أبي سعيد، وأبو هاشم الرمّاني، وحجاج بن دينار ، وغيرهم كثير، وعن شعبة قال: سمعت الأعمش يقول: حين خرج زيد بن علي والله لولا ضرارة بي لخرجت، والله ليخذله والله ليسلمنّه، كما فعلوا بجدّه وعمّه، وعن عقبة بن اسحاق السلمي قال: كان منصور بن المعتمر يدور على الناس يأخذ البيعة لزيد بن علي، وعن ليث قال: جاءنا منصور يدعونا إلى الخروج مع زيد بن علي، وعن حمّاد بن زيد وذكر سفيان الثوري فقال: ذاك كان زيديا، وعن أبي معاوية وذكر عنده سفيان فقال: نحن أعرف بهذا منكم، كان سفيان من هذه الشيعة، وكان منصور يأخذ البيعة ليزيد بن علي، وروي السيد أبو طالب بإسناده عن أبي عوانة قال: كان سفيان زيديا، وكان إذا ذكر عنده زيد بن علي يقول: بذل مهجته لرب، وقد قام بالحق لمخالفه ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه، وقال أبو عوانة قال: كان زيد بن علي يرى الحياة غراما، وكان ضجرا بالحياة، وعن الواقدي قال: كان سفيان زيديا، وعن النضر بن حميد الكندي قال: شهدت سعد بن إبراهيم بالمدينة حين نعي إليه زيد فبكى وأشتد حزنه واشتد جزعه وتخلف في منزله يعزا به، ثم خرج بعد سبعة أيام، فسمعته يقول: ما حلّف مثله، وعن الصادق: رحم الله زيداً، خرج على ما خرج عليه آباؤه، وددت أني أستطعت أن أصنع كما صنع عمي، فأكون مثل من قُتِل مع زيد كمن قُتِل مع الحسين بن علي، وعن جابر : سألت محمد بن علي عن زيد فقال: سألتني عن رجل ملئ قلبه إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه، وهو سيد أهل البيت، قال

رحمه الله: ولما بويع زيد بن علي تخلّف جماعة عنه، فممن تخلّف عنه كميت الشاعر، ثم ندم فقال:

دَعَانِي ابنُ النَّبِيّ فَلَم أُجِبهُ ألَهفِي لَهفَ لِلرَأي الغَبِينِ
فَيا نَدَمَاً غَداةَ تَرَكتُ زَيـــدَاً وَرائي لابنِ آمِنَةَ الأَميـــــــــنِ

قال رحمه الله: وأنشدني السيد أبو طالب، قال: أنشدني الصاحب كافي الكفاة القصيدة القافية يرثي زيداً فيها:

لم يشفهم قتله حتى تعاوره قتل وصلب وإحراق وتغريق

[المجلس الثامن عشر من إملائه رحمه الله، يوم الجمعة، الحادي والعشرون من محرّم عظّم الله بركاته، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد بن الفضل المذكر، قال: حدثنا علي بن محمد، حدثنا محمد بن إدريس الرازي، حدثنا جنادة بن محمد الدمشقي، حدثنا بقية، عن علي بن هارون البكاء، عن أبي خلف الأعمى، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إذا مُدِح الفاسق اهتز العرش}، قال الحاكم الإمام رحمه الله: الخبر يفيد المنع عن مدح الفساق والظلمة، ومعنى قوله إهتز العرش يحتمل حملة العرش من الملائكة، ويحتمل لو إهتز من شيء لا اهتز من ذلك لعظمه.

قال: أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، قال: أخبرنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أبو القاسم العبّاس بن الفضل بن شاذان المقرئ بالرّي، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا عبد الوهاب بن الورد، عن الحسن بن كثير، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عبّاس، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لا يتناجى الإثنان دون الثالث فإن ذلك يؤذي المؤمن والله يكره أذى المؤمن}، قال رحمه الله: الخبر يفيد المنع من أذى المؤمن، ويفيد النهي عن مناجاة توهم لما فيه الأذى، ويفيد أنه تعالى يكره أذى المؤمن، فدل على أنه لا يريد أذاه، وعند المجبرة أنه تعالى لا يكره أذاه بل يريده، وقد ورد القرآن بما يؤكذ ذلك، فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب : 58].

قال الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، قال: أخبرنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا محمد بن مروان البزار بدمشق، قال: حدثنا هشام بن حَمَّار، قال: حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد الأنصاري، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول لاله صلى الله عليه وآله: {اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، ما طلعت الشمس على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها مؤمن يدعوا الله بخير إلا استجاب له، ولا يستعذ من شيء إلا أعاذه منه} ، قال رحمه الله: الخبر يفيد فضل يوم الجمعة، وفضل ساعة فيها، وإنما لم يعيّنها ليدعوا العبد جميع اليوم ويشتغل بذكر الله رجاء موافقته تلك الساعة[58]، وسميّت يوم القيامة

---

[58] قلت: وهذا ينطبق على ليلة القدر أيضا، وهذا ما ذكرته في الحاشية سابقا.

موعودا لأنه وعد جميع الخلائق بالجمع فيه، ويوم عرفة مشهودا لما يشهده من الحاج في بعرفة ويشهده الملائكة.

قال: أخبرنا الحاكم الإمام رحم الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو حامد أحمد بن سهل الأنصاري، حدثنا محمد بن جمعة بن خلف، قال: حدثنا أبو كرنب، حدثنا وكيع، عن مالك بن مغول، عن أبي بريدة، عن أبيه، قال: {سمع رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا يقول: اللهم إني أسألك بإسمك الأعز الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: لقد سأل الله بإسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب}، قال رضي الله عنه: الخبر يفيد فضيلة القول بالتوحيد، وأن من دعا ربه ينبغي أن يقدم الثناء عليه بذكر توحيده وعدله، وقد نطق الكتاب بمثل ذلك في قوله: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران : 191]، فبدأ بذكر التوحيد والعدل، ثم عقبه بالدعاء ليكون أقرب إلى الإجابة وأسرع في القبول، وكذلك في قصة يونس، {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء : 87]، فينبغي للعبد إذا أراد الدعاء أن يبدأ فيصفه بصفاته العُلَى ويسمّيه بأسمائه الحسنى، ويمجده بتنزيهه عن التشبيه والبراءة من كل سوء وقبيح ثم يدعوا، قال رحمه الله: فإن سأل سائل: كيف يصح ما قلتم وقد روي أخبار كثيرة في التشبيه وإثبات الأعضاء ونطق القرآن ببعضه، فمنها الوجه ومنها العين ومنها اليد ومنها القَدَم ومنها الصورة ومنها الضحك ومنها الفرح ومنها النزول والهبوط، الجواب: إنا نبيّن كيفية الخلاف في الأعضاء ثم نتبع بذكر معاني الأخبار

وما يصح منها وما لا يصح، فنقول: إختلف الناس فيها، فمنهم من أثبت لله تعالى أعضاء معقولة وجعله جسما محدوداً ذا أعضاء وجوارح، وأثبته في مكان مخصوص، وهو مذهب المشبهة، ومنهم من يثبت هذه الأعضاء ويذكر أن لكل واحد منها صفة له وليست بعضو وجارحة، وهو مذهب الكُلاّبية، ومنهم من قال يجري على ظاهره ولا يفسر وهو مذهب كثير من النابتة، والقول الرابع ما يقوله مشايخنا، أنه يُأَول على وجه يوافق التوحيد ويروون ذلك عن السلف، وإذا ثبت بالعقل والكتاب أنه تعالى ليس بجسم ولا يشبه شيئاً من الأجسام يبطل قول من يثبت الأعضاء، وإذا كان إثبات صفةٍ يستحيل إلى ما يؤدي إلى الجهالات، وإن العرب لا تُعبِّر عن الصفات بالأعضاء بَطُلَ قول الكُلاّبية لفظاً ومعنى، وإذا ثبت أنه لا يجوز أن يَرِد الشرع بخطاب لا يعقل معناه لأنه عبث بَطُلَ قول النابتة، فلا بد في كل آية من تأويل، وفي كل خبر يحتمل التأويل، فإن ورد خبر لا يحتمل تأويلا علمنا أنه لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأول ما أثبتوا له: الوجه، قالوا: وقد قال تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن : 27]، وروو عن جابر بن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لا يُسأَل بوجه الله إلا الجنة}، وعن إبن عبّاس، عن النبي صلى الله عليه وآله: {من إستعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فاعطوه}، وغير ذلك من الأخبار، الجواب: إن أصل الوجه في كلام العرب مُسْتَقْبل كل شيء، ثم يُستعمل على وجوه، أولها: يراد به الجارحة المعروفة، ومنه قوله تعالى: {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ } [المائدة : 6]، والثاني: يراد نفس الشيء، يقال هذا وجه الرأي ووجه الصواب، ويقولون كرّم الله وجهك، أي أكرمك، وثالثها: يراد أفضل الشيء وخيره، يقال هذا وجه القوم، ورابعها: أول الشيء، ومنه وجه النهار، أي

أوله، وخامسها: بمعنى الجاه والقدر، يُقال: لفلان وجه في الناس، ومنه حديث عائشة: {كان لعلي وجه في الناس حياة فاطمة} أي جاه افتقدها بعدها، وسادسها: النحو، ولا يعقل له في اللغة معنى سوى ذلك، فمعنى قوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن : 27] أي يبقى هو، ومعنى قوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } [القصص : 88] إلا هو، يوضحه أن على زعمهم وتعلّقهم بالظاهر يوجب أن يفنى سائره ويبقى وجهه، أو تبقى صفة له فقط، ومعنى الخبر أن يسأل بالله تعالى فيعطى لأجله ورضاه وأمره، وقال رحمه الله: ومن المعروفين بالتشبيه هشام بن الحكم، حكى ذلك عنه النوبختي في الآراء والديانات وغيره ممن صنف في المقالات، وحكى أنه سبعة أشبار، وحكى أن القديم على هيئة السبيكة، قال الحسن بن موسى النوبختي: سمعت رئيساً من رؤساء الثنوية يقول: ما أقل ما بيننا وبين هشام بن الحكم من الخلاف، وهو يقول أن الله جسم، ونحن نقول ذلك، وهو يقول يتحرك، ونحن نقول ذلك، وخو يقول نور، ونحن نقول ذلك، قال الحسن: فنعوذ بالله من قول يؤدي إلى هذا أو يقاربه، وحكى أبو جعفر القُمي في كتاب نوادر الحكمة عن هشام التشبيه والتجسيم، وحكى عن الرضا عليه السلام قال: ذكر العبّاسي فقال هو من غلمان أبي الحرث يونس بن عبد الرحمن، وهو من غلمان هشام، وهشام من غلمان أبي شاكر، وأبو شاكر زنديق، وذكر ابن المعلم في الإيضاح قيل للصادق عليه السلام: إن هشاماً يقول بالتشبيه، فقال: أبرأ إلى الله منه، ولعنه، وروى الحسن بن عبد الرحمن الحمّاني قال: قلنا لعلي بن موسى الرضا عليه السلام إن هشام بن الحكم يزعم أن الله جسم لا كالأجسام،فقال: قاتله الله، أما علم أن الجسم محدود، أبرأ إلى الله من هذا القول، وعن يونس بن ظبيان:

دخلت على الصادق عليه السلام فقلت: إن هشام بن الحكم يقول عظيما، إلا أني إختصرت منه حرفاً، يزعم أن الله جسم، لأن الأشياء شيئان، جسم وفعل، ولا يجوز أن يكون الصانع فعلا، فيجب أن يكون بمعنى الفاعل، فقال الصادق: أوما علم أن الجسم محدود متناهى وأن المحدث المتناهي يحتمل الزيادة والنقصان، وما احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقا، ذكر هذين الخبرين ابن ناجيه الأصفهاني في كتابه، قال رحمه الله: وسأل أعرابي عمرو بن عبيد عن التوحيد فتناول بيضة بين يديه فوضعها على راحته وقال: هذا حصن مملق لا صدع فيه، ثم من وراء ذلك عرقيء مستشف، ثم من ورائه دمعة سائلة، ثم من ورائها ذهب مائع، ثم لا تنفك الأيام والليالي حتى تنفلق عن طاووس ملمع. فأي شيء في العالم إلا وهو دليل على أنه ليس كمثله شيء. وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله: {أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة، رجل قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام ضلالة، والمصورون} قل الحسن: هم الذين يصورون الله بقلوبهم، قال رحمه الله، وللصاحب:

إذا بعثت لقيـــــت الله مبتهـــلاً معي أمانان من عدلٍ وتوحيد
هذان أصلان ضل النــــــــاس بينهما إلاّ المجرد فيه أي تجريد

قال رضي الله عنه: وأنشد بن يزداذ في كتاب المصابيح:

لَو شُقَّ عَن قَلبي يَرى وَسطَه سَطران قَد خُطّا بِلا كاتِبِ
العَدلُ وَالتَوحيدُ في جـــــــــانِبٍ وَحبُّ أَهلِ البَيتِ في جانِبِ

[المجلس التاسع عشر من إملائه رحمه الله على الولاء، يوم الجمعة، الثامن والعشرون من محرّم ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسين بن سفيان، حدثنا شيبان بن فرّوخ، حدثنا عيسى بن ميمون، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن إبن عبّاس قال: رقي النبي صلى الله عليه وآله المنبر يوما فقال: { أَلَا أُنَبِّئُكم بِشِرارِكمْ ؟ قالُوا : بلى إِنْ شِئْتَ! قال : فإِنَّ شِرارِكم الذي يَنزِلُ وحْدَهُ ، ويَجلِد عَبْدَه ، ويَمنعُ رِفْدَهُ، أفَلا أُنَبِّئُكم بِشَرٍّ من ذلكَ ؟ قالُوا : بَلى إِنْ شِئتَ يا نبي اللهِ ! قال : مَن يُبغِضُ النَّاسَ ويُبغِضُونهُ قال : أفلَا أُنَبِّئُكم بِشَرٍ من ذلكَ ؟ قالُوا : بلى إِنْ شِئْتَ يا رسولَ اللهِ ! قال: الَّذِينَ لا يُقِيلُونَ عَثْرةً ، ولا يَقْبلُونَ مَعْذِرَةً ، ولا يَغفِرُونَ ذَنبًا قال: أفلَا أُنَبِّئُكم بِشَرٍ من ذلكَ ؟ قالُوا: بَلَى يا رسولَ اللهِ ! قال : مَن لا يُرجَى خَيرُه ، ولا يُؤمَنُ شَرُّهُ، قال: ألا أُنَبِّئُكم بِخِيَاركم، قالُوا: بَلَى يا رسولَ اللهِ ! قال: من طال عُمرُه، وحَسُنَ عملُه، قال: أَلَا أُنَبِّئُكم بِشِرارِكمْ ؟ قالُوا : بلى يا رسولَ اللهِ! قال: فإن بِشِرارِكمْ مَن طالَ عمرُهُ وساءَ عملُهُ، ثم قال: وإن الخُلُق الحَسَن يُذيبُ الخَطايا كَما تُذيبُ الشَّمسُ الجَليدَ وإنَّ الخُلُقَ السَّيِّءَ يُفسِدَ العَمَلَ كَما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ}، قال الحاكم الإمام رحمه الله: قوله صلى الله عليه وآله: "ينزل وحده" ينفرد بآرائه في دينه ويفارق الجماعة، ويحتمل أنه ينفرد ولا يخالط الناس ولا يخالطونه لسوء أخلاقه وأفعاله، وقوله "يمنع رفده" يعني الزكاة المفروضة والحقوق الواجبة، وقوله "لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة" يعني إذا أتاب إنسان

وقد أساء إليه فاعتذر فإنه يجب قبوله، وهو من مكارم الأخلاق، وقوله "يبغض الناس ويبغضونه" يعني في الدين، والمراد بالناس المؤمنون، ويحتمل أنه لسوء أفعاله وكثرة أذاه يبغضونه، وقوله: "الخلق الحسن" الخلق ما يعتاده المرء من القول والفعل، فإن كان حسناً كان الغالب عليه الطاعات، وإن كان قبيحاً غلب عليه المعاصي، والخبر يفيد الترغيب في مكارم الأخلاق ومعالي الأمور والزجر عن سفاسفها.

قال الحاكم الإمام رحمه الله: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحسن بن أبي بشر الصبغي، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبيد الله بن سعيد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله: {اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لايخشع ومن دعوة لا يستجاب لها}، قال رحمه الله: قوله "علم لا ينفع" أي لا يعمل به صاحبه ولا يعمل به غيره، فيكون حسرة عليه، وقوله "نفس لا تشبع" أي من طلب الدنيا، لأن الحرص على جمعها مذموم، والحرص على جميع الخيرات محمود، وقوله "قلب لا يخشع" أي لا يتواضع لله تعالى، فلا يطيعه، ويحتمل قلب قاسٍ لا رحمة فيه، وقوله "ودعاء لا يسمع" لأن دعاء المؤمن يستجاب، وإنما لا يستجاب دعاء العصاة والفسقة.

أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الوحشي رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد الفارسي، حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي، حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي عمار النهدي، عن أبي موسى الأشعري، أن النيس صلى الله عليه وآله قال: {يا عبد الله بن قيس، ألا

أعلمك كلمة من كنوز الجنة، قلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله}، قال رحمه الله: الخير يفيد وجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إلى الله، وقوله "لا حول" الحول الحركة، يُقال: حال الشخص إذا تحرك، فكأنه يقول لا حركة إلا به، يعني بقدرته وإليه، والمراد به جميع النصرفات لا نفس الحركة، ويقال: استحلت الشخص أي نطرت هل يتحرك، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله: {اللهم بك أحول وبك أجول} يعني بك أتحرك في تصرفاتي وبك أصول على أعدائي أي أنصرك، وقيل الحول الحيلة، يعني ما يأتي العبد من جهة الله تعالى فلا حيلة له في دفعه إلا به، يقال: ما له حول، وحيلة واحتيال ومحالة، وقيل الحول القوة، وهي القدرة ومعنى الخبر: لا يتهيأ لأحد فعل إلا بقدرته وآلة يعطيها الله تعالى إيـــاه.

قال رحمه الله: ونعود إلى الكلام مع المشبهة، قالوا: قال الله تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } [القمر : 14]، وعن عطاء، عن إبن عبّاس في تفسير قوله: {بِأَعْيُنِنَا } أنه أشار بيده إلى عينه، وقال تعالى: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } [الطور : 48] وقال تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا } [هود : 37]، وروى أبو هريرة {أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ أنه {كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء : 58] فوضع أُصبعه الدعّاء وإبهامه على عينه وأذنه، فنبه على إثبات العين والأذن}، وروى عقبة بن عامر، قال: {رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ وهو جاعل اصبعه تحت عينه، يقول:كل شيء بصير}، والجواب: أن العين في كلام العرب تستعمل بمعان، والعين عين الإنسان وكل ذي بصر، وجمعه أعين وعيون، وهو أصل في الباب وهي حاسة مركبة، وأجسام مؤلفة، جعلها الله تعالى آلة للرؤية لمن يرى بحاسة ويحيي بنية وحياة، والعين المتجسس للخبر، وبلد قليل العين أي قليل الناس،

والعين عين الماء، وماء معين أي ظاهر للعيون، والعين سحابة تقبل من ناحية القبلة، والعين مطر يدوم خمساً أو ستاً لا يقلع، والعين عين الشمس، والعين ثقب في المزادة، والأعيان الإخوة بنو أب وأم، فإن كانوا لأُمهات شتّى فهم بنو عالات، وإن كانوا بنوا آباء شتّى فهم بنو أحياف، والعين الحفظ، ومنه في الدعاء: "عين الله عليك" "وأحرسنا بعينك التي لا تنام"، والعين المال الناض، وعين الشيء نفسه، يقال: هذا درهمك بعينه، والعين الميل في الميزان، والعين عين الركبة النقرة التي تكون فيها، وقد فسّروا قوله: {كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي } [الكهف : 101] المراد به القلوب، فأما قوله: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا } [هود : 37] قيل: بإبصارنا إياك وحفظنا لك، وقيل {بِأَعْيُنِنَا} أي بمرأى منا، يراك كما يرى الرائي بالعين، وقيل بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين، فإنهم يحرسونك ممن يمنعك، وقيل بعلمنا وما نوحيه إليك من صفتها، وقوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } [القمر : 14] قيل: بمرأى منا، وقيل بأمرنا وقيل بأعين أوليائنا وقيل بحفظنا وحراستنا، وقيل تجري بأعيننا من الماء الذي أنبعناه، وقوله: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } [الطور : 48] أي بحيث نرعاك ونحفظك، وقيل بمرأى منا،فأما العين بمعنى الحاسة فلا تجوز عليه تعالى لأنه ليس بجسم، ولأن ظاهره يقتضي أن يكون له أعين وهذا لا قائل به، فكونه صفة غير معقول، والكلام على صحة الشيء وفساده فرع على كونه معقولا، وبعد، فلم نسمع في لغة العرب العين بمعنى الصفة، فأما الخبر فليس فيه إلا أنه أشار إلى عينه فما فيه من إثبات الجارحة، ولو إقتضى إثباتها لاقتضى كونها مثلا لهذه الجوارح، والمراد به أنه يُبصر الأشياء وإن كان بغير حاسة كما نبصر بالحاسة، منها أن الإدراك صفة غير سائر الصفات وغير كونه عالما، قال: حدّث السيد الإمام

أبو طالب رضي الله عنه أجازة، قال: حدثني أبو أحمد محمد بن علي العبدكي، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي، قال: كان الداعي محمد بن زيد يتهم الناصر للحق الحسين بن علي بأنه منطوٍ على دعاء الناس إلى بيعته، قال: وكنت وأبا مسلم بن بحر نذب عنه، فاتفق يوماً أن كنت أنا وأبو مسلم في مجلس الداعي، ودخل الناصر وقال: يا أبا مسلم من القائل:

وفتيان صدق كالأسنة عرسوا على مثلها والليل تغشى غياهبه
لأمـــــر عليـــــــهم أن يتـــــــــم صدوره وليــــــــس عليهـــــــــــم أن تتم عواقبه

قال: فعلمنا أنه أخطأ في إنشأ البيتين لأنه يحقق التهمة، فأطرق أبو مسلم وأطرقت، وعَلِمَ أيضا أنه أخطأ فحجل وقعد ساعة وانصرف، فقال الداعي: يا أبا مسلم، ما الذي أنشده أبو محمد؟ فقال: أنشد أطال الله بقاء السيد الداعي:

إذا نحن أُبْنَا سالمين بأنفسٍ كرامٍ رجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسنــــــــا خير الغنيمة إنها تؤب وفيهـــــــا ماؤهــــــا وحياؤهـــــــــــا

فقال الداعي: أو غير ذلك إنه يشم رائحة الخلافة من جبينه، وكان الداعي محمد بن زيد انتصب للأمر بعد موت أخيه الحسين بن زيد غرّة شوال سنة سبعين ومائتين، وكان يحمل في السنة ألف ألف درهم إلى العراق ومكة والمدينة، ويأمر بتفريقها في ولدالحسن والحسين وسائر أولاد أمير المؤمنين وأولاد جعفر وعقيل وأولاد العبّاس وضعفاء الشيعة، قال رحمه الله: وحدّث السيد

أبو طالب عليهم السلام إجازة عن العبدكي قال: سمعت أبو القاسم البلخي يقول: ما كتبت بين يدي أحدٍ إلا استصغرت نفسي، حتى كتبت للداعي محمد بن زيد، فخيّل إلي أني أكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال رحمه الله: وروى لبكر بن عبد العزيز يمدح الداعي من قصيدته:

وإذا تبسم سيـــــــــــــــــــــــفه بكت النساء من القبائل
وإذا تخصب بالدماء خرجن في سود الغلائـــــــــل
لا شيء أحسن عنده من نائل في كف سائـــــــــــل

وقُتِل محمد بن زيد يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان، سنة سبع وثمانين ومائتين، وحُمل إبنه أبو الحسن زيد إلى بخارى، وكان فاضلا نبيلا، فمن شعره الذي قاله ببخارى:

إن يكن نـــــــــــــالك الزمانُ ببلوى عظُمت شدة عليـــــــــــــــــــــــك وجلّت
وأتت بعدهـــــــــــــــــــا نوازل آخرى خضعت عندها النفوس وذلت
وتلتهـــــــــــــــا قوارع باكيـــــــــــــــــــــــــــات سُئمت دونهـــــــا الحيـــــــــــــــاة ومُلّت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايـــــــــــــــــــا إذا توالـــــــــــــت تولت
وإذا أوهنت قواك وحلـــــــــــــــــت كُشفت عنك جمـــــــــــــــــلة فتجلت

قال رحمه الله: ولمنصور بن الفقيه رحمه الله:

إذا فخرت بنو الاسلام يومـــــا على من ليس منها بالرسول
قضيت لها كما أقضى عليها بأن خيارهـــــــــــــــا ولد البتـــــول

[المجلس العشرون من إملائه رحمه الله ، يوم الجمعة، الثاني عشر من صفر ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد رضي الله عنه، حدثنا أبو عمرو بن حمدان إملاءً، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، قال: حدثنا أبو كامل الفضيل بن حصين، قال: حدثنا حصين بن نُمير، قال: حدثنا حسين بن قيس، عن عطاء، عن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {لا يبرح العبد من بين يدي ربه يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: شبابه فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين إكتسبه وفيما أنفقه، وما عَمِل فيما عَلِم}، قال رضي الله عنه: الخبر يفيد أن العبد يُسأل يوم القيامة عن أعماله، وإنما يُسأل لا للتعريف لكن توبيخا وتقريعا، وليعلم الأشهاد أنه مجازى بعمله، وفيه لطف لنا إذا أخبرنا بذلك، ويفيد أنه يُسأل عن ماله، فإن كان من وجه حسن لم يعب عليه، وإن كان من وجه محظور عوقب، وكذلك يُسأل عن إنفاقه، وفيه تحذير عن جمع المال من غير حلة وإنفاقه في معصية ربه، ويفيد أن العلماء يُسألون ما عَمِلُوا فيما عَلِمُوا، ومعنى قوله "بين يدي ربه" أي في الموضع الذي أوقفه فيه، لا أن هناك يداً،

قال رضي الله عنه: فإن قيل فقد نطق القرآن بذكر اليد في قوله تعالى: {بل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة : 64]، وقوله {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص : 75] {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } [الذاريات : 47]، وورد الخبر بذلك، ففي حديث ابن عمر : {خلق الله أربعة أشياء بيده، العلم والعرش وجنة عدن وآدم}، وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن الله تعالى باسط يده لمسيء النهار ليتوب قبل الليل، ولمسيء الليل ليتوب قبل النهار، حتى تطلع الشمس من مغربها} وروى إبن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {إن الله تعالى أول شيء خلقه العلم، فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين}، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لما خلق الله تعالى الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتي تغلب غضبي}، قال: وروي أنه له يمنى وقد نطق القرآن في قوله تعالى: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر : 67]، وفي خبر إبن عمر : {أجرى القلم بيمينه، وكلتا يديه يمين}، وروى عبيدة السليماني عن عبد الله أن حبراً من اليهود جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع، والأرض على أصبع، والجبال والشجر على اصبع، والماء والثرى على اصبع، والخلائق كلهم على اصبع، يهزهن ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الملك،فقلد رأيت رسول الله صلى الله عليه ضحك حتى بدت نواجده تعجبّا مما قال وتصديقا له، ثم قال صلى الله عليه وآله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر : 67]، وفي الخبر إثبات الأصبع أيضاً، وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ يُصرف كيف يشاء، اللهم مُصرّف القلوب صرّف قلوبنا إلى

طاعتك}، قال: وروى أنس عنه صلى الله عليه وآله: {ما من قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع رب العالمين، ما شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، قال: والميزان بيد الرحمن تعالى، يخفض ويرفع، وكان يقول يا مثبت القلوب ثبت قلبي على طاعتك}، والجواب: أنّا نبيّن معنى اليد واليمين والاصبع في اللغة، ثم نفسر الآيات والأخبار على ما يوافق أدلة العقول والكتاب، ونفي التشبيه في أنه تعالى ليس بجسم وأنه منزه عن الأعضاء والجوارح، أما اليد فتستعمل في اللغة على وجوه كثيرة، منها اليد يد الإنسان، والجمع أيدي وتصغيره يديه، ومنه قوله: {فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } [المائدة : 38]، واليد المنة والنعمة، يقال: لفلان على فلان يد، والجمع أيادي وأيديت عنده يدا اصطنعتها عنده، وقيل في قوله تعالى: {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ } [التوبة : 29] أي إنعامٍ عليهم بقبولل ذلك لما فيه من اللطف لنا ولهم، وقيل نقداً، وقيل عن إعتراف بأن الإسلام عال، واليد القوة والقدرة، والجمع أيدٍ واليد أيضا القوة ومنه قوله عليه السلام: {وهم يد على من سواهم} أي قادرون عليهم، وقيل مجمعون عليه، واليد المُلك، ومنه الذي بيده عقد النكاح، أي يملك عقد النكاح، واليد تُستعمل بمعنى الصلة وتأكيد الإضافة، يقال: هذا ما جنت يداك، ومنه {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ } [المسد : 1] يعني نفسه، وذلك لأن الفعل قد يُضاف إليه لأنه أمر به، ومُضاف لأنه فعله بنفسه، فإذا أُريد حقيقة الفعلية ذكروا اليد، لأن اليدين هما الأصل في التصرف، قال الزجاج: يقال للرجل إذا وُبِّخ: ذلك بما كسبت يداك، وإن كانت اليدان لم يجنيا شيئاً، ومنه: حتى إذا ألقت يدا في كافر[59]، أي غربت،واليد تستعمل بمعنى الطاعة، واليد تستعمل بمعنى الطاعة والتصرف، يقال: أنا بين يديك، وكل الأمر

[59] بيت من شعر لبيد بن ربيعة العامري، وهو من شعراء العصر الجاهلي، (ألقت) يعني الشمس أضمرها ولم يجر لها ذكر، ومعنى قوله (ألقت يدا) أي بدأت في المغيب.

بيد فلان، واليد تستعمل بمعنى الأمام ومنه: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا } [البقرة : 66]، {فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً } [المجادلة : 12]، واليد الجماعة، ويقال: سُق في يده، أي ندم، ومنه {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ } [الأعراف : 149]، ويُقال للقوم إذا تفرّقوا: صاروا أيادي شتّى، وقد ورد لجميع ذلك نص أهل اللغة والأشعار، فمن قديم الأشعار قوله:

إعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

وقال آخر:

يدكم يد عندي لها ما يشكرها يدان لأقلام الفصّاح ومقول

فالمراد باليد الأولى النعمة، وباليدان القوة، وقال آخر:

فلا لِإمرِئٍ لي حين يُسنِدُ قومهُ إِلَيَّ وَلا بالأكثريـــــــــــــنَ يَدانِ

يعني القوة، وقال آخر:

وسقماً ألحّ فما لي بما أحاط برجلي منه يدان

فإذا أضيف اليدان يقال يدي، وفي أمثال أبي عبيدة عن العرب: "يدين ما أرودها زائدة"ـ أي بقوة وزائدة إسم رجل، فأما اليمين فيستعمل بمعنى الجارحة، وبمعنى القسم، وبمعنى القدرة، ومنه شعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقد فُسّر قوله: {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة : 45] على وجوه، فقيل: أخذناه بقوة وقدرة، وقيل: أخذنا قدرته، وقيل: جازيناه بأن يأمر بأخذ يمينه وإلقائع في النار، وقيل: أخذنا بيمينه فمعناه التصرف، واليمين من قولهم فلان ميمون النقيبة، أي مبارك النفس، والعرب تنسب الفعل المحمود إلى اليمين، ومنه: {إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : 28]، واليمين واليامن بمعنى كالقدير والقادر، ومنه يقال: يمنّ الله الإنسان بيمنه يَمنا ويُمنا، وعن إبن عبّاس: اليمين إسم من أسماء الله تعالى، فأما الإصبع فتستعمل على وجوه، منها الجارحة المعروفة، صبّع فلان بفلان إذا أشار بإصبعه معتابا، وفيه لغات أَصبع، بفتح الهمزة والباء وضمهما وكسرهما ثلاث لغات، وإِصبع بكسر الهمزة وفتح الباء وأُصبع بضم الألف ورفع الباء، ومنها الأصبع الأثر الحسن، يقال: إن له علي أبلد إصبعا، قال صحاب المجمل وهو في شعر للراعي يعني قوله:

ضَعيفُ العَصا بادي العُروقِ تَرى لَهُ عَلَيها إِذا ما أَجدَبَ الناسُ إِصبَعا

وقيل: الأصبع في بيت الراعي المراد به اليد وهو النعمة، فلما لم يمكنه ذكر اليد كنى بالأصبع عن اليد لأنها من اليد، فحصل الأصبع مستعملا في ثلاث معانٍ على ما بيّنا، فإذا ثبت هذا قلنا: إذا احتمل هذه الوجوه فلم حملوها على ما يوجب التشبيه؟ وهلاّ حملوها على ما يوافق التنزيه؟ فأما قوله: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص : 75] قيل: بقدرتي، وهو من قولهم يدان، أضيف فصار يدي، فخصّ آدم لأنه خلقه كما هو من غير ترتيب وتدريج، كما يخلق أولاده، وقيل: اليد صلة أي خلقه بلا واسطة من ذكرٍ وأنثى، وقيل: الباء بمعنى اللام، أي خلقته لنعمتي، نعم الدين والدنيا، لأنه جعله خليفة في الأرض وجعله

نبياً، وقوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة : 64] يعني نعمه على خلقه، وذكر بلفظ التثنية لأن نعمه وإن كثرت فإنها ترجع إلى شيئين، نعم الدين والدنيا، أو نعم الأولى والعقبى، وإنما أجاب اليهود حين وصفوا الله تعالى بالبخل في قوله: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } [المائدة : 64] لأن عاقلا لا يقول أن يده مغلولة من الغل، وقوله: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات : 47] أي بقوة، كقوله: {دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ } [ص : 17] ولو حمل على ظاهره لوجب أن يكون له أيدٍ وهذا لا قائل به، وقول ابن عمر خلق "أربع أشياء بيده" يعني بغير واسطة خلقها كما هي من غير غارس ولا فاعل ولا تدرج ولا ترتيب، ومعنى قوله في حديث أبي موسى "باسط يده" أي نعمه عليهم بقبول التوبة منهم، وقوله في حديث أبي هريرة "كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي" يعني كتبها هو تعالى بأن أظهرها في اللوح من غير واسطة، وأما قوله "والأرض جميعا في قبضته يوم القيامة" أي ملكه يتصرف كيف شاء وينفرد بالتصرف في الآخرة بخلاف الدنيا، وقوله {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر : 67] أي بقوته وقدرته، وقيل يطويه للقسم الذي أقسم بفعله كذلك، وقوله في حديث ابن عمر "خلق القلم فأخذه بيمينه" أي بقوته وقدرته، وقوله "وكلتا يديه يمين" يعني أن للإنسان يميناً وشمالاً يتصرف بهما وهما في صفة الله قوته وقدرته، وذلك يبيّن أن المراد باليمين هو الجارحة، وقوله "ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن" يحتمل بين نعمتين من نعمه، نعم الدين والدنيا ونعم الألطاف بالمنافع والألطاف بالمصائب وما فيها من الأعواض من قولهم الاصبع الأثر الحسن، وإن كان بمعنى اليد فاليد النعمة أيضا، ويحتمل أنه أراد إن قلبه في قدرته، فكنى بالاصبع عن القدرة، يعني كأنه بين أصابعه في أنه يتصرف فيه كيف شاء، يدل عليه أنّا نرى

القلوب كلها ولا اصبع ثَم، وقوله "ما شاء أي يقيمه" يعني إن كان للعبد ألطاف فيفعل به ذلك فيقيمه بألطافه وإن لم يكن له ألطاف خلاّه واختياره، فكأنه أزاغ قلبه، وقوله "والميزان بيد الرحمن" يعني إليه حكمه، كما يقال هذا الأمر بيد فلان، وقيل من قدرته على ما روي في كفتيه من العِظَم،فأما حديث اليهود فيحتمل أنه يحمل الأشياء بقدرته يوم القيامة، ويحتمل أنه صلى الله عليه وآله أنكر قوله لذلك قرأ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } [الزمر : 67]، وقوله وتبسم تصديقا له من قول الراوي لعله ظن ذلك، ويحتمل على اصبع من أصابع ملائكته، وقوله "أنا الملك" يعني أنا الذي أخلق خلقا يحميل جميع ذلك على أصابعه، فهذا جملة ما قيل في هذه الأخبار وشرحمه مما يطول، وقد بيّنا أن حمله على الجارحة والصفة لا يجوز، فكلام النبي صلى الله عليه وآله إذا صح عنه لا بد له من معنى، ولعل أكثر أخبار التشبيه من دسيس الملحدة، ألقوها إلى ضعفة المسلمين إلقاء الشبهة والله أعلم، قال رحمه الله: روو جماعة أن الأصمعي دخل على الرشيد فرآه مكتئباً يتنفص الصعداء، فقال: يا امير المؤمنين، أو مثلك يتنفس الصعداء وأنت يخطب لك في شرق الأرض وغربها، فقال: رفقا يا أخا بأهله، سمعت أبي المهدي يقول: سمعت جدي المنصور يتمثل وهو يقول:

كن موسرا إن شئت أو معسرا لا بد في الدنيا من الغم
و كلمـــــــــــا زادك مـــــن نعمـــــــــــــــــــــة زاد الذي زادك في الهـــــم

قال رحمه الله: وأنشدت لبعضهم:

قل لِمَنْ أبْصَرَ شيئا مُنْكَرَهْ وَرَأَى مِنْ دَهْرِهِ مــــــــا حَيَّـــــــــــــــرَهْ
ليــــــــــــــس بالمنكر ما أبصرته كل من عاش يَرَى ما لم يَرَهْ

وقال رحمه الله: وأنشدت للصاحب يخاطب حنبليا زعم أن معبوده شاب أمرد قطط الشعر:

إن كان معبودك أضحى أمرداً وكان معشــــــــوقك أيضـــــــــــــــــــا أمرداً
فبيّ، الفصل الذي بينهمـــــــــــــــــــــــا هـــــــــــذا ومـــــــــــــــا تفصل فيـــــــــــــــــــه أبداً
أولا فأنت عـــــــــــــــــــابد لصنـــــــــــــــــــــــم لا الواحد الفرد القديم الصمدا

قال رحمه الله: وأنشدت له:

شيئان من يعذلني فيها يبـــــــــــــــــــــــوء بالإثـــــــــم وبالعــــــذل
حب علي بن أبي طالب والقول بالتوحيد والعدل

[المجلس الحادي والعشرون من إملائه رحمه الله ، يوم الجمعة، التاسع عشر من صفر، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أن أبو بكر محمد بن

سليمان أخبره ببغداد، حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا مسلم بن خالد، حدثنا العلي بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إذا مضى النصف من شعبان فلا صوم حتى يجيء رمضان}، قال رحمه الله: معنى الخبر أنه لا ينبغي أن يُصام شعبان بنية الفرض أو بنية مماثلة إذ لا خلاف أنه لا يكره صومه نفلا أو قضاء أو نذرا، وكذلك يوم الشك إذا وافق صوماً قبله، فأما إذا صام بنية الفرض أو على وجه الإستقبال فلا يجوز بالإجماع، فلا صيام بنية مماثلة، يكره عند أبي حنيفة والشافعي، وعند الهادي عليه السلام تصح بشرط أن ينوي الفرض قطعا إن كان اليوم من رمضان.

قال رحمه الله: حدث السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين رضي الله عنه إجازةً، حدثنا أبو سعد عبد الله بن محمد الكرخي، حدثنا أحمد بن يوسف بن خلاّد، حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة، حدثنا أبو عبد الرحمن بن الأسود بن عامر شاذان، قال: حدثنا شُرَيك بن عثمان بن أبي زرعة، عن مهاجر الشامي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة في الآخرة، أو ألبسه الله ثوباً من نار}، قال رحمه الله: قوله "ثوب شهرة" يحتمل ثوب فضيحة من إظهار المعاصي والجرائم حتى لا يبالي بما يفعل ويقول، والشهرة الفضيحة، وأصله من الظهور، ومنه الشهر وضوح الأمر ، ويحتمل ثوب شهرة أي يشتهر في الدنيا بالزينة والأموال وجمعها مما لا يجوزه الشرع كما يفعل أرباب الدنيا، ويحتمل أنه أراد من يبتدع في الدين بدعة فتشهر بذلك كعادة أئمة الضلال، ويحتمل ثوب حرام، نحو المغصوب والديباج ونحوها، ويحتمل أنه أراد ثوبا يحكي نفسه فيكون كقوله: "لعن الله الكاسيات والعاريات"،

قوله "ألبسه الله ثوب مذلة" توسع وأراد يذله ويدخله الله.

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أبو علي الموصلي، حدثنا غسّان بن الربيع، حدثنا إسماعيل بن عيّاش، عن عمر بن عبد الله، عن عكرمة، عن إبن عبّاس قال: {كنت ردف النبي صلى الله عليه وآله فقال لي: يا غلام ألا أعلمك شيئاً ينفعك الله به، قلت: بلى يا رسول الله، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلو جهد الخلائق أن ينفعـوك بشيءٍ لم يكتبه الله لك لم يقدروا، ولو جهد الخلائق أن يضروك بشيءٍ لم يضروك لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا على ذلك}، قال رضي الله عنه: الخبر يفيد وجوب الإنقطاع إلى الله تعالى، ويفيد أن خلاف المعلوم وما كتبه الله في اللوح لا يكون، وقوله "تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" يعني تقرب إليه بكثرة الطاعات يجازيك في حال الشدة.

قال رحمه الله: فإن سأل سائل فقال: قد روي في الخبر أن له كفّا وقدماً وصورة، فروى هشام بن الحكم أن رجل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاضهم في كفيه، فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وروي في ذلك أخبار بألفاظ مختلفة، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إختصمت الجنة والنار، وروى أحيحة فقالت الجنة: يا رب ما لي يدخلني إلا فقراء الناس، وقالت النار: ما لي يدخلني إلا الجبّار والمتكبر، فقال للنار: أنت

عذابي الذي أصيب به من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وكل واحدة منها أملاؤها، فأما الجنة فإن الله تعالى ينشئ لها ما يشاء، وأما النار فيلقون فيها حتى تقول هم من مزيد، حتى يضع قدمه عز وجل فتمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط}، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: {إن الله خلق آدم على صورته}، والجواب: أما حديث إخراج الذرية من ظهورهم فحدثيث مردود، فقد ردّه مشايخنا رحمهم الله وذكروا أنه لا يصح، وأنه يفتح باب مذهب التناسخ، وقالوا لو كان ذلك صحيحا لكُنَّا نتذكر ذلك، وعدُّوه من دسيس الملحدة، وقالت الإخشيدية يجوز من غير قطع، وأما الحشوية فيصححوا الخبر وحملوا عليه الآية وهو قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ } [الأعراف : 172]، وليس فيها شيء مما ذكروا على ما بيّن في كتب التفاسير، فإن ثبت الخبر فالمراد بالكف القدرة والتصرف كما يشاء من غير منع، كما يقال هذا البلد في كف فلان وقبضته، فكأنه تعالى جعل بني آدم قسمين بقدرته، وأخبر عن حالهم المعلومة عنده مُنَبِّها على كمال قدرته وعلمه، فأما حديث القدم فقد ردّه كثير من مشايخنا، وتعاطى بعضهم تأويله، والذي يبيّن فساد ما يذهب إليه أهل الحشو أنه تعالى ذكره في نص كتابه فقال تعالى: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود : 119]، وهم يرون أنه يملأ ذلك من قدمه، فإن ثبت، فقيل معناه حتى يجعل الله فيها الذين قدمهم له من شرار خلقه، فهم قدم الله للنار كما أن المسلمين قدم الجنة، والقدم في العربية الشيء تقدّمه قدامك، وذكر شيخنا أبو القاسم رحمه الله أنه روى عن بعض المحدثين أنه روى الخبر فقيل له إن المعتزلة تتأول الخبر على هذا المعنى فكان بعد ذلك يروي حتى يضع الجبّأر رجله، وهذا يدل على قلة مبالاة القوم

بالدين، فأما حديث الصورة فمن الأخبار الضعيفة، فإن ثبت، فقيل المراد خلق آدم على صورته أي على هيئته التي كان عليها من غير ترتيب وتدريج كما يخلق بني آدم فينقله من حال إلى حال، فمرة نطفة ومرة علقة ومرة مضغة ومرة جنيناً ومرة عظاماً ومرة طفلاً ثم شابّاً ثم كهلاَ، يوضحه أن الهاء أقرب إلى إسم آدم، فرجوع الكناية إليه أولى[60]، وقيل خلق آدم على صورته التي وعدها ملائكته وكان وعدهم أنه سيخلق بشراً من صفته كذا ويجعله خليفة في الأرض، وقيل أنه أشار إلى رجل وقال أنه تعالى خلق آدم على صورته، وقيل خلق ملكا من حملة العرش على صورة آدم فأراد أنه خلق على صورة ذلك الملك.

قال رضي الله عنه: ذكر الناصر للحق الحسن بن علي عليه السلام بإسناده عن عطاء بن السائب قال: أخبرني أكثر من عشرة أن أبا موسى الأشعري دخل على علي عليه السلام فقال له م هذا الذي تحدث به، فقال أبو موسى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {تكون فتنة المضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي، فإذا كان ذلك فاقطعوا أوتار قسيّكم واضربوا سيوفكم بالحجارة} فقال له علي عليه السلام: أنشدك الله قال ذلك لك خاصة، أنت فيها يا أبا موسى مضطجع خير منك قائم، فقال: فهكذا فحدث الناس، وذكر بإسناده عن أبي مريم الحنفي قال: كنت أُصلي خلف أبي موسى بالكوفة، فلما صلى يوماً الفجر قال: قَدِم الليلة رجل من خيار أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، عمّار بن ياسر، فمن أحب أن ينطلق معي فليفعل، فإن له حقّاً فانطلقنا ودخلنا عليه وسلمنا وسلم أبو موسى

---

[60] قلت: وهذا تأويل حسن أفضل من التأويلات الأخرى، وإن كان سيعترض عليه القائلين بالتطور الموجه، وجلّهم يقرّون بأن آدم خلق من غير أب ولا أم لكن لا يقطعون بأنه خلق مباشرة كما هو كما تأول الخبر شيخنا الحاكم، بل مرّ بأطوار مثل عيسى عليه السلام والله أعلم

فما سمعناه رد، ثم كان أول كلامه أن قال: يا عبد الله بن قيس أنت المثبط الناس عن علي وأنت الذي تقول أقطعوا أوتار قسيّكم، ويلك! فمن يضرب خراطيم الفتن، وأين قول الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ } [البقرة : 193] وأنت القائل أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {ستكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان}، ويلك يا عبد الله بن قيس! أما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: {من كَذِبَ عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار} وأنا أشهد أنك كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فرأيت أبا موسى يتفزع كما يتفزع الديك وقام وخرج، قال رضي الله عنه: وذكر أبو القاسم البلخي رحمه الله بإسناده عن ابن عبّاس قال: رأيت أبا بردة بن أبي موسى بواسط نظر إلى أبي الغادية المزني قاتل عمّار بن ياسر فقال: أرني يدك التي قتلت بها عمّارا حتى أُقَبِّلَهَا، قال رحمه الله: حدثني أحمد بن علي بن مخلد، قال: روى أن أبا بردة كان يتبختر في مسجد البصرة ويقول: ما لي لا أتبختر وأنا ابن فلان ويذكر أبا موسى، فقال الفرزدق: حُقَّ لك أن تتبختر وقد حجم أبوك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بردة: كان ذلك مرّة تبيَّع بالنبي الدم، فقال: الفرزدق: مه، الشيخ أتقى من أن يتعلم الحجامة على قفا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بردة: كيف لا أتبختر وأنا ابن أحد الحَكَمين، فقال الفرزدق: أحدهما مائق، والاخر فاسق، فكن ابن أيهما شئت، قال رحمه الله: وذكر أبو القاسم البلخي رحمه الله أن أبا بردة حكم على الملاعنة برد ما قبضت من المهر بخلاف الإجماع، فقال كثير السهمي:

وسَنَّ أبو بردة على النـــــــــــــــــــــــــــاس
سُنَّةً مضللة يقتاسها كل فــــــــاجر

وحرّم فرجا فقضـــــــــــــى بصداقه وما يستحل الظلم من فرج كافر
فلولا سعيد ردها ما استقالها وللجهل خير من حكومة جـــــــــــــائر

قال أبو القاسم: وأبو موسى صاحب الحكم الذي أورث المسلمين ما أورث، قال رضي الله عنه: ومن المشهور أن أمير المؤمنين لعن خمسة نفرٍ، معاوية وعمراً وأبا موسى وأبا الأعور السلمي وبسر بن أرطأة، وروى ابن ناجية الأصفهاني في كتابه، عن الميسور بن مخرمة، قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف: أما علمت أنا كنّا نقرأ: "وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله" فقال: بلى، ومتى يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء[61].
قال رحمه الله: وأنشدت للصاحب:

إن المحبة للوصي فريضة أعني أمير المؤمنيـــــن عليًّا
قَد كلَّفَ اللَهُ البَرِيَّةَ كلَّهـــــــــــا وَاِختارَه لِلمُؤمِنيـــــــــــنَ وَلِيّا

وله أيضا:

لآل محمد أصبحت عبداً وآل محمد خيـــــــــــــــر البريه
أناس حل فيهـــــــم كل خيــــر مواريث النبوة والوصيه

[61] قلت: وهذا الخبر ضعيف، والآية المزعزمة أنها نسخت ليس فيها بلاغة القرآن ولا روحه - ان صح التعبير - فالظاهر أنها مكذوبة، والخبر وجدته في تاريخ الإسلام للذهبي ويذكره المفسرون في تفاسيرهم، قال الألوسي: أخرجه البيهقي في «الدلائل» عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف فذكره، ولا يخفى عليك حكم هذه القراءة، وقال النيسابوري: ((قال العلماء لو صحت هذه الرواية فلعل هذه الزيادة من تفسيره صلى الله عليه وسلم وليست من نفس القرآن وإلا لتواترت)) وهو كما ترى. [روح المعاني للألوسي ج 9 ص 199]

ولبعضهم:

إن كان قد عظمت ذنوبي كثرة لا بأس لـــــي
أنـــي مجد طــــــــــــامع
فالله جل جلالــــــــه لي راحـــــــــــــــم
ورسوله صلى الله عليه شــافع
أهل الكســـــــــــــــاء محبتي إياهم والعدل
والتوحيد دين جـــامع
وإذا تكاملت الديــــــــــــانة لأمري لا شك
في جنّـــــــــات عدن رافع

[المجلس الثاني والعشرون من إملائه رحمه الله على الولاء، يوم الجمعة، السادس والعشرون من صفر ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن ابراهيم، قال: حدثنا مكي بن عبدان، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن معبد بن خالد قال: سمعت حارثة بن وهب الخزاعي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: {ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر }، قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: العُتُلُّ قيل الشديد الخصومة، الجافي اللئيم الضريبة، وقيل هو الفظ الغليظ، وقيل هو الأَكُول المَنُوع، وقيل هو السريع إلى الشر، ومنه العَتْلُ، والخواظ الجَموعُ المنوعُ، وقيل هو الكثير اللحم المُخْتالُ

في مِشْيَتِه، جاظ يجوظ جوظاناً، وقيل هو الأكول وقيل الفاجر، والخبر يفيد أن هذه الخصال من خصال أهل النار ، كما أن الأولى من خصال المؤمنين المستحقين للجنة والثواب، والمراد بالضعيف المتضعف من لا يزاحم الناس في دنياهم ولا يخاصمهم فيستضعفونه.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، قال: حدثنا أبو العبّاس أحمد بن الحسين الموصلي، حدثنا إبراهيم بن إدريس القمي، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِب لنفسه}، قال رحمه الله: الخبر يفيد أن المؤمن يجب أن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، لأنه إن أحب له شرّاً فقد عصى الله تعالى، وهذا في المؤمنين، أما الفسقة والظلمة إن أراد بهم ما يستحقونه من اللعن والعقاب فلا يكره وهو الواجب، والمحبة هو الإرادة ها هنا، وقد تستعمل بمعنى الشهوة.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي، أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الكتاني ببغداد، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد الهيثمي، حدثنا يعيش بن الجهم، حدثنا أبو يحيى الحماني، عن عبد الله بن عمر، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لإمرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام}، قال رحمه الله: الخبر يفيد النهي عن هذه الأفعال ويفيد أنها فعل العبد، لذلك صحّ النهي، والحسد أن يتمنى زوال نعمة أنعم الله بها على عبده، والبغض المنهي عنه أن يبغضه فيما لا يجوز في الشرع، فأما إن

كان فاسقاً أو ظالماً فبغضه واجب، ومعنى قوله "لا تدابروا" أي لا تقاطعوا، يُقال دابر القوم إذا أدبر كل واحدٍ منهم عن صاحبه، ويقال دابرت فلانا أي عاديته.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، قال: أخبرنا أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: حدثنا جرير ، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت زيد، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {لا صام من صام الأبد}، قال رحمه الله: الخبر يحتمل من صام الأبد فلا يفطر العيدين وأيام التشريق فقد أساء وكُرِه له ذلك، ويحتمل أنه أراد بالأبد أن يصوم بالليل والنهار، وم إعتقد صحة الوم بالليل فقد أخطأ، ويحتمل أنه أراد إذا أثر ذلك في جسمه حتى ضعف عن آداء الواجبات، لأنه إذا خلا من هذه الوجوه جاز بالإتفاق.

قال رحمه الله: ونعود إلى الكلام مع المشبهة، إن سأل سائل فقال: رُوي في بعض الأخبار جواز الضحك والفرح على الله تعالى، فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {يضحك ربنا تعالى إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل ويتوب إليه القاتل فيستشهد}، وروى أبو هريرة في حديث الأنصاري الذي أضاف السائل في حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {لقد ضحك الله منك ومن إمرأتك البارحة ما صنعتما بضيفكما}، وفي حديث الخدري عنه صلى الله عليه وآله: {إن الله تعالى ليضحك إلى ثلاثة نفر، إلى قوم صفُّوا في الصلاة، وإلى الرجل قائم في ظلمة بيته، وإلى الفارس خلف الكتيبة المنهرمة يحميها} إلى غير ذلك من الأخبار، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله

عليه وآله: {إن الله لأفرح بتوبة عبده من أحدكم بضالته يجدها بأرض مهلكة} ونحوها من الأخبار، والجواب: إن الضحك هو صفة لا تجوز على الله تعالى، لأنه تَفَتُّح واستبشار يظهر في الوجه مع إعتقاد منفعة، والفرح إعتقاد منفعة تصل إليه، والله يتعالى عن ذلك، والأخبار من الآحاد فلا يُعترض بها على ما ثبت بأدلة العقول وكتاب الله تعالى وظاهر السنن، فإن ثبت فيحتمل أنه أراد بذلك حسن حالهما عند القديم سبحانه، وإنهما يدخلان الجنة ويستحقّان الثواب، فجعل حسن الحال بمنزلة الضحك إليهما، والعرب تفعل ذلك، فروي في الحديث أن الله تعالى يبعث السحاب فيضحك أحسن الضحك، فجعل إجلاءه عن البرق ضحكاً، وهذا كلامٌ مستعار، ومثله قول الأعشى:

يُضاحِكُ الشَمسَ مِنها كَوكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَميمِ النَبتِ مُكتَهِلُ

فجعل مقابلة الشمس بناتها مضاحكة على الإستعارة، وقال دعبل الخزاعي:

ضحك المشيب برأسه فبكى

وكل ذلك إستعارة، ويحُتمل أن ذلك مما يضحك منه لو كان الضحك يجوز عليه، وذلك نحو قوله: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [الحشر : 21]، يعني لو تصدّع لشيء لتصدّع للقرآن ، وكذلك قال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ } [الحشر : 21]، ويحتمل يضحك ملائكته فعبّر عنهم بنفسه إعظاماً، كقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ } [الأحزاب : 57] يعني أولياء الله، وقد رُوي في حديث الأنصار بغير لفظ الضحك.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن إسماعيل بن صاعد، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، قال: أخبرنا أبو العبّاس الثقفي، حدّثنا محمود بن خُديش وفي نسخة حبيش، حدثنا محمد بن الحسن الشبلي، قال: حدثنا الفضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد أصابه الجهد، فقال: يا رسول الله إني جائع فأطعمني، فبعث النبي صلى الله عليه وآله إلى بعض أزواجه هل عندكن شيء، فكلهن قالت والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء، فقال صلى الله عليه وآله: ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة، ثم قال: من يُضِيف هذا هذه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فإني مَنزِلُه، وقال لأهله: هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله فأكرميه ولا تدّخري عنه شيئاً، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، قال: قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا تُطعِمِي شيئا، ثم أسرجي وأثردي، فإذا أخذ الضيف ليأكل، فقومي كأنك تصلحين السراج، فأطفئيه، وتعالي نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقامت إلى الصبية حتى ناموا عن قوتهم ولم يُطعَموا شيئاً، ثم قلمت فثردت وأسرجت، فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فأطفأته وجعلا يمضغا ألسنتهما لضيف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباتا طاويين، فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظر إليهما تبسم، ثم قال: لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة، فأنزل الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر : 9] الآية إلى آخرها، فذكر لفظ العجب دون لفظ ضحك، وأراد عظم موقع فعلهما عنده تعالى، لأن التعجب أيضا لا يجوز عليه، فأما الفرح فيحتمل الرضا والحُب، ويُحتمل

لو كان يفرح لشيء لكان يفرح لذلك، قال رحمه الله: روى أصحاب السير أنه لمّا خرج الحسين بن علي صاحب فخ عليه السلام، ولقيه الجيوش وقادتهم العبّاس بن محمد وموسى بن عيسى ومحمد بن سليمان وغيرهم، والتقوا بفخ، وقُتِل الحسين، وأكثر أصحابه دخلوا المدينة، وجلس موسى بن عيسى وأقبل الناس إليه وفي الناس موسى بن جعفر، وأقبل موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي أثر ذلك وعليه مدرعة صوف غليظ، وفي رجليه نعلان من جلود الإبل وهو أشعث أغبر ، وكان شهد الوقعة مع الحسين، فقعد في طرف فقال السري بن عبد الله العبّاسي: يا موسى، كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تدعونه لبني عمنا المنعمين عليكم، فقال موسى: أقول في ذلك:

بني عمنا ردوا فضول دمائنا ينم ليـــــــــلكم أو لا يلمنـــــــا اللوائـــــــــم
فإنا وإياكم وما كان بيننـــــــــــــا كذي الديْن يقضي دينه وهو راغم

فقال السري : والله ما يزيدكم البغي إلا ذلة، ولو كنتم مثل بني عمّكم (يعني موسى بن جعفر) لسلمتم وكنتم مثله، وقد عرف حق بني عمّه وفضلهم عليه، فهو لا يطلب ما ليس له، فقال موسى بن عبد الله:

فإن الأولى تثني عليهم تعيبني أولاك بنو عمــــــــــــي وعمهم أبــــــــــــــــي
فإنك إن تمدحهم بمديـــــــحة تُصدق ، وإن تمدح أباك تكذب

قال رحمه الله: وروى أبو العرجاء الجمال، وكان من صاحب أجمال موسى بن عيسى، قال: لما نزلنا ببستان

بني عامر بعثني إلى عسكر الحسين لأتيه بالأخبار ، قال فمضيت فما رأيت خللا وما رأيت مصلّياً أو مبتهلا أو ناظرا في مصحف أو معد السلاح، فرجعت وقلت ما أظن القوم إلا منصورين وأخبرته بخبرهم، فصفّق بيده وبكى حتى ظننته إنه سينصرف، وقال هم والله أكرم خلق الله وأحق بما في أيدينا منا ولكن الملك عقيم، لو أن صاحب القبر - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله - نازعنا الملك لضربنا خيشومه بالسيف يا غلام أضرب بطبلك. ثم سار إليهم وفعل ما فعل.

قال رحمه الله: وروي أن محمد بن سليمان لما حضرته الوفاة كانوا يلقنونه الشهادة ةهو يقول:

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن شهدت حسينا يوم فخ ولا الحسن

وقال رضي الله عنه: ولبعضهم:

يـــــــــــــــــا عيـــــــــــــــــن بـكـــــــــــي بدمع منـــــك منهتن فقد رأيت الذي لاقــــــــــــــــــــى بنو حسن
صرعــــــــــــى بفخ تجر الريـــــــــــــــــح فوقهـــــــــــــم أذيـــــــــالها و غــــــــوادي دلـــــــــــــج المــــــزن
حتى عفت أعظم لو كـــــــــان شــــــــــــاهدها محمـــــــــــــــد ذبّ عنهـــــــــــــا ثم لـــــــــــــم تهن
ما ذا يقولـــــــــــون إذا قـــــــال النــــــــــــبي لهم ما ذا فعلتم بنا في ســــــــــــــالف الزمن

لا الناس من مضر حاموا و لا غضبوا و لا ربيـــــــعة و الأحيـــــــــــــــــــــــــاء من يمن

يا ويحهم كيــــــف لم يرعوا لهــــم حرمـــــــا و قد رعى الفيل حق البيت و الركن

قال رحمه الله: رأي دعبل بن علي الخزاعي في المنام فقيل ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي ببيتين قلتهما في أهل البيت عليهم السلام:

لا أضحك الله سن الدهر ان ضحكت وال أحمد مطرودون قد قهروا

مشـــــــــردون نفـــــــــــوا عن عقر دارهــــــــــــــــم كأنهم قد جنوا ما ليس بمغتفر

قال رحمه الله: وأنشدني أبو الحسين الزاوهي قال: أنشدني النوقاني لنفسه:

أشهــــــــــــــــد بالله وآلائــــــــــــــــــــــــه شهــــــــــــادة بالحـــــــــق لا بالمــــــرا

أن علــــــــــــــــي بن أبي طالب خير الورى بعد خير الورى

[المجلس الثالث والعشرون من إملائه رحمه الله، يوم الجمعة، الرابع من شهر ربيع الأول ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، قال:

أخبرنا أبو أحمد الحافظ، قال: أخبرنا أبو بكر الباعندي، قال: حدثنا هشام بن عمّار، قال: حدثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني، قال: حدثنا الأوزاعي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: {سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصلاة[62] في الثوب الواحد، [قال] ليتوشح به ويصلي فيه}، قال رضي الله عنه: ليتوشح به يعني يلفه في نفسه حتى لا تبدوا منه عورة، لأن الواجب في الصلاة ستر العورة، يقال: توشح بثوبه ومنه الوشاح ثوب معروف، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: {كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوشحني وينال من رأسي أي يعانقني ويُقبلني} فيفيد الخبر جواز الصلاة في ثوب واحد، وروي أنه صلى الله عليه وآله سئل عن الصلاة في الثوب الواحد فقال: {أوكلكم يجد ثوبين}.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد المهرجاني، قال: حدثنا أبو علي حمزة بن محمد الكاتب، قال: حدثنا نعيم بن حمّاد، قال: معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن حذيفة، قال: {رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أتى سباطة قوم فبال عليه ثم توضأ ومسح على موضع خفيه}.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن علي الوحشي، قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله البزار، قال: أخبرنا محمد بن مخلد العطّار ، قال: حدثنا حفص بن عمرو الرمالي، حدثنا أبو شهاب، عن عاصم، عن أنس، {أن النبي صلى الله عليه وآله كان يمسح على الموقين والخمار}، قال رحمه الله: اتفق أهل النقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمسح على الخفين، ثم اختلفوا، فقال

---

[62] في النسخة [أ] سئل عن الصلاة يوم الجمعة في الثوب الواحد.

بعضهم أنه مسح بعد سورة المائدة وهو ثابت، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما، وقال بعضهم أنه كان قبل نزول المائدة، وهو مذهب القاسم والهادي عليهم السلام، وقد جرى في ذلك خلاف بين الصحابة، فأما المسح على الموق فيجوز عند أبي حنيفة وأما الخمار فالفقهاء متفقون على أنه منسوخ، ولا يجوز المسح على العمامة والخمار.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن محمد بن عبد الله السمتاني، قال: حدثنا أحمد بن مقدام العجلي، قال: حدثنا عبيد بن القاسم، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة {أن النبي صلى الله عليه وآله كان يتختم في يمينه، وقُبِضَ والخاتم في اليمين}، قال تغمده الله برحمته: الخبر يفيد السنة التختم في اليمين[63]، وروى عقيل أن النبي صل الله عليه كان يتختم في يمينه، وذكر أبو علي السلاّمي في كتاب النتف أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتختم في يمينه والخلفاء الأربعة بعده، فنقلها معاوية إلى اليسار ، وأخذ الناس بذلك فبقي كذلك إلى آخر أيام المروانية، فنقلها السفّاح إلى اليمين فبقي إلى أيام الرشيد فنقلها إلى اليسار وأخذ الناس بذلك، وروي أن عمرو بن العاص عند التحكيم وعزل أمير المؤمنين سلّها من يده اليمنى وجعلها في اليسرى وقال: خلعت عليّاً كما خلعت خاتمي من يميني وجعلتها إلى معاوية كما أدخلت خاتمي إلى يساري، ونعود إلى الكلام مع المشبهة، إن سأل سائل فقال: روى أبو هريرة وأبو سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {إن الله تعالى يُمْهِلُ حتى إذا ذهب ثلث الليل فيهبط فيقول: هل من سائلٍ فيعطى، هل من تائب فيُتَاب عليه، هل من مستغفر من ذنب فيُغفر له}،

[63] هذه العبارة موجودة في النسخة [أ] وغير موجودة في النسخة [ب]

وروى جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغر فأغفر له}، والجواب أن النزول والهبوط من صفات الأجسام، وقد دل الدليل على أنه تعالى ليس بجسم، ولو جاز عليه النزول لجاز عليه الحركة والسكون، ولا كان لا يخلو منهما، وذلك يوجب حدثه تعالى الله عن ذلك عز وجل، فإن ثبت الخبر فمعناه تهبط بعض ملائكته ويُنزل كل ليلة ملك من ملائكته فيُنادي بذلك، يقال هَبَطَهُ فَهَبَطَ لازم وواقع.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال:: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حفص الجاري بنيسابور، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد المؤدب البياري، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الحجري، أخبرنا أبو بكر محمد بن دريد الأزدي، حدثنا العكلي، عن الحرمان، عن شيخ من بني تميم من أهل الكوفة، قال: لما أُدخِل رأس الحسين بن علي عليهما السلام وحرمه على يزيد بن معاوية - لعن الله أبا سفيان وأولاده معاوية ويزيد - وكان رأس الحسين بن علي عليه السلام بين يديه في طست، فجعل ينكث بين ثناياه بمخصرة في يده ويقول:

ليـــــــــــــــــت أشيـــــــــــاخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلــــــــــــــوا واستهلـــــــــوا فرحـــــــــــــــــا ثم قالــــــــوا يـــــــا يزيـــــــــــــد لا تسل
لست من خندف إن لم أنتقم من بـــــــــني أحمد ما كــــان فعل

فقامت زينب بنت علي وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين، صدق الله كذلك يقول: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} [الروم : 10]، أظنَنْتَ يا يزيد حيث أخَذتَ علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبَحنا نُساق كما تُساق الأُسارى، أنّ بنا على الله هَواناً وبك عليه كرامة ؟! وأنّ ذلك لِعِظَم خَطَرِك عنده! فشَمَختَ بأنفِك، ونظرتَ في عِطفِك، جَذلانَ مسروراً، حين رأيت الدنيا مُستَوسِقة، والأمورَ مُتَّسِقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا. فمهلاً مهلاً! أنَسِيتَ قول الله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [آل عمران : 178] ؟! أمِن العدلِ، يا ابنَ الطُّلَقاء، تخديرُك حَرائرَكَ وإماءَك وسَوقُك بناتِ رسول الله سبايا قد هُتِكت سُتورُهنّ، وأُبدِيت وجوهُهنّ ؟! تَحْدُو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنّ أهلُ المناهل ، ويتصفّح وجوهَهنّ القريب والبعيد والدنيّ والشريف! ليس معهنّ مِن رجالهنّ وَليّ، ولا مِن حُماتِهنّ حَمِيّ، وكيف يُرتجى مراقبةُ مَن لفَظَ فُوهُ أكبادَ الأزكياء، ونَبَت لحمه بدماء الشهداء ؟! وكيف يستبطئ في بُغضنا أهلَ البيت مَن نظرَ إلينا بالشَّنَف والشَّنآن، والإحَن والأضغان ؟! ثمّ تقول غيرَ متأثّم.. ولا مُستعظِم: وأهَلّوا واستَهلّـوا فرَحَـاً ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَـلّ!

مُنتَحياً على ثنايا أبي عبدالله سيّد شباب أهل الجنّة تنكتها بمِخْصَرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأتَ القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماءَ ذريّة محمّد صلّى الله عليه وآله، ونجوم الأرض مِن آل عبدالمطلب! وتهتف بأشياخك زعمتَ أنّك تناديهم، فَلَتَرِدَنّ وَشيكاً مَورِدَهم، ولَتَوَدّنّ أنّك شُلِلتَ وبُكِمتَ ولم يكن قلتَ ما قلتَ. اَللّهمّ

خُذْ بحقِّنا، وانتَقِمْ ممّن ظَلَمَنا، وأحلِلْ غضبَك بمن سفك دماءنا وقتَلَ حُماتَنا. [ثمّ توجّهت بالتوبيخ إلى يزيد قائلةً له] : فوَ اللهِ ما فَرَيتَ إلاّ جِلْدَك، ولا جَزَزْتَ إلاّ لحمك، ولَتَرِدنّ على رسول الله بما تحمّلت مِن سَفكِ دماءِ ذريّتهِ، وانتهكتَ مِن حُرمته في عِترته ولُحمته!
وليخاصمك حيث يجمع الله شملهم، ويَلُمّ شعَثَهم، ويأخذ بحقّهم، {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران : 169]. حَسْبُك بالله حاكماً، وبمحمّدٍ خَصماً، وبجبرئيل صلوات الله عليه ظَهيراً، وسيعلم مَن بوأ لك ومكّنك من رقاب المسلمين [أي أبوك معاوية] بئس للظالمين بدلاً! وأيُّكم شرٌّ مكاناً وأضعَفُ جُنْداً! ولئن جَرَّت علَيّ الدواهي مُخاطبتَك، إنّي لأستصغرُ قَدْرَك، لكنّ العيون عَبْرى، والصدور حَرّى، ألا فالعَجَب كلّ العجب لقتلِ حزبِ الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء!، فتلك الأيدي تَنطِف من دمائنا، والأفواه تَتَحلّب مِن لحومنا، وتلك الجُثث الطَّواهر الزواكي تنتابها العَواسِل[64]، وتهفوها الذباب. ولئن اتّخَذْتَنا مَغْنَماً، لَتجِدَنّا وشيكاً مَغْرَماً، حين لا تجدُ إلاّ ما قدَّمْتَ وما ربُّكَ بظَلاّمٍ للعبيد ، فإلى الله المشتكى وعليه المعوَّل. فكِدْ كيدَك، واسْعَ سعيَك، وناصِبْ جهدك، فوَاللهِ لا تمحو ذِكْرَنا، ولا تُميت وحيَنا، ولا تُدرِكُ أمَرَنا، ولا تَرحضُ عنك عارها، وهل رأيُك إلاّ فَنَد، وأيّامك إلاّ عَدَد، وجمعك إلاّ بَدَد!! يوم ينادي المنادي: ألاَ لَعنةُ اللهِ علَى الظالمين ! فالحمد لله الذي ختم لأوليائه بالسعادة والمغفرة، وأسأل الله أن يُكملَ لهم الثواب، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيمٌ ودود، وحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل. فقال يزيد لعنه الله:

---

[64] أي الذئاب.

يا صيحةً تلعن مِن صَوائحِ ما أهونَ الموتَ علَى النوائحِ!

وأمر بردهم إلى المدينة، قال الحاكم رحمه الله:
البيت الأول من الأبيات التي أنشدها يزيد بن معاوية لعنه الله لعبد الله بن الزبعري قاله يوم أحد لما استشهد جماعة من المسلمين، من قصيدة طويلة منها:

يا غرابَ البيـــــــــــــــنِ أسمعتَ فقلْ
إنمـــــــــــــــــا تنـــــــــــــــــطقُ شيئاً قد فعلْ
كلّ عيــــــــــــــــــشٍ ونعيـــــــــــــــــــــمٍ
زائـــــــــــــــــلٌ وبَنَـــــــــــــــــــاتُ
الدّهْرِ يلعبْـــــــــــــــــنَ بكُلّ
بلغــــــــــــــا حســـــــــــــــانَ عنـــــــي
آيـــــــــــــــــــــــــــــةً فقريضُ الشعرِ
يشفي ذا الغللْ
كم ترَى بالجَرِّ مـــــــــــن جُمجمـــــــــــــــةٍ
وأكُـــــــــــــــــفٍّ قدْ أُتِرَت
وَرِجِـــــــــــــــــــــــــلْ
كمْ قتَلنــــــــــــــا من
كريــــــــــــــــــــمٍ سيّدٍ
مـــــــــــــــــــاجدِ الجدّيـــــــــن مقدامٍ بطلْ
ليْــــــــــــتَ أشْيـــــــــــــاخـــــــي ببَدْرٍ شَهِدُوا
جزعَ الخزرجِ مـــــــــــــنْ وقعِ الأســــــــــــــلْ
فقتلنا الضعف من أشرافهم
وعدلنـــــــــــــــا ميـــــــــــــــل بــــــــدر
فاعتدل

فأجابه حسّان بن ثابت:

ذَهَبَتْ بـــــــــابْنِ الزِّبَعْرَى وَقعـــــةٌ كانَ منا الفضلُ فيها لوْ عدلْ
ولـــــــــقدْ نلتـــــــــــــمْ ونلنـــــــــــا منـــكمُ وكَذَاكَ الحَرْبُ أحْيانـــــــــــــاً دُوَلْ
نَضَعُ الأسيـــــــــــــاف في أكْتافِكُمْ حيـــــــــــثُ نهـــــــوى عللاً بعدَ نهـــــــلْ
لا سواء من مشى حتى انتهى بخطـــــــــــــــــاه جنّـــــــــة الخلد فحل
و كــــــــلاب حكت النـــــــــــار لهـــــــــــا في لظاهـــــــــــا صوت ويــــــل و هبل

ومنها:

إذْ تولونَ على أعقابكمْ هَرَباً في الشِّعبِ، أشْباهَ الهمل
إذ شَدَدْنا شَدّةً صادقَةً فأجأنـــــــــاكمْ إلى سفحِ الجبـــــــــلْ
بِرِجَالٍ لَسْتُمُ أمْثَـــــــــالَهُمْ أيدوا جبريـــــــــــــــــلَ نصراً، فنــــــزلْ
وَعَلَوْنَــــــا يَوْمَ بَدْرٍ بالتُّقَى طـــــــاعَـــــــــــةَ اللَّهِ، وتصْديقَ الرُّسُلْ

قال رضي الله عنه: وكانت هند إمرأة أبي سفيام أم معاوية حضرت الوقعة تحث الناس على الحرب وإستأجرت وحشيا لقتل حمزة، وكانت تضرب بالدف وتقول:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفـــــارق فراق غيـــــر وامـــــــــــــق والدر في المخانق

والمسك في المفارق

ولما رجعت من أحد قالت شعرا:

رجعت وفي نفســـــــي بلابـــــــــل جمــــــــــــــــة وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم بني هـــــــــــاشم منهم ومن أهل يـــــــثرب
ولكننـــــــــي قد نلت شيئـــــــــــــــاً ولم يكن كما كنت أرجو في مسيــــري ومركبي

قال الحاكم الإمام رحمه الله: ومن حسن الشعر في الحكمة قول الممزق العبدي:

وَما المـــــــــــالُ وَالأَهلونَ إِلّا وَديـــــــــعَةٌ وَلا بُدَّ يَومـــــــــــاً أَن تُرَدَّ الوَدائِـــــــــــــــعُ
وَما المَرءُ إِلّا كَالشِهـــــــــــــــابِ وَضَوئِهِ يَحورُ رَماداً بَعدَ إِذ هُوَ ســـــــــــــــاطِعُ[65]

قـــــال رحمـــــــــه الله: فيـــــــــــه رائحة من قـــــوله تعـــــــــــالى: {فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ} [يونس : 24]، قال رضي الله عنه: وللموسوي الرضي رضي الله عنه:

وكيـــــفَ آنسُ بالدُّنيـــــا ولستُ أرى إلاّ امرءاً قد تعرَّى مِن عَواريها
نصبـــــــــــوا إليـهـــــــــا بآمـــــــــالٍ مخيّبةٍ كأنّنـــــــا مـــــا نرى عقبى أمانيهـــــــا

[65] أغلب كتب الأدب ومواقع المختصة بالشعر - كموقع الديموان - نسبوا هذه الأبيات للصحابي لبيد بن ربيعة، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، والله أعلم.

فى وحشةِ الدّار ممّنْ كــــان يسكنها كلُّ اعتبـــــــــــــارٍ لمن قد ظلّ يأويهــا
لا تكذِبنَّ فمـــــــــــا قلبـــــــــي لهـــــــــــا وطنٌ وقد رأيتُ طلـــــــــولاً من مغانيهـــــا

ولأبي العتاهية:

أؤَمِلُ أنْ أخَلَدَ والمنَايَـــــــــــــــــــــا يَثِبْنَ عَليّ مِن كلّ النّواحـــــي
ومَأ أدْرِي إذَا أمسيتُ حَيّاً لَعَلّي لا أعِيشُ إلى الصّبَاحِ

ولأبي نواس:

ألا يا بن الذيـــــــــن فنوا وبادوا أما والله مـــــــا ذهبوا لتبقـــــــــى
وما أحد بزادك منك أحظى ولا أحد بذنبك منك أشقى

وللمتنبي:

ســــــــــالِمُ أَهلِ الوِدادِ بَعدَهُمُ يَسلَمُ لِلحُزنِ لا لِتَخليــــــــــدِ
فَما تُرَجّي النُفوسُ مِن زَمَنٍ أَحمَدُ حالَيهِ غَيرُ مَحمودِ

ولمحمد بن كثير:

كَأَنَّهُ قد قيلَ في مجلسٍ قد كُنْتُ آتِيهِ وأغْشَاهُ محمدُ صـــــــــــــــــــارَ إلى رَبِّهِ يَرْحَمُنَـــــــــــــــــا اللهُ وإيَّاهُ

قال رضي الله عنه: وأنشدنا أبو الحسن الكرخي رحمه الله، ولا أدري له أم لغيره:

صَبَرت علـــــــــــى اللـــــــــذَّاتِ لمّـــــــــــــــــا تَوَلَّتِ وكلفت نَفسِي صَبرَهَا فاستمرَّتِ
وما النفسُ إلا حيثُ يجعلها الفتى فإن أُطمعت تاقت وإلا تَولتِ[66]

وتمثّل عبد الملك بن مروان:

وكل جديد يا أميـــــــم إلى البـــــــــلى وكل امرى يوما يصير إلى كان
فكأنما قد كان لم يك إذ مضى وكأنمـــــــــــا هو كـــــــائن قد كـــــــان

وقال رضي الله عنه: وأنشدني الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، قال: أنشدني السيد أبو الحسن محمد بن علي الحسني الهمذاني رحمه الله:

يا رب أنت على الأمور قديـــــــــر وبأنني جم الذنوب خبيــــــــــــــــر
يسّر لعبدك من نوالك توبة فعليك تيسير العسير يسير

[المجلس الرابع والعشرون من إملائه رحمه الله، يوم الجمعة، الحادي عشر من شهر ربيع الأول ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

---

[66] هذه الأبيات لعمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي. فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة 9هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصيّ النفس، أبيّها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة.

أخبرنا الحاكم الإمام شيخ الإسلام أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي أجزل الله ثوابه ورضي عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان إملاً، قال: أخبرنا الحسين بن سفيان، حدثنا عمرو زرارة، حدثنا أبو جناد، حدثنا الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى: ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب}، قال رحمه الله: الخبر يفيد أن الوعيد لاحق بأهل القبلة، ويفيد عِظَم المراءاة في الدين وأنها من الكبائر، ويفيد أن وجوب الإخلاص لله تعالى في السر والعلانية، ولا شبهة أن القوم يعلمون أنهم من أهل العقاب وأنهم لا يدخلون الجنة فإنما يفعل بهم ذلك زيادة في العقوبة، ويقولون ما يقولون تحسراً وتلهفاً.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال: حدثنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين الصوفي، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا أبو حفص الأبار، عن الأعمش، عن زبيد وطلحة، عن زر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبري، عن أبيه، عن أُبَي بن كعب {أن النبي

صلى الله عليه وآله كان يوتر بسبح إسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد}، قال رحمه الله: الخبر يفيد أن الوتر ثلاث ركعات، وأن المسنون أن يوتر بهذه السور الثلاث.

أخبرنا الحاكم الإمام شيخ القضاة والحرمين محمد بن المحسن بن كرامة أدام الله جماله، قال أخبرني أبي الحاكم الإمام أبو سعد تغمده الله برحمته، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ببغداد، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {العيْنانِ تزنيانِ واليدانِ تزنيانِ والرجلانِ تزنيانِ حتى يحققه الفرجُ أو يكذبه}، قال رحمه الله: الخبر يفيد إضافة الزنا إلى هذه الأعضاء، فزنا العين النظر، وزنا اليد البطش، وزنا الرجل المشي، وإنما سمّاه زنا توسعاً، لأنه سبب يتوصل به إلى الزنا، والخبر يفيد خطر جميع ذلك كخطر الزنا.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد، أخبرنا أبو بكر محمد بن الليث الجوهري ببغداد، حدثنا جبارة بن المغلس، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشوني، عن صالح بن كيسان، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: كان رسول الله صل الله عليه وآله إذا قدم الحج من يقول: {لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، و لربنا، حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده}، قال رحمه الله: الخبر يفيد فضل كلمة التوحيد والتحميد، ويفيد

وجوب الإنقطاع إلى الله تعالى، وقوله "آيبون" أي نحن آيبون أي راجعون، والأحزاب الجماعات، وأحدها حزب.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رضي الله عنه، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن أحمد الحربي، حدثنا الحسين بن يحيى البغدادي، حدثنا الحسين بن بحر ، قال: حدثنا أبو عبادة الصعق بن حزن، عن علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من سُئل عن علم فكتمه فإنما يُجاء به يوم القيامة ملجم بلجام من نار}، قال رحمه الله: الخبر يفيد وجوب إظهار العلم وتحريم الكتمان وأنه من الكبائر، ويدخل فيه أصول الدين وفروعه، والفتاوى والشهادات وجميع ما يتعلق بالدين، وإنما يجب هذا عند الإختيار ، فأما عند الخوف والتقية فقد لا يجب، ويحسن إذا كان فيه إعزاز الدين، وهذا تأويل الخبر، فإن قيل قد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه}، وروي أن الميت ليعذب في قبره بالنياحة عليه، وروى المغيرة عن شعبة عن النبي صلى الله عليه وآله: {من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه}، وذكر شيخنا أبو علي رحمه الله في مسند أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده عن إبن عمر أن حفصة بكت على عمر فقال: مهلا يا بنية، ألم تعلمي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه} فما تأويل ذلك؟ الجواب: أنا إذا علمنا بأدلة العقول قبح المؤاخذة بذنب غيره وورد السمع مؤكداً لذلك فقال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الأنعام : 164] وعلمنا أن الخبر من الآحاد قطعنا على أنه إما مردود أو متأول، فإن أمكن فيه تأويل من غير تعسف أولناه وصرفناه ما يوافق العقل والكتاب وإلا رددناه، وهذا الخبر يحتمل وجوها، أولها: ما ذكره شيخنا أبو علي

رحمه الله، قال: إن عائشة أنكرت الخبر وقالت لمن رواه عن عمر وإبن عمر ما رويتم عن كذابين، ولكن السمع يخطئ ويصيب، وتلت قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الأنعام : 164]، قال أبو علي: ولعله لحقه زيادة أو نقصان فتغير معناه، ونظن أن ذلك أتى من غير عمر لأنه أعلم بعدل الله من أن يذهب عليه أن معنى الخبر لا يجوز على الله تعالى، وثانيها: ما روي عن عائشة أنها قالت: وَهِلَ [أي غلط] أبو عبد الرحمن، إنما قال صلى الله عليه وعلى آله أن الميت ليبكون عليه وإنه ليُعذب بجُرمه، قولها وَهِلَ أي ذهب وهمه إلى غير الصواب، وثالثها: ما روي عن إبن عباس أنه قال: وهم إبن عمر، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله على قبر يهودي فقال: إنكم تبكون عليه وإنه ليعذب في قبره، ورابعها: ذكره شيخنا أبو علي رحمه الله: ما يعرف الخبر إلا وجها واحداً، وهو أن العرب كانوا يبكون على موتاهم بأن يعدّوا أفعالهم التي فعلوها في الدنيا من الغارات والقتال، وكانت تلك معاصي، فكأنه صلى الله عليه وآله قال: إنهم يبكون عليه بهذه الأفعال وهو يعذب بها، قال: وخبر ابن عمر الذي قال لحفصة لا يحتمل هذا، فلعل الخبر لحقه زيادة أو نقصان إذ لم ينقل على وجه، وخامسها: أنه أراد إذا أمر و أوص بأن يناح عليه فيفعل بأمره فإنه يعذب بذلك أي بالأمر بها والرضا بفعلها، ولعل ابن عمر أشار إلى هذا الوجه وبيّن كراهته لذلك، والعرب كانت توصي بالنوح، وورد بذلك أشعارهم: قال طرفة:

فَإِنْ مُـتُّ فَانْعِيْنِـي بِمَا أَنَا أَهْلُـهُ   وشُقِّـي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَـدِ

وقال بشر بن أبي خازم لإبنته عميرة:

فَمَن يَكُ سائِلاً عَن بَيتِ بِشرٍ فَـــــــإِنَّ لَهُ بِجَنبِ الرَدهِ بابـــــــــــــــــــــــــا
ثـــــــَوى في مُلـــــــــــــحَدٍ لا بـــــُدَّ مِنـــــــــــهُ كَفى بِالمـــــــَوتِ نَأيـــــــــــاً وَاِغتِرابـــــــــا
رَهيـــــــــنَ بِلىً وَكُلُّ فَتىً سَيَبلـــــــــــى فَأَذري الدَمعَ وَاِنتَحِبي اِنتِحابا

ولأبي فراس الحمداني يخاطب إبنته في مرض موته:

أَبُنَيَّتي لاتَحزَني كُلُّ الأَنـــــــــــــامِ إِلى ذَهـــــــــــــــــابِ نوحي عَلَيَّ بِحَسرَةٍ مِن خَلفِ سِترِكِ وَالحِجابِ
قولي إِذا نادَيتِني وَعَيَيتِ عَن رَدِّ الجَوابِ زَينُ الشَبـــــــــــابِ أَبو فِراسٍ لَم يُمَتَّع بِالشَبـــــــــــابِ

وأمثال ذلك كثيرة، وسادسها: أراد أنه تعالى إذا أعلمه ببكاء أهله وأعزّته وما لحقهم من الغم سببه تألم بذلك ويشق عليه فكان عذابا له، وليس العذاب هو العقوبة، وقد تذكر ويراد غيرها، كقوله تعالى: {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص : 41]، ذكر هذا الوجه الشريف المرتضى رضي الله عنه، إلا أن فيه نظر، لأن الميت إن كان مؤمنا لا يجوز أن تلحقه مشقة بوجه، وإن كان من أهل النار فما هو فيه أعظم من أن يلحقه غم بالبكاء عليه وذكر قومه وعشيرته، وسابعها: أن المراد بالميت المحتضر ، يريد من حضره أسباب الموت كقوله: {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ } [البقرة : 133] والمعنى أنهم يبكون عليه لقرب رحيله وخروجه من سعة قصره إلى ضيق قبره، وشق عليه ذلك لمفارقة وطنه وأعزّته وقدومه على ملك لا يدري ما يفعل به، فإذا بكوا

عليه بذلك زادت غمومه وترادفت همومه وكثرت مشقته، وهذا أقرب الوجوه في الخبر، ولعل عمر أراد هذا الوجه وأن بكائهم يشق عليه، لأن الخبر لا بد فيه من ضرب من التأويل، لأن الميت يعذب ولا شبهة أن الموت ينافي التعذيب، فكما أضمرنا الموت لا بد لهم أن يضمروا الحياة بعد الموت، فأما البكاؤ على الميت فعلى ضربين، منها ما هو مباح ومنها ما هو محظور، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى على إبنه إبراهيم فقيل أليس قد نهيتنا عن البكاء، فقال: إنما نهيتكم عن عن صوتين أحمقين فاجرين فإنه لهو ولعب ومزامير شيطان ، وعن خمش الوجوه وشق الجيوب، وَرَنَّةِ الشيطان، ولكن هذه رحمة قد جعلها الله تعالى في قلوب الرحماء، قال رحمه الله: وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام زار قبر فاطمة عليها السلام فبكى وأنشأ يقول:

لكل اجتمـــــــــاع من خليليــن فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي واحدا بعد واحدا دليل على أن لايدوم خليــــــــــل

ولما مات الحسن بن الحسن اعتكفت إمرأته فاطمة بنت الحسين على رأس قبره سنة، ثم أمرت بفسطاطها، فرفعت وأنشأت تقول:

إلى الحول ثمّ اسم السّلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال رضي الله عنه: وذكر إبن دريد بإسناده عن عمر بن الخطاب أنه مر بأعرابي في بعض طرق المدينة فقال: من أين، فقال: من عند وديعة لي في هذا الجبل،

فقال: وما وديعتك؟ قال: بني لي دفنته منذ سنين، كل يوم أزوره وأندبه. فقال عمر: أسمعني بعض ذلك، فقال:

يا غائبـــــــــــــــا لا يؤوب من سفره
عـــــــــاجله موته على صغـــــــــره
يا قرة العيـــــــــــــن كنت لي أُنســــــا
في طول ليلي نعم وفي قصره
مــــــــــــا وقعت العين أين وقعت في
الحـــــي منــــــــــــــي إلا على أثره
شربت كأســـــــا أبـــــــوك شاربها
لا بـــــد مـــن شربهــــــا على كبره
يشربهـــــــــــــا والأنـــــــــــام
كلهـــــــــــــــم من كـــــان في بدوه وفي حضره
قد قسم العمر في العباد فما يقدر خلق
يزيـــــــــــــد في عمره
فالحمد لله لا شريـــــــــك لــــــــــــه
الموت فــــــي حكمه وفـي قدره

فبكى عمر رضي الله عنه، قال رحمه الله: وعن الأصمعي: رأيت إمرأة قائمة بالبادية تبكي وتقول: هذا والله الحق لا ما نعلل به أنفسنا يا أبتِ، فسّح الله لك في ضريحك وألحقك بنبيّه صلى الله عليه وآله، ثم أنشأت تقول:

يا ليت شعري كيف غيرك البلى أم كيف صار جمال وجهك في الثرى
لله درك أي كهـــــــــــــــــل
غيبـــــــــــــــــوا تحت الجنـــــــادل،
لا تحس ولا تـــــــــــرى

لمـــــــــــا نقلت الجنــــــــــــــــادل والثـــرى دنت الهموم فغاب عن عيني الكرى

قال رضي الله عنه: ولبعضهم:

أخ طـــــــالمــــــــــا سرني ذكره فقد صـــرت أشجى لذكره
وقد كنت أغدو لقصره فقد صرت أغدو إلى قبره

قال: ولعلي بن الجهم:

انظـــــــــــــروا هـــــــــل ترون إلّا دموعـــــــــــــــا شاهدات على قلوب دوامي
من يداوي الدّنيا و من يكلأ الملك ومن للمشكلات العظـــــــــــــام
نحن متنــــــــا بمـــــــوته وأجل الخطب موت الســـــــــــــادات والأعلام

وذكر السيد الإمام أبو طالب رضي الله عنه قال: كتب بعضهم إلى زيد بن علي عليه السلام يعزيه عن إبن له، فأجابه: أما بعد، فإنا أموات أبناء أموات، فيا عجبا من ميت يعزي ميتا عن ميت السلام، ولبعضهم:

إِنّي أُعَزّيكَ لا أَنّي عَـــــلى ثقة مِنَ البقـــــاء وَلَكِن سُنَّةُ الديــــــــــنِ
فَما المُعَزّى بِباقٍ بَعدَ صاحِبِهِ وَلا المُعَزّي وَإِن عاشا إِلى حينِ

قال رضي الله عنه: ومات إبن للرضا عليه السلام، فقال أبو العيناء: يا بن رسول الله، أنت تجل عن عظتنا، وقدرك تقصر عنه صفتنا، وفي علمك بكتاب الله ما

كفاك، وفي رسول الله ما عزاك، وفي ثواب الله ما أسلاك.
ثم أنشأ يقول:

لا زلـــــــــــت تبقـــــــى
ونعزيـــــــــــك نحن وأهل الأرض نفديك
يا خير خلق الله عش سالما يكـــــــــــلأوك
الله ويبقيـــــــــــــــك

[المجلس الخامس والعشرون من إملائه رحمه الله على الولاء، يوم الجمعة، الثامن عشر من شهر ربيع الأول ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد بن حمدان الحيري، حدثنا أبو محمد أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الطويل، قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة، قال الحاكم الإمام: ورواه أبو علي بإسناده عن أبي قتادة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إن آخر ما تعلق به أهل الجاهلية من كلام النبوة إذا لم تستحي فاصنع ما شئت}، قال الحاكم الإمام رحمه الله: قد قيل في معنى الخبر وجوه، أحدها: إذا عملت لله فلا تفكر في المخلوقين ولا تستحي منهم ومما يقولون فيك وينسبونك إلى الرياء والسمعة وغيرها، فاصنع ماشئت، لأنك إذا تجنبت الفكر في قيل الخلق وعملت لله إستوفيت شرائط العمل، وإذا تفكرت فيهم لم تستوف شروط عملك ولا أخلصت العمل لله تعالى، فعلى هذا قوله "فاصنع" أمر، وثانيها: إذا لم تستحي من الفضائح

والمخازي ولا تبالي بما يقال فيك ولا يلحقك من العقاب واللوم فاعمل ما تشاء، فالمراد بقوله "فاصنع" تهديد وتغليظ، فاعملوا ما شئتم، وهذا قول أبي علي محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وثالثها: إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت، لأن كل قبيح يُستحيا منه، وإنما لا يُستحى من الحسن، نحو الطاعات والمباحات، فكأنه قيل: إذا لم تفعل ما يستحى منه فافعل بعد ذلك ما شئت فإنه يَحْسُن، وعلى هذا قوله "فاصنع" إباحة، ورابعها: إذا لم يكن المرء ممن يستحي عمل ما شاء، لأن العاقل يستحي من القبائح، وإنما لا يستحي من لا عقل له، فكأنه قيل: من لا يستحي جرى في أفعاله مجرى البهائم والمجانين في إرتكاب القبائح.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، أخبرنا محمد بن محمد الحربي، حدثنا عبد الرحيم بن جعفر المندائي، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا حبّان بن هلال، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا حميد، عن الحسن، عن عمران بن حصين، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {الحياء خير كله}، قال رحمه الله: معنى الخبر أن الحياء يمنع عن إرتكاب المعاصي، فكله خير، والحياء يرجع إلى الإعتقاد، فإذا إعتقد في شيء مضرة أو أنه قبيح إمتنع منه، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: {الحياء شعبة من الإيمان}، وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: {إستحيوا من الله حق الحياء}، فقالوا: يا رسول الله، إنا نستحي ، قال: {ليس ذلك، ولكن من استحى من الله حق الحياء فاليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء}، فإن قيل: فما معنى ما روى زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه

وآله أنه قال: {من لم يستحي فهو كافر}، قلنا: يحتمل أنه يرتكب جميع المحظورات فيدخل فيما يفعله خصلة من خصال الكفر، ويحتمل أنه كافر أي متعود بعادتهم ومتخلق بأخلاقهم، ويحتمل أنه أراد كافر نعمة، والمراد أنه فاسق، قال رحمه الله: وأنشد بعضهم:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالــــــــــي ولمْ تستَحْي فافعَلْ ما تَشاءُ
فلا وأبيك ما في العيشِ خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذَهبَ الحَيــــــاءُ

ولآخر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلَّا عصاه الحَيَاءُ والكَرَمُ
فــــــــلا إلى محـــــــــــرمٍ مددتُ يدي ولا مَشَتْ بي لريـــــبــــةٍ قدمُ

ولغيره:

ولرُبَّ قبيحة ماحال بينــي وبيـــن ركـــــوبهـــــــا إلا الحياءُ
فكان هو الدواء لها ولكن اذا ذهب الحياء فلا دواءُ

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن سهل، حدثنا محمد بن عبد الله الأصفهاني، حدثنا محمد بن خلف المروزي، حدثنا علقة بن مغيرة الأزدي، حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن عاصم، عن أبي النجود، زر بن حبيش، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن

الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع وألف مجتهد وألف متعبد، وإن طائر الهواء ونينان البحر يصلون على معلم الخير ومتعلمه}[67]، قال رحمه الله: الخبر يفيد فضل العالم والمتعلم، وأن العمل لا يتم إلا بالعلم، وقوله "طائر الهواء يصلون.." توسع، أي لو صلّوا على شيء لصلّوا عليهم، ويحتمل أنه تعالى أنطقهما بالصلاة عليهم، إذ لا مانع يغني العقل بتصور إنطاقه، ويحتمل أنه أراد الملائكة الموكلة بطيور الهواء وحيتان البحر ، وهو قول شيخنا أبي علي رحمه الله، وهذا تأويل الخبر، فإن قيل: روي عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {لا تفتح الدنيا علي قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، [قال عمر] : وأنا أشفق من ذلك} فما تأويل الخبر؟ قلنا: فيه وجوه، أحدها: إذا فتحت لهم الدنيا عملوا بالمعاصي فأمر الله بعداوتهم، فقد ألقى بينهم العداوة بأمره، إياهم بعداوتهم، وأهل الدنيا يدومون على دنياهم والإنهماك في المعاصي، والمؤمنون يدومون على عداوتهم فيبقى حالهم كذلك إلى يوم القيامة، فهذا الذي أشفق منه عمر رضي الله عنه قد رآه الناس بعده، فخرج معاوية لعنه الله باغيا ظالما على إمام الحق علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وخرج إبنه يزيد لعنه الله على الحسين بن علي رضوان الله عليه، فوجب على الناس عداوتهم والقيام بمقاتلتهم، وكذلك أئمة الضلالة بعدهم، فالمضاف إليه تعالى ما أمر به من عداوة الفسقة والظللمة، وعداوتهم للمؤمنين غير مضافة إليه تعالى لأنه نهى عنها وزجر وأوعد عليها، ذكر هذا الوجه شيخنا أبو علي محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وثانيها: أنه ألقى بينهم العداوة بما فعل من اللطف بالمؤمنين ليُعادوا الظلمة فإذا عادَوهم عند لطفه وهم عادوا

---

[67] ذكر هذا الخبر في المجلس الثالث بإسناد مختلف.

المؤمنين مكافأة ومقابلة كأنه ألقى بينهم ذلك، وثالثها أن فتح الذنيا إذا كان من جهة الله تعالى وبسبب المشاحنة عليها يتعادون ويتباغضون، أضاف ذلك إليه توسعا، كقوله: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ } [إبراهيم : 36]، ورابعها: إذا فتح عليهم أبواب الدنيا وإنهمكوا في المعاصي خذلهم وخلاّهم وإختيارهم تباغضوا وتعادَوا، فكأنه بخذلانه إياهم ألقى بينهم تلك العداوة، وهذا تأويل خبر آخر، فإن قيل: ما معنى تأويل ما رواه معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {إستعيذوا بالله من طمع يؤدي إلى طبع، ومن طمع إلى غير مطمع، ومن طمع حيث لا طمع} الجواب: إنه عليه السلام أمرنا بالإستعاذة من طمع يؤدي إلى طبع وإنما أراد أن يسأل العبد ربه بأن يلطف له ويوفقه كي لا يطمع هذا الطمع، لأن الطمع فعل العبد والطبع أصله في اللغة الوسخ والدنس، يغشيان السيف، يقال: طبع يطبع طبعاً، ثم يستعمل فيما يشبه بالوسخ والدنس من الأوزار والآثام، والخبر يحتمل وجهين، أحدهما طمع يؤدي إلى المعاصي، والثاني طمع يؤدي إلى لائمة تلحقه، يعني إستعيذوا بالله كي لا تفعلوا ما هو معصية أو ما تتبعه لائمة، قال الشاعر:

لا خَيْرَ في طَمَعٍ يَهدِي إلى طَبَعٍ وغُضَّة من قَوامِ العيشِ تكفيني

أما الطمع في غير مطمع، هو أن يطمع في شيء يتعذر عليه طلبه ولا يتحصل مراده، فيؤدي إلى التعب والعناء من غير الحصول على المراد، فينبغي للمؤمن أن يتعوذ منه، وأما الطمع حيث لا طمع فهو أن يطمع في وقت أو في مكان أو إنسان أو شيء ليس ذلك بوقت له ولا هو أهل له فيذهب عناؤه باطلا، ويحتمل إذا طمع في الجنة مع إرتكاب المعاصي فذلك طمع حيث لا طمع،

وهذا تأويل خبر خبر، فإن قيل: ما معنى ما روى أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمّار ومسح التراب على رأسه: {بؤسا لك يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية}، الجواب: أنه يفيد إكرام النبي صلى الله عليه وآله عمّارا حين نفض التراب عنه، وقوله "بئسا لك" قال رحمه الله: واشفقا مما يناله من البؤس والقتل، و"الفئة الباغية" معاوية وأصحابه، قتلوا عمّارا وبغوا على إمام المسلمين وقاتلوه ظلما، ولمّا ذكر هذا الخبر لمعاوية عبد الله بن عمرو عند قتل عمّار لم يجد ما يدفع ذلك عن نفسه فقال: أنحن قتلناه! إنما قتله من جاء به، يعني علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال[68] : فحمزة قتله رسول الله صلى الله عليه وآله، فبهت وقال لعمرو أقم إبنك هذا الموسوس، والعجب من هؤلاء الجهال حيث حاربوا عليّا مع علمه بمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومحله من الإسلام، ونصروا معاوية مع علمهم بأنه من الطلقاء، ثم يُرْوَى لهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا الحديث فيقيمون مع ذلك على نصرته ويؤثرون بني أمية على آل رسول الله صلى الله عليه وآله، والحديث يفيد معجزة للنبي صلى الله عليه وآله حيث أخبر عن شيء فكان كما أخبر، قال رحمه الله: وروى أبو يحيى البزار بإسناده عن الحسن أن قوما أتوا عمر وقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً شابّا إذا صلى لا يقوم من المحراب حتى يغنينا بقصيدة، فقال عمر فامضوا بنا إليه، فأتوا وقرعوا عليه الباب فخرج الشاب، فقال عمر: بلغني أنك تغني، فقال: إنما هي موعظة أعظ بها نفسي فقال عمر: قل ، فإن كان كلاماً حسناً قلت معك وإن كان قبيحاً نهيتك عنه . فأنشأ يقول :

---

[68] يعني علي بن أبي طالب عليه السلام لما بلغه قول معاوية.

وفؤاد كلمـــــــــــــــــــا
عــاتبته
عـــــــــــــاد في اللذات يبغـــــــــــــي تعبــــــي
لا أراه الدهـــــــــــــر إلا
لاهيـــــــــــــــــــــــــــاً في
تمـــــــــــــــــاديــــــــه فقد برح
بـــــــــــــــــــــــــي
يـــــــا قريـــــــن السوء مـــــــــــــــــــا
هذا الصبا فني العمر كذا في اللعب
وشبـــــــــاب بـــــــــان عني فمضــــــى
قبل أن أقضــــــــــــــــي منه
أربــــــــــــــــــــي
مـــــــــا أرجــــــــي بعده إلا الفنـــــــــــا
ضيــــــــــــــق الشيــــــــــــب على مطلبــــــــي
ويح نفســـــــــي لا أراهـــــــــــــــــا أبداً
فـــــــــــــــــي جميـــــــــــــل لا ولا
فـــــــــــــي أدب
نفس لا كنت ولا كان الهوى
راقبـــــــــــــــــي المولى وخافـــــــي وارهبــــي

فبكى عمر وقال: هكذا فاليغني كل من غنّى،
وقال: وأنا أقول:

نفس لا كنت ولا كان الهوى راقبـــــــــــــي
الله وخـــــــــــافي وأرهبـــــــــــــــــــي

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: وممن إشتهر بالقول بالعدل من الزهاد محمد بن واسع، ذكره القيبي وعدّه منهم، ومالك بن دينار، وكانا بالبصرة، سئل محمد عن القدر فقال: الله تعالى يسأل عباده عمّا أمرهم به ولا يسألهم عما قدّر عليهم، ويسألهم عمّا عهد إليهم ولا

يسألهم عمّا قضى عليهم، وكان مالك بن دنار راوية لمعبد الجهني، وكان يقول: لا تنحلوا ربّكم الذنوب فيضاعف لكم العذاب ولكن توبوا إليه، وكان مالك بن دينار يقول: إن القُرّاء ثلاثة، قُرّاء الأسواق وقُرّاء الملوك، و قُرّاء الرحمان، وإن محمد بن واسع من قُرّاء الرحمان، وكان الحسن يسميه زين قُرّاء، واجتمع محمد ومالك فقال مالك: إني لأغبط الرجل يكون له غُنية يعيش بها، فقال محمد: وإني لأغبط من أصبح في الدنيا وليس له غذاء ولا عشاء وهو من الله راضٍ، فرأى الناس أن محمداً أقوى الرجلين، وكان يقول المصيبة على أثر المصيبة، الخطيئة بعد الخطيئة، وكان قتيبة بن مسلم يحارب الترك فهالهم أمرهم لكثرة جموعهم وشدة شوكتهم، فسأل عن محمد بن واسع أين هو، فقيل هو في أقصى الميمنة ينضنض بإصبعه نحو السماء فقال قتيبة: تلك الأصبع الفاردة أحب إلي من مائة ألف سيف وسنان، وكان يقول غفلة غفلة، فإذا أنا شيخ وأنا لا أشعر وكان يتمثل بشعر :

لا تَخلُطَنَّ خَبِيثاتٍ بِطَيبَةٍ   واِخلعَ ثِيابَكَ حَتى تَنْج عُريانا

[المجلس السادس والعشرون من إملائه رضي الله عنه ،في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد المهرجاني، حدثنا بهلول بأنبار، حدثنا سعيد بن منصور، عن سفيان بن عيينة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسّار، عن أبي سعيد

الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: {يغفر الله للمؤذن مدى صوته، ويشهد له ما يسمعه من رطب ويابس}، قال الحاكم الإمام رحمه الله: الخبر يفيد فضل الأذان والمؤذن، وقوله "مدى صوته" أي غاية صوته، يعني ثوابه حسب صوته، وقوله "يشهد له" يعني تشهد له بالفضل له كل من سمعه من أهل الشهادة والسماع، ويحتمل كل شيء لو كان يشهد، ويحتمل أن ينطقهم الله تعالى يوم القيامة، فيشهدون له.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا الشريف أبو يعلى الحسين بن محمد الزبيري، حدثنا أبو بكر محمد بن همّام بن عيسى البيهقي، حدثنا محمد بن أسلم بن سالم الطوسي، حدثنا عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن سعيد بن أبي عروة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن سعيد بن هشام، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها}، قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: يحتمل أنه أراد ركعتي السنة ويحتمل ركعتي الفرض، وإنما جعلهما خير من الدنيا لأن ثوابها دائم وخصّها بالذكر تفخيما لشأنها.

أخبرنا الإمام الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمي الميكالي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن صالح الصيمري، حدثنا أبو حُمة، حدثنا أبو قرة، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {يُبعث كل عبد على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه}، قال رحمه الله: الخبر يفيد أن كل من مات على دين وإعتقاد يُثب عليه ويجازى به، ويفيد أن المؤمن لا يُعاقب، ومن إستحق العقاب يُعاقب، وهذا تأويل خبر، إن سأل سائل فقال ما تأويل ما روي عن سعيد بن المسيب أنه قال:

سألت سعداً أي إبن أبي وقّاص عن الطيرة فغضب وانتهرني ، وقال : من حدثك هذا ؟ فكرهت أن أحدثه من حدثني ، فقال سعد : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : {لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ، إن يكن الطيرة في شيء فهو في الفرس والمرأة والدار ، وإذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تهبطوا عليه وإذا كان بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه}، الجواب: الخبر يفيد إنكار سعد لهذه الأشياء، وإسناده كراهة ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأما العدوى فهو أن يكون ببعير جرب أو بإنسان جرب أو برص أو جذام، فيمتنع من مخالطته حذر أن يعدو ما به إليه، أي يصيبه ذلك، يقال: أعداه الداء، والعوام تقول ذلك والأطباء يشددون فيها ويفصلون الأمراض المعدية، وقد أبطل الإسلام كل ذلك وورد الشرع مؤكدا لما في العقول من بطلان ما يزعمه أهل الطب من الطبائع، وقال صلى الله عليه وآله: {من أجرب الأول؟} وأما الهامة قال أبو عبيد: كانت العرب تزعم أن عظام الميت تصير هامةً فتطير، وقيل هو طائر كانت العرب تشأم به، والمراد بالخبر لا تتشاءموا، قاله شيخنا أبو علي رحمه الله، وقيل كانوا يقولون أن القتيل يخرج من هامته هامة فلا يزال يقول اسقوني اسقوني حتى يُقتل قاتله، ومنه قول الشاعر:

إِنْ لا تَدَعْ شتْمِي ومَنْقَصَتِـــــــــــــــــــــــــي
أَتْرُكك حَيث تقُولَ الهَامُ اسْقُونِي

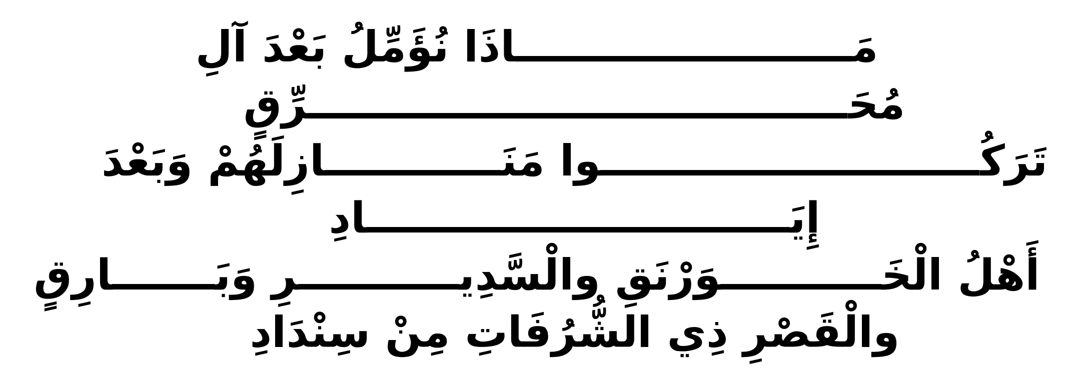
أي أقتلك، وأصله من الهوم، وأما الطيرة فهي ما كانت العرب عليه من التشاؤم بالأشياء حتى كان الواحد يذهب في حاجة فيستقبله أعور أو نحوه أو يطير طائر فيتشائم به ويمتنع، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب الفال ويكره الطيرة، فبيّن أنه ليس بشيء والواجب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، وإنما

سميت طيرة وفعل الإنسان تطيّر ا لأنهم كانوا إذا نظروا إلى طيرِ فإن كان يمينه إليه تفائلوا به، وإن كان شماله إليه تشاءموا به، وكانوا يتشاءمون ببعض الطيور وأصواتها، ومنه السائح والبارح، والسائح ما ولاك يمينه والبارح ما ولاد شماله، وكثر ذلك حتى سمّوا ما يتشائم به طيرة، وقوله "إن كانت الطيرة في شيء" يعني إن كان التبرك والتفاؤل في شيء ففي الثلاثة، وإن كان الشؤم في شيء فهو في الثلاثة، وقد ذكر الهادي عليه السلام الخبر وجوّز هذا المعنى[69]، فأما حديث الطاعون فإنما نهى عن الخروج من أرض وقع بها أو الدخول فيها لأحد وجهين، أحدهما: أنه إذا خرج ربما كان في المعلوم أنه يسلم فإذا سلم ظن أن ذلك لخروجه فإذا دخل ربما يصيبه ذلك، والمعلوم أنه كان يصيبه فيعتقد أن ذلك لدخوله، والثاني: أن ذلك مبني على إعتقاد أن للمكان فيه تأثير ا أو أنه يُعدي، وكل ذلك باطل، وهذا تأويل خبر آخر، فإن قيل ما معنى ما روى معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: {إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ثم يكون رحمة وخلافة ثم كانت ملكا عضوضا ثم كان عتوا وجبرية وفسادا في الأمة، يستحلّون الفروج والخمور يُرْزَقُونَ على ذلك ويُنصرون حتى يلقوا الله}، والجواب: أنه في أول الخبر أشار إلى أيامه صلى الله عليه وآله، فإنها نبوة ورحمة، وفي الثاني أشارة إلى أيام الخلفاء إلى أن إعتزل الحسن عليه السلام فإنها كانت رحمة وخلافة، وأشار بالثالث وهو قوله ثم يكون ملكا عضوضا إلى معاوية فإنه

---

[69] أنكر شيخنا إبراهيم النظّام هذا الخبر مجملا ومفصلا، سواء خبر الشؤم في ثلاثة أو العدوى، وقال: وكيف لا يغلطون، ولا يكذبون، ولا يجهلون، ولا يتناقضون؛ والذين رووا منهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا عدوى ولا طيرة، وأنه قال: فمن أعدى الأول؟ هم الذين رووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: فر من المجذوم فرارك من الأسد، وأتاه رجل مجذوم ليبايعه بيعة الأسلام، فأرسل إليه من بايعة مخافة أعدائه؛ وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توجه إلى بدر أراد أن ينزل الصفرا، وهي بين جبلين، فسأل عن اسميهما، وعن الحيين النازلين بهما، فقيل: ينزلهما بنو النار، وبنو حراق، بطنان من بني عفار، فتطير منهما، وتعداهما إلى غيرهما، واسم الجبلين الضيقين، وأنه قال: الشؤم في المرأة والدار والدابة. [الحور العين لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني ص 230/ 235]

لما تغلّب على الأمة واستولى على الأمر كان عادته الظلم والفساد، ثم أشار إلى بقوله "عتوّا وجبرية" إلى من قام بالأمر بعده كيزيد والمروانية وغيرهم، فقد كانوا يشربون الخمور ويستحلّون المحارم وكان فيهم ملحدون، قوله "عضوضاً" قيل هو جمع العَضِ وهو الرجل الخبيث الشرير ، ورواه بعضهم ملوك عضوض، أي ظلمة فسّاق يسارعون في الشر والفساد، وقيل الصحيح ملك عضوض إذا نال الرعية فيها تعسف وظلم كأنهم يعضّون عضّا، والعتو المبالغة في ركوب المعاصي والتمرد فيه بحيث لا يفيد الوعظ وقوله "هم يُرزقون" أي لا يمنعهم الله الرزق مع إنهماكهم في المعاصي لأن الرزق مبناها على المصلحة، وقوله "يُنصرون" أي يدفع عنهم العقوبات ويمهلهم ولا يعجلهم وذكر النصر مجازا، هكذا ذكره أبو علي رحمه الله، ويحتمل أنهم يُنصرون على أعداء الإسلام لكي يبقى الإسلام منصورا، وهذا نحو ما روي أن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، وقوله "حتى يلقوا الله" أي يموتوا فيلقوا ما أعدّ لهم من الجزاء، والخبر يفيد أن أمر معاوية ومن بعده ممن جرى على سنته كان ملكا وظلما وأن الخلافة إنقرضت بموت أمير المؤمنين وإعتزال الحسين عليهما السلام، قال رحمه الله: روي أن أمير المؤمنين وقت خروجه إلى صفّين مر بالمدائن فإذا أعرابي عند الإيوان ينشد:



مَـــــــــــــــــاذَا نُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَـــــــــــــــــــــــــــرِّقٍ

تَرَكُـــــــــــــــــــوا مَنَـــــــــــازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَـــــــــــــــــــــادِ

أَهْلُ الْخَـــــــــوَرْنَقِ والْسَّدِيــــــــــــرِ وَبَـــــــارِقٍ والْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ

كَـــــــانُوا بِأَنْقَرَةٍ يَفِيـــــــــــــــضُ عَلَيـــــــــــــْهِمُ مَاءُ الْفُــــــــــــــــــرَاتِ يَجِـــــــــــــيءُ مِنْ أَطْوَادِ

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَـــــــــــا لِطِيـــــــــبِ مَقِيلِهَـــــــــا كَعْبُ بْنُ مَـــــــــــــــــــــــــامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُؤَادَ

سَبَقَتْ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَـــــــــــــــــانُوا عَلَى مِيعَـــــــــــــــــــــــــادِ

فَإِذَا النَّعِيــــــــــمُ وَكُلُّ مَـــــــــا يُلْهَى بِـــــــهِ يَوْمًـــــــــــــا يَصِيــــــــــــــــرُ إِلَى بِلًى وَنَفَـــــــــــــــــــادِ

فقال علي عليه السلام: هلاّ قرأت كم تركوا من جنّات وعيون، قال الحاكم الإمام رحمه الله: والشعر للأسود بن يغفر، ومرّ ذو النون بقصر فإذا جارية تنقر في الدف وتقول:

دام النعيم لقصره المعمور ما حوله وأميرنـــــــا المنصور

وبه السرور محدد ببقــــــائه والعيش فيه بمدة المقدور

فقال ذو النون:

القصر يخرب والأمير يموت والعيش ينفذ والنعيم يفوت

يـــــــــــا من تعزز لاهيــــــــــا ببقائه مهلا فإنك عن قريب تمـــــــــــوت

قال الحاكم الإمام رحمه الله: وأنشد بعضهم:

باتـــــــــوا على قلل الاجبــــال تحرسهم
غلب الرجـــــــــــال فمــــــــــا اغنتهـــــم القلل
فاستنزلـــــــــوا بعد عز من معـــــــاقلهـــم
واسكنوا حفرا يـــــــــــــــا بئـــس مـــــــــا نزلوا
نـــــــــاداهم صــــــــــارخ من بعد ما قبروا
ايـــــــــــــن الاسرة والتيــــــجــــــــان والحلل
ايــــــــــن الوجوه التي كـــــــــــــانت منعمة
من دونهـــــــــا تضرب الاستـــــــــار والكلل
فافصح القبر عنهم، حين ساءلهم تلك الوجوه عليهـــــــا الدود يقتتــــــــــــــــــل
قد طـــــالما اكلوا دهرا ومـــــــــــــا شربوا
فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

قال رحمه الله: ولمّا بنى أبو العبّاس السفّاح داره بالأنبار دخل عبد الله بن الحسن بن الحسن فتمثل :

ألم تر حوشباً أمسى يبني قصوراً نفعها لبني نفيله
يؤمل أن يعمر عمر نـــــــــوح وأمر الله يحدث كل ليلـــــــه

فتغير وجه العبّاس واعتذر عبد الله بأنه جرى على لسانه، فما مرت الأيام حتى مات أبو العبّاس، قال رحمه الله: ولمّا فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان أذن للناس وإستأذن إسحق الموصلي في الإنشاد فأذن له فأنشد:
يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم وتعجّب الناس من إسحاق مع كثرة صحبته للملوك كيف وقع ذلك، وتفرق الناس وما عادوا إليه، قال رحمه الله: وللناصر للحق عليه السلام:

فإن كنت لا تدري متــى أنـــت ميـــــت وقبرك لا تدري بأي مكـــــــــــان
فحسبك قول الناس فما سمعته لقد كـــــان هذا مرة لفـــــــــــــلان

ولأبي العتاهية:

لِدوا لِلمَوتِ وَاِبنوا لِلخَرابِ فَكُلُّكُمُ يَصيـــــــرُ إِلى ذَهـــــــــــابِ
لِمَن نَبنـــــي وَنَحنُ إِلى تُـــــــــــــرابٍ نَصيرُ كَما خُلِقنا مِن تُرابِ

وله:

جَمَعوا فَما أَكَلوا الَّذي جَمَعوا وَبَنوا مَساكِنَهُم فَما سَكَنوا
فَكَأَنَّهُم كَـــــــــــانُوا بهـــــــا ظُعُنٌ نَزَلوا لَمّـــــا اِستَراحوا ساعَةً ظَعَنوا

وخطب أبو الدرداء بحمص فقال في خطبته: "أيها الناس، أما تستحيون تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون، ألا وأن من كان قبلكم بنوا شديدا، وأملوا بعيدا وجمعوا عتيدا، فكان جمعهم بورا، وأملهم غرورا، ومساكنهم قبورا، ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام: رفعتم الطين ووضعتم الدّين واتخذتم البساتين وأسمنتم البراذين وتشبهتم بالدهاقين وصرتم ملاعين، ولما مات هشام بن عبد الملك بن مروان تمثل عبد الله بن عبد الأعلى:

و مـــا ســــــالم عمـــــا قليـــــــل بسالم
و لـــو كثرت حراسه وكتـــــــــــــائبه
و من يك ذا باب شديد و حاجب فعما قليل يهجر البـاب حاجبه
و مـــا كـــان إلا الدفن حتى تفرقت إلى غيره أصحـــــــــــابه و مواكبه

ومرّ أبو العبّاس الضبّي بباب الصاحب رحمه الله وقال:

أيها الباب لم علاك اكتئـــاب أين ذاك الحجاب والحجاب
أين من كان يفزع الدهر منه فهــــو اليــــــــوم في التـراب تراب

[المجلس السابع والعشرون من إملائه على الولاء رحمه الله ،يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسين رحمه الله، أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد بن إبراهيم الفقيه، حدثنا أبو الحسين علي بن محمد الورّاق، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا أبو عمر الحوضي، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن كثير، عن عبد الله بن عمر قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: {{إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله تعالى يبغض الفاحش والمتفحش، وإياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح في أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة

فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا} فقال رجل: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: {أن يسلم المسلمون من يدك ولسانك} فقال ذلك الرجل ورجل آخر: فأي الهجرة أفضل؟ فقال: {أن يهجر ما كره ربك وهما هجرتان، هجرة البادي وهجرة الحاضر، فهجرة البادي إذا دعى أجاب وإذا أُمر أطاع، وهجرة الحاضر فأشدهما بلية وأعظمهما أجرا}، قال الحكام الإمام رحمه الله: الخبر يفيد عظم قبح الظلم والفحش والشح، وهو البخل، ويفيد أن هذه الأفعال فعل للعبد وليست بخلق لله تعالى، لذلك حذر منه، ويفيد أن الإسلام ليس هو مجرد القول، ويفيد أن الهجرة في الحقيقة هي هجرة المعاصي، ويفيد أنه تعالى يكره المعاصي وإذا كرهها لا يريدها، خلاف ما يقوله أهل الجبر، ويفيد أن ثواب هجرة شهوات النفس أعظم من هجرة الدار.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو جعفر محمد بن حفص بن منصور، حدثنا يحيى بن محمد بن عبد الله حدثنا علي بن الحسن الذهلي، حدثنا جبارة، حدثنا أبو بكر النهشلي، عن حماد بن أبي سليمان، عن يحيى [بن]الجزار، عن ابن عبّاس قال: {كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل ثمان ركعات ويوتر بثلاثة}، قال رحمه الله: الخبر يفيد أن سنة صلاة الليل ثمان ركعات ويفيد أن الوتر ثلاث ركعات، خلاف من يقول إنه ركعة، وقوله "كان" عبارة عن الدوام فكأنه داوم على أن يوتر ثلاثا.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، حدثنا أبو العبّاس أحمد بن محمد البالوي إملاً، حدثنا أبو العبّاس محمد بن شاذل الهاشمي، أخبرنا اسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا

بقية بن الوليد، عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {من قضى لأخيه حاجة كان كمن خدم الله عُمرَهُ}، قال رحمه الله: الخبر يفيد عظم حال من سعى في أمر أخيه المسلم وقضى حوائجه، وروى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم} فهذا في المؤمن وأهل الخير ، يسعى له في طلب نفع مباح أو مندوب وفي مظلوم يدفع عنه الظلم، وأما ما هو معصية فلا تجوز الإعانة والقضاء، ولهذا قلنا لا تجوز إعانة الفساق والظلمة، وقد قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [المائدة : 2].

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، حدثنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان، حدثنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، حدثنا أبو زكريا يحيى بن معين، حدثنا حفص بن غيّاث، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة}، قال رحمه الله: هذا في الرجل يخطئ خطيئة فيندم على ذلك فالواجب أن لا يلام بعده، أو يُسيء إليه إساءة ثم يعتذر، فالواجب قبول عذره، أو يقع في بلية فيعينه ويعصمه، أو تكون له حاجة فيقوم بقضائها، كل ذلك مما يحتمله الخبر وهذا أيضا في المؤمن وأصحاب الخير دون الظلمة والفساق، فإن عداوتهم واجبة ولعنهم مندوب إليه، وقوله: "أقاله الله عثرته" يعني يجازيه بما فعل.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله أخبرنا أبو سعيد المعدل، حدثنا العبّاس بن منصور، حدثنا علي بن الحسن الذهلي، حدثنا

أبو بكر بن عيّاش، عن إسحاق الهمذاني، عن يزيد بن أبي مريم، عن أبي الحوراء، عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: علمني رسول الله صلى الله صلى الله عليه وآله كلمات أقولهن في الوتر : { اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، ولا يذل من واليت تباركت ربي وتعاليت}، قال رحمه الله: هذا الخبر مما رواه الحسن بن علي عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورواياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محصورة، جمعها أهل النقل، ومعنى قوله: " اهدني فيمن هديت " يحتمل ثبتني على الهداية حتى أدوم عليه كما يقال لمن يأكل كل، وعلى هذا فسّر أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة : 6] ويحتمل اهدني في المستقبل بألطافك كما فعلت في الماضي، ويحتمل أحكم بهدايتي ويحتمل اهدني إلى طريق الجنة، وقوله "وقني شر ما قضيت" يحتمل شر ما خلقت من الجن والإنس والحيوانات المؤذية، فيكون القضاء بمعنى الخلق، ويحتمل من شر ما قضيت أي قدّرت من الأمراض والبلايا في الدنيا ويحتمل شر ما قضيت من العذاب على أعدائك، وقوله "تباركت" أي دمت وبقيت لم تزال ولا تزال وتعاليت بعظمتك، وهذا تأويل خبر إن سأل سائل فقال ما تأويل ما روي عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قلنا له أخبرنا بشيء أسرّه إليك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ما أسرّ إلي بشيء كتمه الناس ولكن سمعته يقول: لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غيّر منار الأرض ولعن الله من لعن الله، الجواب: إن الخبر يفيد أن عليّا عليه السلام أنكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه

وآله أسرّ شيئا كتمه الناس وبيّن أنه كما سمع أدّى وبلّغ، فيبطل قول الرافضة في التقية وأنه كتم أكثر الشرائع وأمر بالقضايا بخلاف الحق من وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن توفي فبيّن ما يبطل قولهم، وإنما ذكر هذا الخبر من بين سائر الأخبار لأن فيه شيئين ينفي الكتمان، أحدهما اللعن على من كتم شيئا لأنه أراد بقوله "غيّر منار الأرض" الدين والشرع، ولم يفصّل من حال التقية وغيرها، والثاني قوله "من آوى محدثا"، أي مبتدعا، وعندهم أن جميع من كان عنده أو أكثرهم مبتدعة، وقوله "من ذبح لغير الله" قيل ذبح للاوثان والأصنام كما كان يفعلها أهل الجاهلية، وقيل: ذبح في المعاصي والجرائم ومخالفة أمر الله، وقيل: ذبح في غير ما شرّع الله، وقوله " آوى محدثا" قيل: معناه أن يمنع من إحداث جناية أي يُجري حكم الله كمن قتل وإلتجأ إلى إنسان يمنعه عن القصاص أو زنى أو شرب أو قذف فيمنعه من إقامة الحد عليه، وقيل: من أحدث في الدين بدعة فآواه إلى نفسه وقبل عنه ومنعه من أن ينجر عن ذلك كما يفعله أمراء الجور بأئمة[70] الضلال حتى ظهرت البدع وكثرت المحدثات، وقوله "غيّر منار الأرض" قيل: منار الأرض هم العلماء الدعاة إلى دين الله الذّابون عن حرم الله فمن قتلهم أو أخافهم حتى لا يمكنهم أن يبيّنوا الحق إستحق اللعنة، وقيل: المنار أعلام الشرع أي من أحدث بدعة وغيّر سنة، وقيل: غيّر حدود الأراضي والأول أوجه، لأنه أعم ولأنه يختص الدين كسائر ما يتضمنه الخبر، وقوله: "لعن الله من لعن الله" يحتمل وجوها، أحدها أن يريد به الكفّار والزنادقة الذين ينكرون الصانع وينفون المنشئ ويضيفون الحوادث إلى الطبائع أو إلى النجوم، وثانيها ما ذكره شيخنا أبو علي رحمه الله أن من هؤلاء الجهّال من إذا نزل به شدّة

---

[70] في النسخة [2] وأئمة.

يقول على سبيل الجهل لعن الله من فعل هذا ويقول الرجل لزوجته لعن الله من إبتلاني بك ويقول من قدّر عليه رزقه واحتاج إلى غيره فرأى ما لا يحب: لعن الله من ألجأني إليك وهو وإن لم يقصد باللعن الله فقد لعن الله في الحقيقة، وهذا نظير قوله صلى الله عليه وآله: {لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر} يعني لا تسبّوا فاعل ما يظهر في العالم من أفعال الله وتنسبونه إلى الدهر فإن الله فاعل ذلك.

قال رحمه الله: ولبعضهم:

يـــــــــــــا شــــــــــــاكي الدهر جهلاً في تصرفه لا تشك دهرك فإن الدهر مأمور
ما ذنب دهرك والأقدار غـــــــــــــــــــــــــالبة وكل أمر إذا وافـــــــــــــاك مسطــــــــــــــور
فاصبر على حدثان الدهر وارض به ما دام في الدهر مهموم ومســــــرور

وثالثها إذا قال المبتدع أبرأ من إله صفته كذا، فيذكر صفة الله تعالى كالمشبهة تقول أبرأ من إله ليس على العرش أو ليس له صورة أو لا يرى، والمجبرة إذا قالت أبرأ من إله ليس الكفر من خلقه ولا الفواحش بإرادته ونحو ذلك، وإذا قال الموحد أشهد أنه واحد لا قديم معه فيقول مخالفه أبرأ من إله ليس له علم وقدرة وكلام قدماء ولهذا نهى الله تعالى فقال: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : 108] ورابعها أنه أراد باللعن سوء الثناء عليه ووصفه بما لا يليق به فأجرى ذلك مجرى اللعن، فأما اللعن في الأصل هو الطرد والإبعاد، ومنه ذئب لعين ورجل لعين أي طريد، ولَعْنَه بسكون العين يلعنة الناس، ولَعَنَة بفتح العين كثير اللعن للناس، وكانت العرب إذا

تمرّد الرجل أبعدوه وطردوه لئلا يلحقهم جرائره، فيقال له لعين بني فلان واللعين من العباد هو سؤال إبعاده من الرحمة واللعن من الله رادة العقاب وسوء الثناء ونحو ذلك، ولذلك لا يجوز اللعن إلا لمستحق العقاب، وقوله: "منار الأرض" المنار الأعلام والحدود ومنار الحرم أعلامه التي ضربها إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام على أقطاره، وأصله من أنار الشيء أضاء، ومنه النار والنور، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: {أنا بريء من كل مسلم مع مشرك} قيل له: لم؟ قال: {تراءى إلي نارهما }، قيل: لا ينبغي للمسلم أن يقيم في دار الحرب مع المشركين من حيث تقرب أحدهما من الآخر ، فعبّر عن قربهما بذلك، فذكر أنه لا ينبغي أن تراءى نارهما، وقيل: نارهما مختلف فهذا يدعوا إلى الله وذلك يدعوا إلى الشيطان فكيف يتفقان، وقيل: أراد بنارهما بمعنى بدينهما مختلف، ومتى اختلفا في الديانة لا يتقاربان ولا يتوادان فإذا تقاربا وتوادّا يوهم الموافقه في الدين وذلك محرّم، قال رضي الله عنه: أنشدني الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله النيسابوري رحمه الله:

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة فإن إعتكـــــار الليـــــــل يؤذن بالفجر
تكلّفت الأيـــــــام فـــي كــل ظلمـــــــة غرتك بضوء الفجر أم طلعة البدر

قال رحمه الله: وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {سلوا الله من فضله فإن الله يجب أن يسأل وأفضل العبادة إنتظار الفرج} وعن أبي الدرداء: {إنتظار الفرج عبادة}، وروى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: {من رضي باليسير من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل}.

حدّث الحاكم الإمام رحمه الله قال: حدّثنا الأستاذ أبو يوسف يعقوب بن أحمد رحمه الله، قال: سمعت أبو منصور الثعالبي يقول: حفظت مائة ألف بيت ما انتفعت بها كانتفاعي بأربعة أبيات منها قول بعض شعراء الحماسة:

لا أحسب الشر جارا لا يفارقني ولا أحز على ما فاتني الودجا
ولا لقيـــــــــــــــت من المكروه نازلة إلا وثقت بأن ألقى لها فرجـــــــــا

والثاني قول أبي الطيب المتنبي:

هون على بصرٍ ما شقّ منظره فإنما يقظات العين كالحلم

والثالث ما قاله أبو الفتح البستي:

إذا ازدرى ســـــــــــــــــاقِطٌ لحُرٍّ فلا تلومن ضِيـــــــــقُ صَدْرِهْ
فأكثَرُ النَّـــــــاسِ مُنذُ كانُوا مـــــــا قدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهْ

والرابع ما قاله القاهستاني:

غني بلا دنيا عن الخلق كلهم وليس الغني إلا عن الشيء لا به[71]

قال رحمه الله: وحُبس إنسان وأُعد بالقتلفقام يدعوا االله ثم أنشأ يقول:

---

[71] المنقول عن أهل التراجم والسير والأدب أن هذا البيت للإمام الشافعي رحمه الله، وهو: غني بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغني إلا عن الشيء لا به. [اليه يصعد الكلم الطيب لمحمد راتب النابلي ص 389]

الله جـــــــــاري وكفى بالله جـــارا كم من عدوا بغى ضيري فما ضارا
يا راقد الليل مستورا بأوله إن الحوادث قد تطرق أسحـــــــــــــارا
لا تأمنن بليـــــــل طـــــــــاب أوله فرب آخر الليـــــــــل أجج النـــــــــــــــــــــار

فوقع الحريق في دار الوالي ونجى المحبوس، قال رضي الله عنه: ولأبي الفتح البستي:

لا تيأسَنَّ لعُســـــــــــــــرَةٍ فوراءَها يُسرانِ وَعداً ليسَ فيهِ خِلافُ
كم عُسرةٍ قلِقَ الفَتى لنُزولِها للهِ في أعطـــــــــــــافهـــــا ألطـــــــــــــافُ

اقتبسه من قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)} [الشرح : 5 - 6] فكان اليسر منكرا فكان الثاني غير الأول والعسر معرف بالألف واللام فكان الثاني هو الأول ولهذا قال إبن عبّاس لن يغلب عسر يُسرين، ولأبي الفتح أيضا:

وثقت بربي وفوضت أمري إليه وحسبي به من معيـــــــــن
فلا تبتئس بظروف الزمـــــــــــــان ودعني فإن يقيني يقيني

قال رحمه الله: ولبعضهم:

ولا تجزع وإن أعسرت يوما فقد أيسرت في الدهر الطويل

ولا تيأس فإن اليـــــأس كفر لعل الله
يغنـــــــــــــــي عن قليـــــــــــــــل
ولا تظنـــــــن بربك ظن ســـــوء فإن الله
أولـــــــــــــــى بالجميــــــــــــــــل

[المجلس الثامن والعشرون من إملائه على الولاء رحمه الله ،يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الآخر ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رضي الله عنه، حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن ابراهيم العدل، إملاً، حدثنا أبو قريش محمد بن جمعة، حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي جعفر الحلواني وأحمد بن أبي شريح التميمي، قالا: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا يحيى بن سعيد، قال: سمعت محمد بن ابراهيم يقول: سمعت علقمة بن وقاص الليثي يقول أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت رسول الله صلى عليه وآله يقول: إنما الأعمال بالنيات[72] وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

قال الحاكم الإمام رحمه الله: الخبر يفيد أن الأعمال إنما تصير طاعة بالنية، والعبادات على ضربين، منها ما تصير عبادة من غير نية القربة ويستحق عليها الثواب، كالواجبات العملية من النظر في طريق معرفة الله تعالى ورسوله ومعرفة صفاته وشكر المنعم ورد الودائع والكف عن المظالم والكذب ونحوها، ومنها ما لا تصير عبادة إلا بنية القربة، كالعبادات الشرعية نحو الصلاة

---

[72] في النسخة الثالثة: بالنية، والصحيح النيات، اكما في النسخة الأولى والثانية.

والصيام والزكاة ونحوها، وإنما اختلفوا في الوضوء، فقال أبو حنيفة لا يشترط فيه النية لأنه ليس بمقصود في نفسه، وقال الشافعي يفتقر إلى النية لأنها عبادة شرعية وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: {من جدد وضوءه جدد الله له نورا}[73]، ويفيد الخبر أيضا الترغيب في أن يفعل الهجرة لله ورسوله لا للدنيا والرياء، وهكذا ينبغي أن يفعل جميع الطاعات ليستحق عليه الثواب خلاف ما يفعله أهل النفاق والرياء.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد[74]، حدثنا أبو قريش ، حدثنا محمد بن اسماعيل الصايغ، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم[75]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إن الله لا ينظر إلى صوركم ولاإلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد أنه تعالى إنما يجازي على الأعمال وهي تنقسم قسمين، أفعال القلوب: وهي خمسة: الإعتقادات، والإرادات، والكراهات، والظنون، والنظر؛ وأفعال الجوارح: وهي خمسة: الأصوات، والأكوان، والإعتمادات، والتأليف، والآلام، وليس في مقدور العباد غير ذلك، فالجزاء يقع على ذلك دون الصور والأنساب لأن ذلك فعل الله، ولو كانت الأفعال أيضا خلقه تعالى لكان لا يقع عليها الجزاء كما في الصور، فيفيد الخبر أن أفعال العباد حادثة من جهتهم.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد، أخبرنا محمد بن اسحاق بن خزيمة، حدثنا ابراهيم بن مسعود، حدثنا عبد

---

[73] هكذا في النسخ، ولعله بقصد الحديث الذي رواه ابن عمر عن ابي عبد الله عليه السلام قال (من جدد وضوئه لغير حدث جدد الله توبته من غير استغفار) [وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج1، ص377]

[74] أحمد بن محمد بن ابراهيم العدل

[75] في النسخ يزيد الأصم

الحميد، حدثنا القاسم بن الحكم، حدثنا بشير أبو إسماعيل، قال: سمعت سماكا[76]، عن طارق، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلة الله عليه وآله قال: {بين يدي الساعة ظهور الزنا والربا والخمر}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد ظهور هذه الأشياء من علامات الساعة، وإنما ذلك لترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفيد أنها من الكبائر العظام.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن علي بن حمزة، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق، حدثنا أبو مجاهد عبد الله بن كيسان، عن ثابت البناني، عن أنس، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر الربا وعظم شأنه فقال: {لأن يزني الرجل [ستة وثلاثين زنية][77] خير من أن يأكل درهما من الربا، وأربى الربا عرض الرجل المسلم}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد عظم حال الربا وفاعله ولا شبهة أن تحريمه من أركان الدين حتى يكفر مستحله ويفسق فاعله، ويفيد أن ويفيد أن الغيبة وتناول أعراض المسلمين يجري مجرى ذلك في العظم وإن لم يكن ربا في الحقيقة.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، أخبرنا أبو سعيد، حدثنا أبو العبّاس السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن سعد ابن أبي سعيد، عن أخيه عباد بن أبي سعيد، أنه سمع ابي هريرة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: {اللهم إني أعوذ بك من أربع، من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع}.

---

[76] هكذا ظهرت لي الكلمة في المخطوطات، وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط والشجري في أماليه: عن سيّار، وهذا هو الصواب والله أعلم.

[77] هكذا في النسخة [أ] وهو الصواب، أما في النسخة [ب] [ت] : ستين زنية.

قال رحمه الله: الخبر يفيد وجو ب التعوذ من هذه الخصال الأربع، وقوله {علم لا ينفع} هو أن لا يعمل به ولايعلمه غيره أو يكون من غير علوم الدين، وقوله {قلب لا يخشع} أي لا يخضع لله، وقوله {نفس لا تشبع} يحتمل من جمع الدنيا وزخرفها، ويحتمل من المعاصي والجرائم، وقوله {من دعاء لا يسمع} إذا لم يكن من أهله أو لم يكن الدعاء في خير أو مباح.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا أبو سعيد، حدثنا أبو حاتم مكي بن حمدان، حدثنا محمد بن يحيى أبو صالح، حدثنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله فبردته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال: {يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ألا ومن أراد أن يمد له الله في عمره ويبسط له في رزقه فيصل ذا رحمه[78]} قال: وقام به في الناس فقال: {ألا أدلكم على أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد الترغيب في هذه الخصال وأنها من خصال المؤمنين، ويفيد تعظيم موقع صلة الرحم وذلك قد يكون بالوصلة والنفقة والزيارة وغير ذلك.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان إملاً، حدثنا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، حدثنا أبو كريب، حدثنا معاوية بن هاشم، عن سفيان، عن جابر، عن سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي عليه السلام أن كان يصوم عاشوراء

---

[78] الحديث في كتب الحديث: فليتق ربه، وليصل رحمه.

ويُخْبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصومه ويأمر به.

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد فضيلة يوم عاشوراء ، وأنه صلى الله عليه وآله كان يصومه، وهو اليوم العاشر من الشهر المحرم، وقد روي في فضله آثار كثيرة، وفضل اليوم يكون بوجوه: منها: أن تكون الطاعة فيه أعظم وأكثر ثوابا والمعصية أكثر عقابا، ومنها أن تكون رحمته بعباده أكثر، ومنها أن تكون لطفا في الطاعة وعصمة عن المعصية، وعلى هذا تفضيل الأمكنة، وقد اتفق مصيبة آل رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فعظم ثوابهم وعظم ثواب أعدائهم أئمة الجور ودعاة الضلالة، وهذا تأويل خبر إن سأل سائل فقال: ما تأويل ما روي عن علي عليه السلام قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم فذكرنا الدجال فاستيقظ محمرّا وجهه فقال: غير الدجال أخوف عندي عليكم من الدجال أئمة مضلون، والجواب أن الخبر يقتضي كون أئمة مضلين من أمته من بعده فتنتهم وشرّهم أعظم من فتنة الدجال وذلك يحتمل وجهين، أحدهما أنه أراد الأمراء الذين يضلون الخلق ويزيلونهم عن الحق فيطيعونهم ويتبعونهم كأمراء يني أمية ومن بعدهم ممن جروا على سيرتهم استولوا على الخلق وقتلوا أئمة الحق من ذرية النبوة وأهل بيت الرسالة، ففتنتهم أعظم من فتنة الدجال حيث ضلوا وأضلوا، والثاني أنه أراد بقوله [أئمة مضلون] رؤساء البدع الدين يدعون الناس إلى الضلال ويلقون الشبه كأئمة البدع التي ظهرت في الأمة، فكل رئيس في بدعة إقتدى به جماعة فضلوا عن الصواب وعدلوا عن الحق ففتنتهم أعظم من فتنة الدجال لأن الدجال كفره ظاهر لا يغتر به مؤمن ولا يجيبه إلى قوله مسلم وهؤلاء تستروا بالإسلام فعظم فتنتهم فهم بمنزلة المنافقين الذين كانت فتنتهم أعظم من فتنة

الكفار المظهرين للكفر، وإذا احتمل الخبر الوجهين ولا مانع من حمل الخبر عليهما حُمل على المعنيين، وقد حمل بينهما أمراء الجور وقادة الضلال وأظهروا البدع والظلم ونصروا حزبه وقهروا الحق والعدل وقمعوا أهله، قال رحمه الله: وذكر السيد الإمام أبو طالب رضي الله عنه أن الصحيح أن يوم عاشوراء الذي قُتِل في الحسين عليه السلام وأصحابه كان يوم الجمعة عاشر المحرم سنة إحدى وستين، واختلف أهل النقل في عدد المقتولين يومئذ مع ما تقدم من قتل [مسلم][79] من العترة فالمكثرون على أنهم كانوا سبعة وعشرين فمن ولد علي: الحسين بن علي، وأبو بكر بن علي، وعمر بن علي، وعثمان بن علي، وجعفر بن علي، وعبد الله بن علي، ومحمد بن علي، والعبّاس بن علي، وإبراهيم بن علي، فهم تسعة، ومن ولد الحسن بن علي: عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن، وأبو بكر بن الحسن، وعمر بن الحسن، وكان صغيرا فهم أربعة، ومن ولد الحسين بن علي: علي بن الحسين، وعبد الله بن الحسين وكان صغيرا، [فَهُم][80] اثنان، ومن ولد جعفر : محمد بن عبد الله بن جعفر ، وعون بن عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن عبد الله بن جعفر، [فَهُم][81] ثلاثة ، ومن ولد عقيل رضي الله عنه: مسلم بن عقيل، وعبد الله بن عقيل، وعبد الرحمن بن عقيل، ومحمد بن عقيل، وجعفر بن عقيل، ومحمد بن مسلم بن عقيل، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وجعفر بن محمد بن عقيل، ومحمد ابن سعيد بن عقيل، فهم تسعة على جميعهم السلام، وآخر من قُتِل الحسين عليه السلام وحمل رؤوسهم إلى الشام ودفن جثثهم بالطف، فلما كان أيام المتوكل وكان سيء الإعتقاد في آل أبي طالب، شديد الوطأة عليهم، قبيح

---

[79] هكذا في النسخة [ب] لكن لا توجد هذه الكلمة في النسخة [أ]
[80] لا توجد في النسختين، أضفتها ليكتمل المعنى
[81] لا توجد في النسختين، أضفتها ليكتمل المعنى

المعاملة معهم، ووافقه على جميع ذلك وزيره عبيد الله بن يحيى بن حاقان، فبلغ في سوء معاملتهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العبّاس، فأمر بتخريب قبور الحسين وأصحابه وكرّب مواضعهما وأجرا الماء عليها ومنع الزوار عن زيارتها وأقام الرصد وشدد في ذلك حتى كان يقتل من يوجد زائرا، وولى ذلك كله يهوديا وسلط اليهودي قوما من اليهود حتى تولوا ذلك إلى أن قُتِل المتوكل وقام بالأمر إبنه المستنصر فعطف على آل أبي طالب وأحسن إليهم وفرّق فيهم الأموال وأعادوا القبور في أيامه إلى أن خرح الداعيان الحسن ومحمد ابنا زيد، فأمر محمد بعمارة المشهدين، مشهد أمير المؤمنين ومشهد الحسين عليهما السلام وأمر بالبناء عليهما وبعد ذلك زيد فيه وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمها وعمارتها والأوقاف عليها وكان يزور كل سنة، وممن كان يميل إلى آل أبي طالب من خلفاء بني العبّاس قبل المنتصر الواثق، فإنهم اجتمعوا عنده بسر من رأى[82]، فكان يحسن إليهم ويدّر عليهم الأرزاق ويقرّبهم فلما توفي تفرقوا في أيام المتوكل، وممن أحسن إليهم منهم أبو العبّاس السفّاح، لم يعاملهم بسوء ولا جرى منه إليهم مكروه، قال رحمه الله: أنشدنا المنصور الفقيه:

تذكر فديـــــــــــــــــتك عند الخطـــــــوب
منــــــــــــــــــــال قريش إلى المصطفـــــــى
ومـــــــــــــــا نـــــــــــال فـــــــــــي مؤتة
جعفرا وفـــــــــــــــي أحد حمـــــــــــــــــزة
المرتضـــــى
ونـــــــــــــال البتول بموت الرسول
ونـــــــــال عليـــــــــا
إمـــــــــــــــــــــام الهدى

---
[82] كانت سامراء عاصمة الدولة العباسية بعد بغداد، وكان اسمها القديم "سر من رأى" وقد بناها الخليفة المعتصم بالله عام 221هـ/835م لتكون عاصمة دولته

ونـــــــــــــــــــــــال حســــــــــــــــــينا ومن قبله أخــــــــــــــــــــــاه ومسلمــــــــــــــا المجتـــــــــــــــــــبى

وزيــــــــــــــــــدا ومـــــــــا كـــــــــان في هاشم ليــــــــــــــالي نـــــــــاح له من بكـــــــــــــــــــــــــــى

ويحيـــــــى بن زيـــــــــــــد مــــــــن بعده ركنـــــــــــين من حسن في الســــــدى

ونـــــــــــال الحسيــــــن بفخ ويحيى ونــــــــــال أخا القاسم من أذى

ومـــــــــا نــــــال موسى بن عبد الله ونــــــــال علي بن موسى الرضا

ويحـــــــيى قتيـــــــــــل بني طــــــــــــاهر وميّتـــــــا بجرجــــــــــــــان في العدى

ومن مـــــــــات فيهـم خفي المكان بعيـــــــــــــد المحل حذيــــــر الورى

ليـــــــســـــــهل كل عسيـــــــــــر عليـــــــــــــــك ويحلو بقلبك مر القضــــــــــــــــــا

ومــــــــــــــــازلت أسمع أن البــــــــــــــــــلاء إذا اشتد بشّـــــــــركم بالرخـــــــــــــــــــاء

وأن الرخـــــــــــاء إذا أعمـــــــــــــــــــــــــــكـــم فـــــــــــــــــلابد من بعده من بـــــــــــــــــــــلا

لأنــــــــــــــــكم مــــــــــــن بـنـــــــــــــــــــــــــي آدم وحــــــــــــال بنــــــــــي آدم مــــــــــا تـــــــــــرى

إلى أن تكــــــــــون بطـــــــــــــــــــون الثرى أحق بكــــــــــــــم من ظهـــــــــــــــور الثرى

فصبــــــــــرا وشكــــــــرا بنــــــــــــــي أحمد ففـــــــــــي الشــــــــكر والصبر المـــــــــنى

وله:

مقالة ذي نصح فهل أنت قــــــــــــــــــابل وأمر بمعروف فهل أنت فاعل
إذا المرء لم يكرم بني المصطفى له وإن قصروا في حقه فهو جاهل

قال رحمه الله: ومن نتف المنصور:

الخير عندي في السكوت وفـــــــــــــــي ملازمة البيـــــــــــوت
فـــــــــإذا استوى لــــــك ذا وذا فاقتنع من الدنيا بقوت

قال رضي الله عنه وأنشدنا الشيخ أبو محمد المنصور:

النـــــــــــــــاس بحر عميـــــــــــــــق والبعد عنهم سفينة
وقد نصحتــــــــــك فــــــانظر لنفســـــــــــك المسكيــــــــــنة

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين.

[المجلس التاسع والعشرون من إملائه رضي الله عنه ،في الجمعة الثالث والعشرون من ربيع الآخر، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسن رحمه الله، قال أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل، أخبرنا جدّي محمد بن اسحاق بن خزيمة، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن أبي موسى، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: {من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى}

قال الحاكم الإمام رحمه الله: الخبر يفيد الحث على اختيار الآخرة والإنشغال بها والزهد في الدنيا، ويفيد أن عمل الدنيا والآخرة لا يجتمعان، وفيه تنبيه وزجر لأبي موسى عن ارتكاب ما إرتكبه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر أهل بيته.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد رحمه الله، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العبّاس ببغداد، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا لُوين، حدثنا حماد بن زيد، عن زيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله صل الله عليه وآله: {لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعب عليه الشمس، ومن العصر إلى غروبها أحب إلي من كذا وكذا} قال: وحدثنا حماد بن زيد، عن المعلا بن زياد، عن يزيد الرقاشي قال: كان أنس إذا حدث بهذا الحديث أقبل وقال: والله ماهو بالذي تصنع أنت ولا أصحابك ولكنهم قوم يتعلمون القرآن والفقه.

قال رحمه الله: الخبر يفيد تعظيم منزلة ذكر الله وأن المراد بذلك الذكر العلم والدين، وهو علم التوحيد وتنزيه الله وعلم الشرائع وعلم القرآن المشتمل على جميع ذلك، وقوله "ماهو بالذي تصنع" يحتمل أنهم

اشتغلوا بأمور الدنيا، ويحتمل أنهم حدثوا رياءً وسمعة وفي غير الدين.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد رحمه الله، حدثنا بشر بن أحمد الإسفرايني إملأً سنة سبع وستين وثلاثمائة، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدان بن عامر السمرقندي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا الفضيل بن عياض، عن سليمان، عن شقيق، عن عبد الله "هو ابن مسعود" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {أول ما يقضى به بين العباد يوم القيامة في الدماء}

قال رحمه الله: الخبر يفيد أن الله تعالى يقضي بين العباد وأن أول ما يقضي فيه الدماء، ويوجب عظم أمر الدم، ويفيد أن أفعالهم حادثة من جهتهم، إذ لو كان خلقه تعالى لما صح القضاء بينهم.

أخبرنا الحاكم الإمام قال: أخبرني شيخ الإسلام أبو سعد رضي الله عنه قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا بشر، حدثنا إبراهيم عن علي الذهلي، حدثنا يحيى لن يحيى، حدثنا أبو إسماعيل المؤدب، عن مجاهد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {خير خصال الصائم السواك}.

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد إستحباب السواك للصائم ويفيد جواز السواك للصائم رطبا كان أو يابسا صباحا ومساء خلاف ما يقوله مالك والشافعي، ويفيد أن السواك سنة ولا خلاف فيه.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا الشيخ أبو حامد رحمه الله، حدثنا أبو العبّاس محمد بن اسحاق السرّاج، حدثنا الحسين بن أحمد بن شعيب الحراني، حدثنا محمد بن فضيل، عن ضرار بن مرة، عن أبي سنان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وآله: {يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، وإن للصائم فرحتين إذا أفطر فرح وإذا لقي الله فرح، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك}

قال أيده الله: الخبر يفيد فضل الصوم وإنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه لا يدخله رياء وسمعة، وقوله "فرحتان" يعني فرحة عند إفطاره وفرحة يوم القيامة حيث يرى ما أعد الله له من الثواب والأجر، وقوله "لقي الله" يعني صار إلى حكمه وجزائه وليس اللقاء من الرؤية في شيء، وقوله "لخلوف فم الصائم أطيب" يعني أفضل والله تعالى يدرك ذلك ويدرك كل المدركات من المرئيات والمسموعات والمشمومات والمذوقات والحرارات والبرودات لأنه حي لا آفة به فواجب إدراكه لذلك ولكن لا يتلذذ ولا يتألم لأن ذلك ينبع الشهوة والنفار وذلك يستحيل عليه، وهذا تأويل خبر إن سأل سائل فقال: روي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: {إن لك كنزا في الجنة، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة، فإن لك في الأولى وليست لك في الآخرة}، وروى علي عليه السلام أنه مات رجل من أهل الصفة فقيل يا رسول الله ترك دينارا ودرهما، فقال كيتان صلوا على صاحبكم، ما معنى الخبيرن؟

والجواب: أما الأول فإنه صلى الله عليه وآله بشّره بالجنة، والمراد "بالكنز " ماله فيها من النعيم والسرور الدائم، وقوله "إنك ذو قرينها" أي إنك المالك لها والمستولي عليها، قاله شيخنا أبو علي رحمه الله، وقيل ذو قرينتها أراد ذو طرفيها يعني الجنة، قاله أبو عبيدة، وقيل أراد ذز قرني هذه الأمة فأضمر الأمر وكنى عن غير مذكور، وقيل أراد الحسن والحسين عليهما السلام، وقيل أنه ضرب على رأسه مرتين، يوم الخندق وحين

ضربه ابن ملجم لعنه الله، وفي حديث علي وذكره قصة قصة ذي القرنين، ثم قال وفيكم مثله يعني نفسه[83]،يعني نفسه لأن ذي القرنين ضرب على رأسه مرتين، وهذا معنى قوله إنك ذو قرني هذه الأمة، ومعنى قوله "لا تتبع النظرة النظرة" لأن الأولى إذا وقعت من غير قصد لا يؤخذ بها والثانية إّذا قصد أُخِذ بها، والمراد بالنرة هو ما حرّم الله تعالى من النظر إلى النساء والعورات ونحو ذلك، والنظر فعل العبد وهو تقليب الحدقة نحو المرئ إلتماسا للرؤية مع سلامة الحاسة، وأما الخبر الثاني فقيل كان ذلك رجل معه الدينار والدرهم وروي أنه فقير ليس معه شيء ليعطوه وينفقوا عليه كما ينفق على أهل الصفة وهم فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما اطلعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على حاله وأنه كان كاذبا فيما يظهر قال "كيتان" يعني سيكوى بها على ما أوعد الله تعالى به مانعي الزكاة ولم يصل عليه، وروي أنه أمرهم بالصلاة ليعلمهم أن الصلاة على الفساق من سنة الإسلام، ومن صلى على فاسق دعا للمؤمنين ولا يخصه بالدعاء ولم يصل هو عليه لأن صلاته خلاف صلاة غيره، قال تعالى: {إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة : 103] وهذا قول شيخنا أبو علي رحمه الله، والصلاة على الفساق مذهب الفقهاء إلا عند أبي حنيفة فإنه لا يجوز الصلاة على البغاة وعند الزيدية لا تجوز الصلاة على الفسّاق، ويحتمل أنه صلى الله عليه وآله عَلِم بعد موته أن ذلك الدينار كان حراما محظورا حصل من غير وجه فلذلك

---

[83] حدثنا عيسى، نا أبو معاوية، نا بسام، نا أبو الطفيل قال: قال علي بن أبي طالب: «سلوني؛ فإنكم لا تسألون بعدي مثلي» قال: فقام ابن الكوا، فقال: ما {الذاريات ذروا} [الذاريات: 1] ؟ قال: «الرياح» قال: فما {فالجاريات يسرا} [الذاريات: 3] ؟ قال: «السفن» قال: فما {فالحاملات وقرا} [الذاريات: 2] ؟ قال: «السحاب» ، قال: فما {فالمقسمات أمرا} [الذاريات: 4] ؟ قال: «الملائكة» قال: فمن {الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار} [إبراهيم: 28] ؟ قال: «منافقي قريش» قال: فمن {الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا} [الكهف: 104] ؟ قال: «هم أهل حروراء» قال: فما ذو القرنين نبي أو ملك؟ قال: «ليس بملك ولا نبي، ولكن عبد الله صالحا، أحب الله وأحبه، وناصح الله فنصحه، ضرب على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله، وضرب على قرنه الأيسر فمات، وفيكم مثله» - أو قال مثله - أبو معاوية شك. - المسند للشاشي ج2 ص 96

قال ما قال، ويحتمل أنه ترك من ذلك ما يجب فيه الزكاة كان لا يزكي فلذلك أوعده، وقوله "كيّتان" إنما ثنى لأنه كنّى عن جنسين وفي الخبر أنه ترك دينارا وليس في الخبر أنه لم يترك غيره، ويحتمل أنه أراد الجنسين، فأما حديث الأنصاري الذي مات وعليه دين فروى أبو سعيد الخدري: {أن النبي صلى الله عليه وآله شهد جنازة أنصاري فقال: عليه دين؟ قالوا نعم، فرجع فقال علي: أنا ضامن لذلك فصلّى عليه وقال: يا علي فك الله رقبتك كما فككت عن رقبة أخيك المسلم} فإنما لم يصلِ عليه تعظيما لأمر الديون والمظالم، وقد روى الزهري أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يصلِ على أحد عليه دين، وإنما فعل ذلك حثّا للناس على قضاء ديونهم، ويحتمل أنه لم يصلِ لا لأنه ليس بأهل للصلاة لكن في صلاة رسول الله من الإختصاص ومن السكينة والرحمة ما ليس في صلاة غيره، فلم يصلِ عليه وأمر غيره بالصلاة عليه فلمّا ضمن علي دينه صلى عليه، وقد روي أنه قال: {صلوا على صاحبكم}، وروي أنه سأل عليا بعد ذلك أقضيت دين أخيك؟ قال: نعم، قال: الآن بردت عليه جلده، يعني أسقطت عنه هذه التبعة، والخبر يتضمن أحكاما، منها أن ذلك القدر لم يكن فاسقا لأنه لم يثبت أنه ماطله ولا أنه كبير لذلك صلى عليه، ومنها ما استدل به جماعة أن الضمان يصح عن الميت سواء مات مفلسا أو غير مفلس لأن النبي عليه السلام لم يستفسر حاله ولو كان الحكم يختلف لاستفسر، وهذا قول أبي يوسف ومحمد، وأما أبو حنيفة فيقول إذا مات مفلسا فلا يصح الضمان عنه لأنه كفالة بعد سقوط الدين كما بعد الأداء والإبراء، ويحتمل الخبر على أنه مات ولم يكن مفلسا، ومنها أن الضمان عن الغير وأداء دينه لغير أمره يصح ويكون متبرعا، ومنها أن قضاء الديون من العبادات التي تجزي فيه النيابة، وقد روي في خبر الخثعمية أنها قالت

لرسول الله صلى الله عليه وآله أن فريضة الله في الحج أدركت أبي وهو شيخ أفأحج عنه؟ فقال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيتيه أكان يجزى عن أبيك قالت: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى.

أخبرنا الحاكم الإمام رضي الله عنه قال: أخبرنا أبو العبّاس السرّاج، حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب، عن أبي حازم أنه قال: كل من عملٍ كرهت الموت لأجله فاتركه ثم لا يضرك متى متت.

قال رضي الله عنه: أبو حازم هو سلمة بن دينار تابعي لقي جماعة من الصحابة، حسن الكلام بليغ الموعظة، اختار العزلة فمن كلامه: غرّت الدنيا أقواما فعملوا فيها بغير الحق ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم لمن لا يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم، وقد خلفنا بعدهم فينبغي أن ننظر فنجتنب ما كرهناه منهم ونستعمل ما غبطناهم به، وسأله سليمان بن عبد الملك أن يدعوا له فقال: اللهم إن كان سليمان وليّك فبشره بخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى، وقال له: أي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض واجتناب المحارم، فقال: فكيف القدوم على الله، قال: أما المحسن كالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يرد على مولاه، وقال له عظني، قال: عظّم ربك وإياك أن يراك حيث نهاك ويفقدك حيث أمرك، فقال سليمان: ما ينجينا مما نحن فيه؟ قال: لا تمتنع مما أمرت به ولا تركب ما نهيت عنه، قال: من يطيق هذا؟ قال: من طلب الجنة وهرب من النار؛ ومن كلامه: إنما بيني وبين الملوك يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته ولا أجد مرارته، وغدًا لا ندري نحن من أهله وإني وإياهم على وجل وإنما هو اليوم فعسى أن يكون شدة يوم، وكان قول: بعد الموت يأتيك الخبر ، وقيل له

ما مالك؟ قال: الثقة بالله والإستغناء عما في أيدي الناس.

قال: ولمنصور الفقيه:

توكل على الله فيما اعتراك ولا تشركن سواه معه

فمـــــــــــــا في سواه تعالى إسمه لراج ولا خائف منفعة

ولغيره:

غنـــى النفـــس لمـــــن يعـــــقل خير من غنى المـــــــــــــــال

وفضل الناس في الأنفس ليس الفضل في المال[84]

ولحاضر صاحب عيسى بن زيد عليه السلام:

تعوّدت مسّ الضــر حتـــــى ألفته

وأسلمنـــــــــــــي حسن العزاء إلى الصبرِ

وصيّرني يأسي من الناس واثقاً بحسن صنيـــــــــع الله من حيث لا أدري

ولبعضهم:

إني لأعلم والأقدار جـــــــــــــــــــــــارية أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى لأطلب رزقي وهو يطلبني ولو جلست أتـــــــــــــــــاني لا يعنيني

كم من فقير غني النفس أعرفه ومن غني فقير النفس مسكين

---

84 الأبيات لأبو فراس الحمداني

ولبعضهم:

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

[المجلس الثلاثون من إملائه رضي الله عنه، يوم الجمعة غرّة جمادى الأولى، سنة تسع وسبعين وأربع مائة]

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر، أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد الإسفراييني، أخبرنا داود بن الحسين البيهقي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا هشام، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {إذا صلّى الإمام قائما فصلوا قياما، وإذا صلّى جالسا فصلوا جلوسا}.

قال الحاكم الإمام رحمه الله: هذا في صلاة الجماعة، ينبغي للمؤتم أن لا يخالف الإمام، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه، فإذا كان الإمام والقوم لا عذر لهم فصلى فإنما ينبغي أن يصلوا قياما وإن كان بهم عذر فصلى قاعدا صلوا قعودا، فأما إذا انفرد أحدهما بعذر فلا شبهة أن صلاة القاعد خلف القائم جائزة، فأما صلاة القائم خلف القاعد تجوز عند أبي حنيفة وأبي يوسف واحتجا بحديث أبي بكر أنه كان يصلي بالناس قائما وهو يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قاعد، وعند محمد لا يجوز ، فالخبر محمول عل أن حالهما تستويان فيوافق الإمام في فعله، ويحمل أنه أراد أحوال الصلاة فإذا قام الإمام قام المؤتم وإذا قعد الإمام قعد المؤتم ولا يخالفه، ويحتمل أنه أراد به صلاة النفل.

أخبرنا الحاكم الإمام رحمه الله قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن حميد الحافظ، أخبرني أبو الطيب الحسن بن موسى الرقي بأنطاكية، حدثنا عامر يعني سيّار، حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب، حدثنا جنذب بن سفيان: رجل من بجيلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: {ستكون بعدي فتن كقطع الليل المظلم تصدم الرجل كصدم فحول الثيران يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، فقال رجل من المسلمين: كيف نصنع عند ذلك يا رسول الله؟ قال: أدخلوا بيوتكم وأخملوا ذكركم، فقال رجل من المسلمين: أرأيتم إن دخل عل أحدنا بيته، فقال صلى الله عليه وآله: فليمسك بيديه وليكن عبد الله المقتول ولا يكن عبد الله القاتل، فإن الرجل يكون في قبة الإسلام فيأكل مال أخيه ويسفك دمه ويعصي ربه ويكفر بخالقه ويوجب له جهنم}

قال رضي الله عنه: الخبر يفيد معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخبر عمّا هو كائن فكان كما أخبر، وقد شاهدوا هذه الفتن أيام بني أمية وملوك بني مروان، ويفيد أنه إذا غلب على ظنه أنه لا يؤثر الأمر بالمعروف أو لا يمكنه القيام بذلك جاز له أن يلزم بيته ويهتم بشأنه، ويفيد بأنه ينبغي أن يكون في تلك الفتنة من المغلوبين لا من [أهل الفتنة][85] الغالبين الذين يقتلون الناس ويظهرون الفساد كما كان في أيام الحسين وزيد وغيرهما عليهم السلام، ويفيد وقوع التحابط في الثواب والعقاب.

أخبرنا الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، حدثنا مروان بن عبد الملك البزار بدمشق، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سعيد

---

[85] هذه العبارة موجودة في النسخة [ب] وغير موجودة في النسخة [أ]

بن يحيى، حدثنا أبو هلال الراسبي، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة رضي الله عنه قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول: {قال تسألين الله العفو والعافية}.

قال رحمه الله: الخبر يفيد أن الدعاء في ليلة القدر أقرب إلى الإجابة، ويفيد أن سؤال العافية يعم أمور الدين والدنيا لأن من لزم العافية يسلم من الآفات ولم يركب المعاصي فيفوز بالجنة.

أخبرنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الشجري

ص 201/// \17121
ص221/// \15506
ص 197/// \16042